التفسير العلمي عند الإمام الرازي

دراسة تحليلية مقارنة في «مفاتيح الغيب»

في النصف الأول من القرآن الكريم

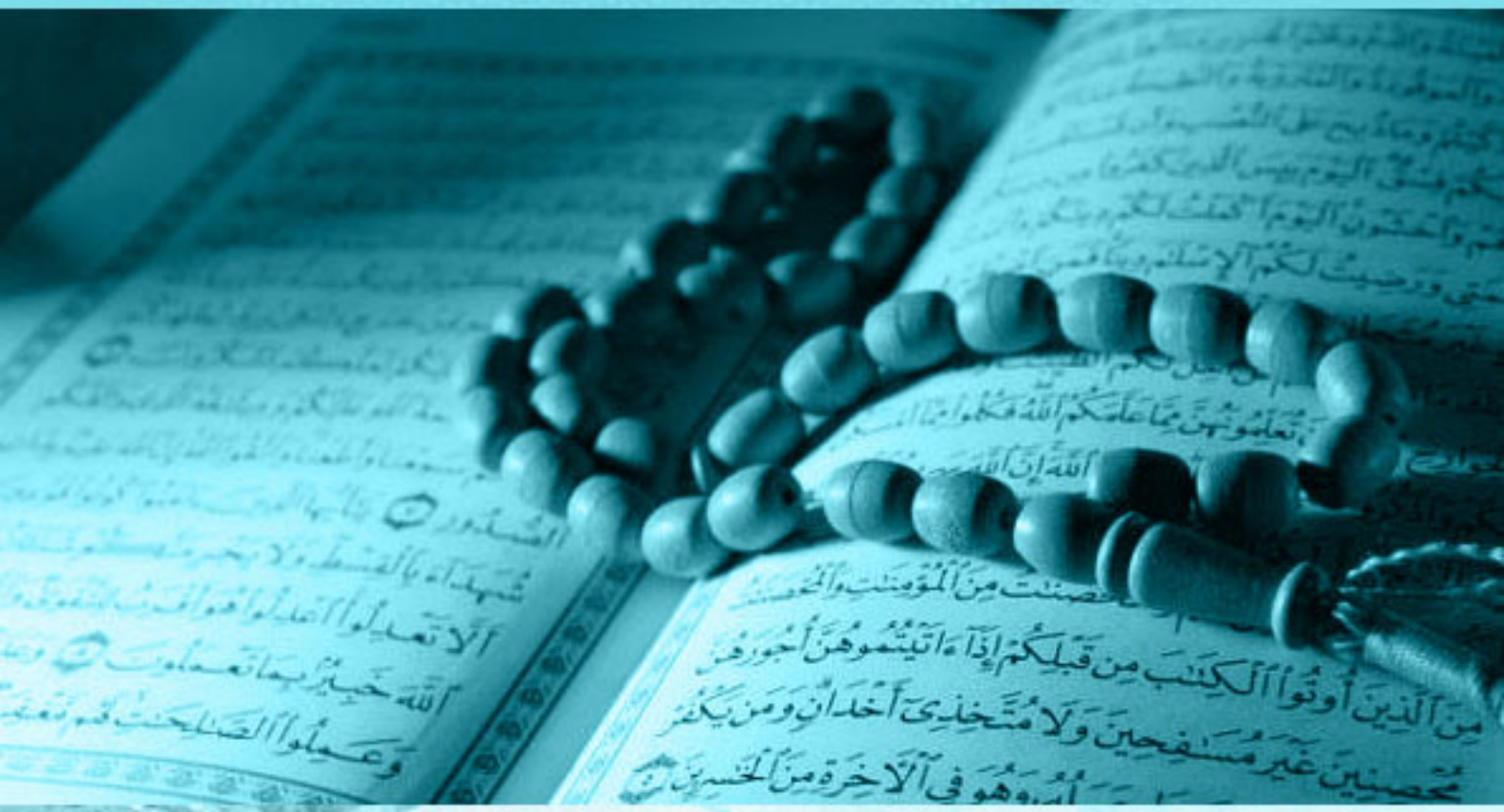

مصطفى إبراهيم رسلان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جامعة الأزهر
كلية اللغات والترجمة
قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (الإنجليزية)
الدراسات العليا

التفسير العلمي عند الإمام الرازي

دراسة تحليلية مقارِنة في «مفاتيح الغيب»، في النصف الأول من القرآن الكريم

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية من قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (الإنجليزية)

إعداد الباحث
مصطفى إبراهيم حسنين رسلان

تحت إشراف
أ. د. محمد محمد أبو ليلة
أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بكلية اللغات والترجمة

د. كمال بريقع عبد السلام
قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (الإنجليزية) بكلية اللغات والترجمة

القاهرة 1436هـ - 2015م

الجديد والحصري NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جامعة الأزهر
كلية اللغات والترجمة
قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية (إنجليزي)

رسالة الماجستير
المقدمة من الباحث

مصطفى إبراهيم حسنين رسلان

تحت عنوان

التفسير العلمي عند الإمام الرازي

دراسة تحليلية مقارنة في «مفاتيح الغيب» في النصف الأول من القرآن الكريم

وتتكون لجنة المناقشة والحكم من السادة الأساتذة:

الاسم	التوقيع
أ.د. محمد محمد أبو ليلة أستاذ الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية بكلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر - مشرفًا ورئيسًا	
أ.د. عبد الجليل حسن الديب أستاذ التفسير بكلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع طنطا - مناقشًا داخليًا	
أ.م.د. هشام محمد حسن أستاذ اللغويات المساعد بقسم اللغة الإنجليزية كلية الآداب – جامعة بنها - مناقشًا خارجيًا	

عميد الكلية
أ.د. سعيد عطية علي

وبعد موافقة الكلية على تحديد مكان وزمان المناقشة العلنية قامت اللجنة المذكورة بمناقشة الباحث مناقشة علنية في تمام الساعة الواحدة ظهرا يوم الأحد من ١٥ ذو القعدة ١٤٣٦ هـ الموافق ٢٠١٥/٨/٣٠م بمدرج ١٤ بكلية اللغات والترجمة. واستمرت المناقشة (ساعتين). وبعد أن خلت اللجنة المداولة رأت نجاح الباحث وتقترح منحه درجة التخصص الماجستير. من قسم الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية "الجليزي" بكلية اللغات والترجمة . جامعة الأزهر بتقدير (ممتاز) في الدراسات الإسلامية باللغات الأجنبية "الجليزي"

أعضاء اللجنة

١ أ.د. محمد محمد رضوان أبو ليلة ( )
٢ أ.د. عبد الجليل حسن الديب ( )
٣ أ.د.هشام محمد حسن ( )

تحريرا في يوم الأحد الموافق ١٥ من ذو القعدة ١٤٣٦ هـ
الموافق ٢٠١٥/٨/٣٠م

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. أحمده سبحانه على ما يسر لي من صحة وفتح ووقت وصبر على إتمام هذه الرسالة.

انطلاقًا من العرفان بالجميل، فإنه ليسرني ويثلج صدري أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان إلى **الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو ليلة**، الذي مدني من فيض علمه بالكثير من النصائح والملاحيظ العلمية والمنهجية المهمة، والذي ما توانى يومًا عن مد يد المساعدة لي وفي جميع المجالات، وحمدًا لله بأن يسره لإرشادي ويسر به أمري ، وعسى أن يطيل عمره ليبقى نبراسًا متلألئًا في نور العلم والعلماء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى **الدكتور كمال بريقع عبدالسلام** ، الذي شارك في الإشراف على هذه الرسالة، وسهل لي كثيرًا من الصعاب العلمية والعملية.

والشكر موصول وخالص التقدير والاعتراف بالجميل مكفول لأ **ساتذتي أعضاء لجنة النقاش** الموقرين على ما تكبدوه من عناء في قراءة رسالتي المتواضعة وإغنائها بمقترحاتهم القيمة.

ولا أنسى أن أتقدم بفائق الشكر والاحترام والتقدير إلى **أعضاء هيئة التدريس بالقسم**، الذين لم يبخلوا عليّ بخبراتهم ونصائحهم المثمرة.

وأود أيضًا أن أشكر **والديّ** على تشجيعهم ودعمهم ودعائهم الذي لم ينقطع عني يومًا ما. ولا أنسى **زوجي** التي ساندتني في رحلتي في هذا البحث كثيرًا وبلا ملل.

وفي النهاية ، يسرني أن أتقدم بجزيل الشكر إلى **كل من مد لي يد العون** في مسيرتي العلمية.

قال الفقيه أبو إبراهيم المزنيّ رحمه الله:

قرأت كتاب الرّسالة على الشّافعيّ ثمانين مرّة، فما من مرّة إلاّ وكان يقف على خطأ، فقال الشّافعيّ: هِيْه، أبى الله أن يكون كتابًا صحيحًا غير كتابه "[1]

أسأل الله أن يتقبل منى ويقبلنى

وأن يجعل هذا العمل صالحًا، ولوجهه وحده خالصًا

[1] ابن عابدين، *حاشية رد المحتار*، (بيروت، دار الفكر، 1995)، 1/ 29.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾[2]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[3].

أما بعد، فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

حفل القرآن الكريم بأبحاث ودراسات عديدة حول إعجازه، وهذا الإعجاز له وجوه عديدة، منها البلاغي والبياني واللغوي والنفسي، ومنها التاريخي، ومنها التشريعي والغيبي.. ومنها العلمي.

وهذا الوجه الأخير اهتم به جمعٌ من العلماء؛ كان على رأسهم الإمام الغـــــزالي رحمه الله (أبو حامد محمد بن محمد ت 505هـ)؛ حيث أشار في ثنايا كتابيه «*إحياء علوم الدين*»[4] و«*جواهر القرآن*»[5] إلى أن القرآن يشمل كل العلوم، كما نراه يقسّم علوم القرآن إلى قريبةِ المأخذ منه وبعيدتِه؛ ولكن يبقى قولُه نظريًا إلي حد كبير[6].

ثم تبعه كثيرون، شرعوا في تطبيق ذلك عمليًا في تفاسيرهم، كلٌّ حسب معارف عصره. وكان على رأس هؤلاء: الإمام الفخر الرازي (ت 606هـ/ 1210م) الذي يُعتبر تفسيره المسمّى «*التفسير الكبير*» أو «*مفاتيح الغيب*» أول تفسير يتوسع في بيان المسائل العلمية التي كانت معروفة في زمانه.

---

(1) آل عمران: 102.
(2) النســاء: 1.
(3) الأحزاب: 70، 71.
(4) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، *إحياء علوم الدين*، (بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ)، 1/ 289 وما بعدها.
(5) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، *جواهر القرآن*، تحقيق: محمد رشيد رضا القباني، (بيروت، دار إحياء العلوم ، ط1، 1985)، ص: 44 وما بعدها.
(6) أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، (رسالة دكتوراة منشورة، دمشق، دار قتيبة، ط1، 1991)، ص: 145.

يقول عبدالعزيز المجذوب في وصفه:

"فهو كتاب فقه على اختلاف مذاهبه ومسائله، وهو كتاب كلام وفلسفة، حوى كل مذهب ونحلة، وهو كتاب علم كوني، به تصوير الأفلاك وتشخيص الأجسام، ودرس الحيوانات.. وما عدا ذلك من كل ما وصل إليه العلم، وهو كتاب أخبار وأدب وتصوف"[1].

وعلى الرغم من أن «*مفاتيح الغيب*» من أشهر كتب التفسير بالرأي -هذا الاتجاه من التفسير الذي حمل عدة نزعات خرجت ببعضها عن دائرة التفسير كليةً- فإنه أخذ نزعة علمية جدلية[2].

ذلك لأن الرازي عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، في مدينة «الرَّي» القريبة من خراسان[3].. يقول ابن خلدون: " ويبلغنا عن أهل المشرق أن بضائع هذه العلوم [أي العقلية] لم تزل عندهم موفورة، وخصوصًا في عراق العجم وما بعده فيما وراء النهر، وأنهم على ثبج [4] من العلوم العقلية، لتوفر عمرانهم واستحكام الحضارة فيهم"[5].

وقد بلغ الرازي من براعته أن قال فيه صاحب «*عيون الأنباء في طبقات الأطباء*»: "شديد الحرص جدًا في سائر العلو م الشرعية والحكمية، جيد الفطرة، حاد الذهن، حسن العبارة، كثير البراعة، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها"[6].

لذا لم يأل رحمه الله جهدًا في ذكر مباحث كثيرة في شتى نواحي العلوم الطبيعية والمعارف الكونية، حسب ثقافة عصره وما بلغته العلوم في زمانه [7]؛ ويكفي أن يُرَاجَع

---

(1) عبدالعزيز المجذوب، *الإمام الحكيم فخر الدين الرازي من خلال تفسيره* ، (بيروت، دار ابن حزم، 2008)، ص: 22. وانظر أيضًا: محمد العريبي، *المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي*، (بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992)، ص: 83.

(2) محمد إبراهيم شريف، *اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر* ، (القاهرة، دار التراث، ط1، 1982)، ص: 65.

(3) الري: بفتح أوله وتشديد ثانيه، هي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وَأعلام المدن، وهي قرب طهران من إيران. ياقوت الحموي ، معجم *البلدان*، (بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ)، 3/ 116.

(4) ثَبَجُ كلِّ شيء: معظمه ووسطه وأعلاه، والجمع أَثْباجٌ وثُبُوجٌ. محمد بن مكرم بن علي بن منظور، *لسان العرب*، (بيروت، دار صادر، ط3، 1414)، 2/ 219.

(5) ابن خلدون، *المقدمة* (الإسكندرية، دار ابن خلدون، بدون تاريخ)، ص: 337.

(6) 2/ 23، نقلًا عن تقديم الشيخ خليل الميس لتفسير الرازي، (بيروت، دار الفكر، ط3، 1985)، 1/ 6.

(7) كارم السيد غنيم، *الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق* ، (القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1995)، ص: 128.

الفصل الأول في تفسيره لسورة الفاتحة (في التنبيه على علوم هذه السورة على سبيل الإجمال)، حيث يقول:

"يظهر أن معرفة أقسام حكمة الرحمن في خلق الإنسان تشتمل على عشرة آلاف مسألة أو أكثر، ثم إذا ضُمّت إلى هذه الجملة آثار حكم الله تعالى في تخليق العرش والكرسي وأطباق السموات، وأجرام النيرات من الثوابت والسيارات، وتخصيص كل واحد منها بقدر مخصوص ولون مخصوص وغير مخصوص، ثم يضم إليها آثار حكم الله تعالى في تخليق الأمهات والمولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات وأصناف أقسامها وأحوالها ، علم أن هذا المجموع مشتمل على ألف ألف مسألة أو أكثر أو أقل"[1].

وبعد أن ترسخت قواعدُ تلك العلوم، وكتبت فيها أبحاث كثيرة، حتى صارت بعض مسائلها من المسلمات –وهو ما يسمى "حقائق علمية"–، يمكن أن نجدَ فيما كتبه الإمام الرازي من إشارات علمية ما هو موافق لما تقرر في تلك العلوم، وما هو مجانب للصواب فيها، بحسب بحوث المحدثين، كما سيتبين من خلال البحث. لذا جاءت هذه الدراسة لمناقشة ما ذكره الإمام الرازي في «مفاتيح الغيب» من تفسير علمي للقرآن الكريم.

أهمية البحث وأسباب اختياره

- تهتم هذه الدراسة بمناقشة ما ذكره الإمام الرازي من مسائل علمية في تفسيره، والذي هو من أمهات التفاسير التي لا يستغني عنها منشغل بهذا العلم.
- تستمد هذه الدراسة قيمتها من القرآن نفسه، فهي تدرس العلاقة بين القرآن والمكتشفات العلمية، نظريًا وتطبيقيًا.

[1] فخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب*، تحقيق: عماد زكي البارودي، (القاهرة، المكتبة التوفيقية، 2003)، 1/ 14.

- يهتم البحث بالتفسير العلمي للقرآن الكريم، وهو جانب عظيم النفع؛ لا سيما في خضم هذا التطور العلمي الذي يشهده العالم في شتى المجالات، كما أنه من أبرز وسائل الدعوة إلى الإسلام في العصر الحالي.
- تسعى الدراسة إلى إبراز ما كان عليه علماء الإسلام من تقدم علمي ومعرفي، وكيفية تطويعهم لهذه العلوم في خدمة كتاب الله ﷻ.

مشكلة البحث

مدى جهد الإمام الرازي رحمه الله ومساهماته في التأصيل للتفسير العلمي

يتفرع عن هذا عدة أسئلة يدور حولها البحث، وهي:

١. ما المقصود بالتفسير العلمي، وما المذاهب فيه، وما فائدته؟

٢. ما هي منزلة الإمام الرازي العلمية؟

٣. هل كان له منهج محدد في التفسير العلمي؟

٤. إلى أي حد وصل في هذا المجال؟

٥. ما هي الآيات التي تناولها بالتفسير العلمي؟

٦. ما هي مسائل الصواب والخطأ في «مفاتيح الغيب» من خلال البحث العلمي؟

الدراسات السابقة

توجد دراسات كثيرة ومتنوعة حول الإمام الرازي وتفسيره، كما سيتبين من مصادر هذا البحث. ورغم ذلك، لم يهتم أحد –في حدود علم الباحث– بجانب التفسير العلمي الذي شغل حيزًا ليس بالقليل في تفسيره، ولم يصدر مصنفًا مفردًا فيه.

وقد كان التفسير العلمي للقرآن بشقيه النظري والتطبيقي مجالًا خصبًا للباحثين، ومما كتب فيه:

- **التفسير العلمي للقرآن في الميزان** ، أحمد عمر أبو حجر، رسالة دكتوراة، نشرتها دار قتيبة بدمشق سنة 1991م في 563 صفحة، وقد جاءت في مقدمة وستة أبواب وخاتمة. بدأ الباحث بتعريف التفسير ونشأته ومدارسه المتنوعة على مر العصور الإسلامية، ثم انتقل إلى نشأة التفسير العلمي ، ووجهة نظر القائلين به والمعارضين له، حيث تناول بتفصيل كبير أشهر من أيده وعارضه من المفسرين قديمًا وحديثًا. كما عرض موازنة بين التفسير العلمي في حاضره وماضيه ، والقضايا التي يتركز حولها التفسير العلمي . ولم يفته أن يخصص فصلًا للتفسير العلمي بين المنهج والتطبيق ، حيث ذكر عدة صور للتفسير العلمي المردود والمقبول. ورصد في الفصل الأخير الطريقة المثلى في الاستفادة من مقررات العلم في إيضاح حقائق القرآن ، وجاءت الخاتمة في عشر نتائج.
- **التفسير العلمي التجريبي للقرآن الكريم، جذوره وتطبيقاته والموقف منه**، عادل بن علي بن أحمد الشدّي، دراسة صادرة عن مركز بحوث كلية التربية بجامعة الملك سعود سنة 1428هـ. وقد تناول الباحث في الكتاب جذور التفسير العلمي والموقف منه بالنظر إلى انتشار هذا النوع من التفسير ، وكثرة المؤلفات في تفسير آيات القرآن الكريم بمقتضى مكتشفات العلم الحديث، مع ملاحظة إحجام كثير من المتخصصين عن الدراسات النظرية التأصيلية في التفسير العلمي . وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. تعرض الباحث في الفصل الأول إلى مفهوم التفسير العلمي

وتاريخه وأبرز المؤلفات فيه والعلاقة بينه وبين الإعجاز العلمي، ورصد الفصل الثاني مواقف المتخصصين من التفسير العلمي قبولًا أو ردًا من خلال أدلة كل فريق مع الترجيح بينها ، وتحديد جملة من الضوابط التي لا بد من توافرها لقبول التفسير العلمي . أما الفصل الثالث فقد اشتمل على ستة عشر مثالًا تطبيقيًا على التفسير العلمي المردود والمقبول لربط التأصيل بالتطبيق في بحث واحد. وختم الباحث الدراسة بثلاثة عشر نتيجة وخمس توصيات.

- **التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق** ، هند شلبي. رسالة كتبتها الباحثة وقت أن كانت أستاذة مساعدة بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس، سنة 1985م. جاء البحث في قسمين: في القسم النظري، حرصت الباحثة على التدقيق في تقسيمها لمواقف الباحثين في هذا التفسير، فقسمت المعارضين إلى المعارضين مطلقًا والمعارضين المحترزين، وفصلت المعارضين مطلقًا إلى معارضين مع عدم التحيز إلى العلم، ومعارضين مع التحيز إلى العلم. كما فرقت بين المؤيدين مطلقًا والمؤيدين المحترزين . و قد حللت بالتفصيل مذاهب هؤلاء العلماء والباحثين. وأرجعت تعدد مواقف الباحثين على هذا النحو إلى تنوع مواقفهم من مسائل هامة قامت عليها قضية التفسير العلمي، من أبرزها موقفهم من حقائق الدين وحقائق العلم، وموقفهم من مسألة إعجاز القرآن، وعلاقة اللغة بالمعاني، وتغير المفاهيم، والمنهج الذي ينظر به الباحثون في القرآن ومصدريته. وفي القسم التطبيقي ، تكلمت الباحثة عن المنهجية التي ينبغي اتباعها لفهم الحقائق في القرآن الكريم . ثم درست ثلاث مسائل من مسائل التفسير العلمي في القرآن، اثنتان منها كونيتان هما : كروية الأرض ودور الجبال في تثبيت الأرض، ومسألة تشريحية وهي : البنان. وقد ختمت كتابها بقولها: "والذي وصلنا إليه بعد البحث هو أن الذي ينبغي فهمه من عبارة التفسير العلمي يتمثل في الوقوف على سر المطابقة الكلية التي يلاحظها

الباحث بين اللفظة القرآنية والواقع الذي تشير إليه ، ولا يمكن الوقوف على هذه المطابقة إلا عن طريق العلم".

وكما هو واضح من طبيعة هذه الدراسات، فقد ركزت بالأساس على الجانب النظري لهذا النوع من التفسير، دون التعمق في مناقشة المسائل العلمية التي يمكن استنباطها من القرآن الكريم.

ومع مطلع القرن العشرين، جاءت أبحاث كثيرة مفردة في مسائل علمية كثيرة عرض لها القرآن: مثل الأبحاث الخاصة بـ(السماء، الأرض، الحيوان، النبات، الأجنة، الأفلاك...)، اهتمت بإبرازها هيئات الإعجاز العلمي وغيرها من العلماء والباحثين ، على سبيل المثال: د. زغلول النجار، وهارون يحيى، وغيرهما. علاوة على أعمال المؤتمرات العلمية العالمية التي تعنى بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

أهداف البحث:

- مناقشة ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» من مسائل علمية، وذلك في صورة تحليلية مقارنة.
- المساهمة في هذا المجال الرحب.
- إبراز قيمة العلم ودوره في تفسير الآيات القرآنية بالضوابط المنهجية لذلك.
- إبراز ربانية القرآن الكريم، ووجوه إعجازه؛ لزيادة اليقين بالله وكتابه وما جاء فيه.

حدود الدراسة

تتقيد هذه الدراسة بمواضع التفسير العلمي في تفسير الإمام الرازي للنصف الأول من القرآن الكريم، من أول سورة الفاتحة إلى آخر قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾[1]؛ وذلك لأن تفسير الإمام الرازي عملٌ ضخم، يصعب استيعاب جميع ما ذكره من مسائل علمية بالدراسة في رسالة واحدة.

[1] الكهف: ٧٨.

ويحسن التنبيه على أنه هناك فرق بين مجرد النكت واللطائف والإشارات العلمية، الكثيرة، التي يذكرها الإمام، وبين تناوله للآية نفسها -أو جزء منها- تناولها علميًا؛ وهذا ما ركزت عليه الدراسة دون الأول.

منهج البحث وخطواته

- يستعمل الباحث المنهج النقدي التحليلي، مع الاستعانة ب المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتاريخي إذا دعت الحاجة لذلك.
- يعتمد الباحث في النقل من نسخة « *مفاتيح الغيب* » على طبعة المكتبة التوفيقية، تقديم: هاني الحاج، تحقيق: عماد زكي البارودي - القاهرة، ط1، 2003م. مع الاكتفاء بالإشارة إلى رقم الجزء والصفحة فقط. وعند المقارنة، يرجع إلى النسخة القديمة: دار الفكر، تقديم الشيخ: خليل الميس - بيروت، ط1، 1981م، مع التنبيه على ذلك.
- يعتمد الباحث في ترجمة معاني آيات القرآن الكريم على نسخة (Saheeh International Translation)، طبعة بيرمنجهام، المملكة المتحدة، 2010م، وذلك لسهولة لغتها ومعاصرتها.
- يعتمد الباحث في تخريج الأحاديث على تحقيق محقق « *مفاتيح الغيب* »؛ وما سكت عنه أو لم يجده، يحاول تخريجه وبيان درجته.
- يكتفي الباحث بذكر تفاصيل طبعة كل مرجع عند النقل منه لأول مرة، ويشار إليه بعد ذلك بالجزء -إن تعددت أجزاؤه- ورقم الصفحة، مع إمكانية الرجوع إليه في فهرس المصادر والمراجع.
- يقوم الباحث بترجمة الأعلام التي تحتاج إلى ترجمة مما ورد في كلام الإمام، في أول موضع يذكر فيه، مع إمكانية الرجوع إليها في فهرس الأعلام.
- يتتبع الباحث مواضع التفسير العلمي التي وردت في تفسير الإمام في حدود الدراسة، مع عمل حصر شامل لها.

- ويتناول كل مسألة بالبحث على حدة؛ عن طريق مقارنتها وعرضها على المصنفات والأبحاث الموثَّقة المتخصصة، سواء أكانت طبيعية أم فلكية أم طبية...إلخ
- يعتمد في بعض الأحيان على واحد أو أكثر من كتب التفسير الأخرى ذات الصلة، وذلك على سبيل المقارنة وإثبات التأثير والتأثر.
- تُختَتَم الدراسة بالنتائج التي تُوصّل إليها خلال البحث، وكذلك الاقتراحات إن وجدت.

صعوبات الدراسة

- فهم القضايا الكلامية والفلسفية، لأن كلام الإمام العلمي قائم على الاستدلالات الكلامية والفلسفية.
- ترجمة بعض مسائل التراث من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية.
- إيجاد المراجع المناسبة لمناقشة بعض المسائل، نظرًا للتفاوت الزمني بين التفسير العلمي قديمًا وحديثًا.

محتويات الدراسة

تحتوي هذه الدراسة على مقدمة وبابين وخاتمة وثبت بالمصادر.

المقدمة، وتشتمل على:

❖ أهمية البحث وأسباب اختياره ❖ مشكلات البحث ❖ الدراسات السابقة ❖ أهداف البحث ❖ حدود الدراسة ❖ منهج البحث وخطواته ❖ صعوبات الدراسة

الباب الأول: الجانب النظري

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: التفسير العلمي للقرآن الكريم، وفيه:

- التفسير العلمي، مفهومه، والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي للقرآن
- تاريخه
- أهميته والحاجة إليه
- اختلاف الناس فيه
- الضوابط المنهجية لهذا العلم

الفصل الثاني: الإمام الرازي وتفسيره، وفيه:

- حياته
- منزلته بين العلماء
- تفسيره «مفاتيح الغيب»
- منهجه في التفسير العلمي
- الرازي وعلم الفلك

الباب الثاني: مناقشة التفسير العلمي لآيات القرآن الكريم

ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول: آيات حول الظواهر السماوية

الفصل الثاني: آيات حول الظواهر الأرضية

الفصل الثالث: آيات حول الظواهر بين السماء والأرض

الفصل الرابع: آيات حول الإنسان

الفصل الخامس: آيات حول الحيوان والطير

ثم تأتي الخاتمة مشتملة على أهم النتائج والاقتراحات،

ثم المصادر والفهارس في النهاية.

***

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البابُ الأول: الجـــانب النظـــري

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول التفسير العلمي للقرآن الكريم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تمهيد

يقول الله ﷻ: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[1].

يأتي موقف القرآن الكريم تجاه العلم واضحًا تمامًا في آيات عديدة[2]؛ فهو يحثنا على دراسة ما حولنا في هذا الكون الفسيح، ويجعل فيه العبر والدلائل لمن له عقل يتفكر ويتأمل، ويدعو إلى طلب كل علم ينتفع به الإنسان في حياته العاجلة أو الآجلة، ''فكل معرفة صحيحة هي معرفة قرآنية إسلامية''[3].

من هنا اهتمت طائفة من العلماء بالنظر إلى القرآن الكريم نظرة علمية، ووضعوا قواعد وأسس يمكن من خلالها إضافة نوع متميّز من التفسير؛ وهو ما أطلق عليه: «التفسير العلمي».

وفي الصفحات التالية، تأتي مناقشة مختصرة لهذا النوع من التفسير، من عدة جوانب مختلفة.

---

(1) فصلت: ٥٣.
(2) انظر على سبيل المثال: سورة الأعراف: 185، سورة يونس: 101، سورة الروم: 8، سورة الجاثية: 3- 6، سورة الذاريات: 20- 22.
(3) عباس محمود العقاد، *التفكير فريضة إسلامية*، (بيروت، المكتبة العصرية، بدون تاريخ)، ص: 83.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التفسير العلمي، مفهومه، والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي للقرآن

التفسير في اللغة: الإيضاح والتبيين.

وفي الاصطلاح: ''علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ''[1]. كما أنه يُبحث فيه عن أحوال القرآن من حيث دلالته على مراد الله، بقدر الطاقة البشرية.

وأما المقصود بـ«العلم» في موضوع البحث فهو:

العلوم الكونية والمعارف والصنائع، وما جدّ ويجد في العالم من فنون ومعارف، كعلم الهندسة والحساب والهيئة والاقتصاد والاجتماع والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات وعلم طبقات الأرض...إلخ[2].

وبهذا يمكن تعريف «التفسير العلمي» بأنه:

''التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن في ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه، من حيث إنه يتضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التي لم يكن يعرفها البشر وقت نزول القرآن؛ فدل ذلك على أنه ليس من كلام البشر، ولكنه من عند الله''[3].

و«إعجاز القرآن» يعنى به: إعجاز الناس أن يأتوا بمثله. فإذا أضفنا إليه الناحية العلمية، أمكَن تعريفه بأنه: ''إخبار القرآن بحقيقة كونية أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ، مما يظهر صدقه فيما بلَّغ عن رب العزة ﷻ''[4].

والفرق بين «الإعجاز العلمي» و«التفسير العلمي» للقرآن:

---

[1] بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي، *البرهان في علوم القرآن* ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، (مصر، دار إحياء الكتب العربية، ط 1، 1957)، 1/ 13.

[2] أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 19، 20، 64.

[3] السابق، ص: 66.

[4] أحمد فؤاد باشا، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، (مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بدون تاريخ)، ص: 701.

أن **الإعجاز العلمي** يقصد به: بيان سبق القرآن الكريم إلى الإخبار بحقيقة كونية قبل أن يكتشفها العلم التجريبي. أما **التفسير العلمي**، فيراد به: الكشف عن معانٍ جديدة للآية القرآنية في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية، دون إسراف في التأويل. أي: أن تكون هذه العلوم في خدمة تفسير القرآن، كما خدمته علوم اللغة والأصول والفقه وغيرها من مجالات العلوم الشرعية[1].

فالتفسير العلمي : اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القرآن الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي ، على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل على صلاحيته لكل زمان ومكان.

والإعجاز العلمي : إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ[2].

***

(1) السابق، ص: 703.
(2) عبدالله بن عبدالعزيز المصلح، *ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة* ، (بحث منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.eajaz.org)، ص: 6.

تاريخ التفسير العلمي

بعد أن كثرت الفتوحات الإسلامية، واتسعت رقعة الإسلام، ودخل تحت لوائه أمم وشعوب لا تعرف العربية؛ اختلط المسلمون بهم، ولم يغلقوا دونهم منافذ التبادل الثقافي.

من هنا، جاءت الحاجة إلى ترجمة علوم هذه الأمم الداخلة في الإسلام، فترجمت وهذبت ونقحت في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد وابنه المأمون[1]

> ''وذاعت ثقافتها بين المسلمين على اختلاف أجناسهم. فكان من مقتضيات الحكمة: التوفيق بينها وبين القرآن من ناحية، وفهم القرآن في ضوئها من ناحية أخرى. وإنما كان ذلك من مقتضيات الحكمة، لأن الإسلام ليس عدوًا للعلم كما يزعم الأفاكون، بل هو صديق العلم وحليفه إن لم نقل كأنه هو. بهذه الأسباب بدأت العلوم الكونية تدخل في تفسير القرآن وتمتزج به، على اعتبار أن هدايته وإعجازه لا يفهمان فهمًا صحيحًا كاملًا بالنسبة إليهم إلا عن طريق هذه العلوم والمعارف''[2].

وبما أن الفلسفة قديمًا –في العصور اليونانية والمسيحية – كانت أم العلوم، وكانت العلوم الكونية وعلوم الطب والهندسة وغيرها تدخل في إطار العلوم الطبيعية [3]، تم الاعتماد علي الفلسفة كمصدر أساسي في النهضة الفكرية عند المسلمين، وشهد علماء الإسلام للفلاسفة بتفوقهم في العلوم الطبيعية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

> ''والخطأ فيما تقوله المتفلسفة في الإلهيات والنبوات والمعاد والشرائع أعظم من خطأ المتكلمين ؛ وأما فيما يقولونه في العلوم الطبيعية والرياضية ، فقد يكون صواب المتفلسفة أكثر

---

[1] أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 92.
[2] محمد عبدالعظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، (بيروت، دار الفكر، ط1، 1996)، 2/ 70 بتصرف يسير.
[3] كانت الفلسفة تشتمل على ثلاثة محاور رئيسية: منطق وإلهيات وطبيعيات. والعلوم الطبيعية هي: العلوم التي تهتم بدراسة النواحي الفيزيائية الطبيعية المادية غير البشرية لكافة الظواهر الموجودة على الأرض والكون المحيط بنا.

من صواب من رد عليهم من أهل الكلام ، فإن أكثر كلام أهل الكلام في هذه الأمور بلا علم ولا عقل ولا شرع"[1].

ومع تقدم الزمان وتطور الثقافات، بدأت العلوم تتحرر من الصبغة الفلسفية التي كانت غالبة عليها

"من المشهور أن العلوم، مع تداول الأيام ومرور الزمان، تزداد مواضيعها سعة، وتتغير مباحثها جزئيًا بحسب ما يستلزمه التقدم فيها. فترون علمًا تتفرع منه فروع مجهولة سابقًا، وربما تصير الفروع علومًا جديدة قائمة بذاتها وأصلًا لعلوم أخرى تتفرع منها أيضًا. وكذلك ما كان موضوعَ علمٍ ما، صار قسمٌ منه موضوعَ علم آخر أو علوم أخرى. فنجد أحيانًا أن ما كانت القدماء يعنون باسم علم كذا، لا يطابق ما نعنيه بذلك الاسم في عصرنا"[2].

وأثبت العلم الحديث أن معظم ما كان عليه الفلاسفة ما هو إلا معلومات مبنية على المشاهدة والتأمل أو استخدام أدوات بحثية بسيطة

"مر على المسلمين زمن كانوا يستعينون فيه على تفسير القرآن بأفكار أرسطو وأفلاطون وبقراط وفيثاغورس وجالينوس وبيدپاي من فحول اليونان والهنود وغيرهم. أما نحن الآن، ففي وقت لا يكفينا فيه رأي الأقدمين وحدهم؛ فقد استدار الزمان وحدثت حوادث، وظهرت أقضية وأمور جديدة تستوجب

---

[1] أحمد عبدالسلام بن تيمية، *الرد على المنطقيين*، (بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ)، ص: 311.
وهذا لا يعني أن علماء المسلمين كانوا مجرد ناقلين لهذه الثقافات فقط؛ بل عملوا على الرد على ما وجدوه يتعارض مع الدين، كما فعل الإمام أبو حامد الغزالي في «تهافت الفلاسفة» وكذلك الإمام الرازي في تفسيره، حين يتعرض لنظريات الفلاسفة التي تبدو متعارضة مع الدين.

[2] كارلو نللينو، *علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى*، (بغداد، مكتبة المُثنى، بدون تاريخ)، ص: 18.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البحث فيما قاله أهل هذا الوقت، مثل: ليبنتز وأوجست كونت وسبنسر من كبار الألمان والفرنسيس والإنجليز وغيرهم"[1].

ومن ناحية أخرى، فإن التفسير العلمي لم تتضح معالمه، ولم يأخذ طابعه الحالي إلا في التفسير الحديث. أما في التفسير القديم، فقد كان وجوده ضمنيًا، ولم يسم أحد من المفسرين القدامي هذا الاسم؛ وإنما كان يشمل استنباط أي علم من القرآن –كما تناوله الإمام الرازي–، ليشمل العلوم النظرية –مثل المنطق والفلسفة– إلى جانب العلوم الطبيعية[2].

فالمقصود بالتفسير "العلمي الحديث" –بالدرجة الأولى– العلم الطبيعي الذي يخضع للملاحظة والتجربة والاختبار. وعلى هذا الأساس، أضحت علوم الطبيعة "آلات تتيح للمفسر التأمل والوصول إلى الغرض من عرض آيات الآفاق وإدراك ما انطوى فيها من دلائل الألوهية وتفصيلها بتلك العلوم"[3].

وصار من الطبيعي أن يظهر في مجال الدراسات الإسلامية مبحث خاص من مباحث علوم القرآن، يعنى بدراسة الآيات الكونية، في إطار مِن توافق الحقائق العلمية مع ما أنبأ به القرآن أو أشار إليه [4]. وأصبح الاتجاه إلى التفسير العلمي آخذًا في الزيادة يومًا بعد يوم، ويتدرج إلى مزاحمة اتجاهات التفسير الأخرى، حتى ليكاد يخلو له الميدان اليوم[5].

***

[1] محمود سالم، «كلمة في السياحة المفيدة، وفي العلم وأهله»، مجلة المنار ، (رجب، 1329)، ص: 2441.
[2] أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 354.
[3] منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، (رسالة دكتوراة منشورة، القاهرة، مكتبة وهبة، ط1، 2010)، ص: 59.
[4] أحمد فؤاد باشا، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، ص: 703.
[5] أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 352.

أهمية التفسير العلمي والحاجة إليــه

بدأت العلوم الطبيعية تأخذ مكانها في كتب التفسير وتمتزج به، وكان لذلك آثار كبيرة في التفسير العلمي وإبراز أهميته، منها:

أولًا: المساعدة على زيادة فهم الآيات القرآنية، وتعميق هذا الفهم.

يقول الراغب الأصفهاني:

> "إن القرآن وإن كان في الحقيقة هداية للبرية، فإنهم لن يتساووا في معرفته، وإنما يحيطون به بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم. فالبلغاء تَعرف من فصاحته، والفقهاء من أحكامه، والمتكلمون من براهينه العقلية، وأهل الآثار من قصصه، ما يجهله غير المختص بفنه. وقد علم أن الإنسان بقدر ما يكتسب من قوته في العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه"[1].

ويرى أحمد فؤاد باشا أن كل ما يساعد من حقائق العلم على تعميق فهمنا لمعاني القرآن الكريم وتعاليمه وأحكامه، هو ما يجب الأخذ به. وكم في القرآن من آية إذا مستها يد العلم، أبانت أسرارها وأظهرت إعجازها![2]

ثانيًا: تعميق اليقين الإيماني عند المؤمنين.

فالقرآن الكريم حافل بذكر آيات الله في خلقه، متخذًا من التفكير فيها مدخلًا رحيبًا إلى الإيمان الخالص بالله، عن طريق استشعار وحدانيته سبحانه وقدرته وبديع صنعه في المخلوقات. وفي القرآن أساليب بلاغية متنوعة في الدعوة إلى النظر في آيات الله في السموات والأرض، والشمس والقمر ومنازله، والمشارق والمغارب، والبروج والنجوم والكواكب، والليل والنهار، والظلمات والضياء والنور، والبحار والأنهار والعيون، والرياح اللواقح والسحاب الثقال، والبرق والرعد والصواعق والمطر، والجبال الراسيات، والجنات والنخيل والأعناب والزيتون والرمان، والنمل والنحل والبعوضة

---

[1] أبو القاسم الحسين بن محمد، *تفسير الراغب الأصفهاني*، تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني، (مصر، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط1، 1999)، 1/ 10.

[2] أحمد فؤاد باشا، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، ص: 705.

والعنكبوت، والطير الصافات، واللبن يخرج من بين الفرث والدم، والشراب الشافي يخرج من بطون النحل، وخلق الإنسان من تراب ومن ماء مهين، وفلق الحب والنوى، وفلق الإصباح، وإخراج الحي من الميت والميت من الحي.. كل هذا مما يوجهه القرآن الكريم لأولي الألباب الذين يعقلون ويتدبرون ويتفكرون[١].

وتفصيل القرآن في ذكر الكائنات والظواهر الكونية الكثيرة والمتنوعة يقود بلا شك إلى الاعتراف بالخالق والإيمان به، وإلى عبادته وتعظيمه.

ثالثًا: درء الفتن ودفع الشبهات التي يلبسها غير المسلمين ثوب العلم.

ودفع ما يزعمه البعض من أن هناك عداوة بين العلم والدين.

رابعًا: دعوة غير المسلمين بالطرق العقلية والحكمية.

وتوصيل الحقائق الإسلامية إليهم على اختلاف أجناسهم وأوطانهم، ومواكبة ''أفكار الناس ومشاربهم في تفسير القرآن بما يشبع حاجتهم من ثقافات علمية وكونية، لأن المفسر لا يفسر لنفسه، وإنما يفسر لغيره''[٢].

خامسًا: تحفيز المسلمين وتنشيط هممهم في المجال العلمي:

للأخذ بأسباب النهضة العلمية، وتعميق ما خوطبنا به في القرآن؛ لا سيما وأهل عصرنا لا يذعنون بشيء مثل إذعانهم للعلم ومنهجه وبيناته ودلائله[٣].

ومن إعجاز القرآن أن يكون قد ادَّخر من أوجه التحدي ما كان الله وحده يعلم أن البشرية ستصير إليه في الاتجاه العلمي. يقول الرافعي: ''إن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلًا على إعجاز آخر، فهو يومئ إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل''[٤].

***

[١] أحمد فؤاد باشا، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، ص: 704 بتصرف. وقد تعرض الإمام الرازي لمعظم هذه القضايا في تفسيره.
[٢] أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 98.
[٣] أحمد فؤاد باشا، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، ص: 708، 708.
[٤] مصطفى صادق الرافعي، *إعجاز القرآن والبلاغة النبوية*، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط9، 1973)، ص: 131.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اختـلاف النـاس في التفسير العلمي

كان تفسيرُ القرآن الكريم في ضوء الأمور الكونية والعلوم الإنسانية وربطُه بها محلَّ أخذ وردّ بين العلماء على اختلاف المراحل التي مر بها التفسير منذ أن ترجمت العلوم ودونت حتى يومنا هذا. وانقسم العلماء، منذ عصر مبكر، إزاء هذا الأمر؛ وبرزت في مناقشاتهم القضية الآتية:

''هل النص القرآني يمكن أن يشتمل على المعارف كلها، فتضاف إليه الفلسفة والعلم التجريبي والفكر الاجتماعي والسلوكي والأخلاقي؛ أو أن القرآن كتاب هداية وتوجيه، وما يدل عليه من بعض الآثار العلمية الأخرى ليس إلا للتدبر والاتعاظ؟''[1].

فهناك من أيده وعمل به (وفيهم المغالون والمعتدلون)، وهناك من عارضه.

المؤيدون

وكان منهم الذين توسعوا فيه، وذهبوا إلى أن القرآن اشتمل على كل صغيرة وكبيرة من العلوم، وأنه ما فُرّط فيه من شيء، منهم:

١ -الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505هـ):

وهو من اشتهر عنه القول بأن القرآن مشتمل على كل العلوم. وهذا القول يختلف عن مفهوم الفلاسفة؛ إذ ''اتجه فيه اتجاهًا صوفيًا، ربط ظهور العلوم في القرآن بالذات الإلهية، وجعل الطريق إلى إدراك أسرار القرآن غزارةَ العلوم وصفاء القلوب''[2].

وقد كان -إلى عهده- أكثر من استوفى القول فيه وعمل على ترويجه في الأوساط العلمية الإسلامية، مما يدل على أن الفكرة كانت موجودة قبل الغزالي، منذ أن ترجمت العلوم المختلفة[3].

---

(١) أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 103.
(٢) هند شلبي، *التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق*، (تونس، الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين، 1985)، ص: 45.
(٣) أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 146.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ - الإمام الفخر الرازي (ت 606هـ):

الذي تدور حوله هذه الدراسة، فقد "طبق في تفسيره ما جدَّ في البيئة الإسلامية من ثقافة فكرية على آيات القرآن الكريم، مستدلًا بذلك على وحدانية الله تعالى وقدرته وإرادته وواسع علمه"[١].

٣ - الإمام الزركشي (ت 794هـ):

صاحب «البرهان في علوم القرآن»، إذ يقول: " كتاب الله بحره عميق ، وفهمه دقيق، لا يصل إلى فهمه إلا من تبحر في العلوم ... فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله تعالى وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وصفاته وأفعاله ، فهذه الأمور تدل على أن فهم معاني القرآن مجالٌ رحب ومتسع بالغ ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليتقي به مواضع الغلط ، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط والغرائب التي لا تفهم إلا باستماع فنون كثيرة"[٢].

٤ - الإمام جلال الدين السيوطي (ت 910هـ):

وقد عقد بابًا في «الإتقان» تحت عنوان: "في العلوم المستنبطة من القرآن"، حيث ذكر أنه ما من باب ولا مسألة هي أصل إلا وفي القرآن ما يدل عليها. ومضى السيوطي يعدد ما فيه من علوم حتى وصل إلى علم الهيئة، والهندسة، والجبر، والمقابلة، والنجامة، والملاحة، والصبغ إلخ[٣].

٥ - الشيخ محمد عبده (ت 1323هـ):

وهو أبرز طلائع النهضة الحديثة في تفسير القرآن، غير أنه لم يترك إلا ثروة يسيرة فيه. ومما أخذ عليه أنه غالى في استنباط المسائل العلمية من آيات القرآن، حتى فسر الحجارة من سجيل بجرثوم الجدري والحصبة[٤]!

---

[١] أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 150.

[٢] محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت، دار المعرفة، 1391)، 2/ 153-155.

[٣] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، مكتبة المشهد الحسيني، ط 1، 1967)، 4/ 24 وما بعدها.

[٤] محمد عبده، *تفسير جزء عم*، (مصر، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، الجمعية الخيرية الإسلامية، ط3، 1341)، ص: 157.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصواب أننا لا نريد أن نحمل الآيات ما لا تتحمله من معانٍ، ولا نريد أن نعتبر علمية القرآن في مجرد إشارة بالكلمة العادية، فنبني عليها علمًا كاملًا في كلياته وجزئياته؛ فنتكلف ما يتنافى مع الإعجاز، ونبتعد بالقرآن عن الهداية التي لا تكون إلا مع البساطة والوضوح.

وهناك آخرون من المعاصرين ممن أيد التفسير العلمي وعمل به باعتدال [1]**، على سبيل المثال:**

٦ - الشيخ محمد بخيت المطيعي (ت 1354هـ):

وله كتاب «تنبيه العقول الإنسانية لما في آيات القرآن من العلوم الكونية والعمرانية».

٧ - الشيخ عبدالحميد بن باديس (1359هـ):

له تفسير «مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير»، وكان يرى أن القرآن أعجز العرب ببلاغته، بينما أعجز كل ذي فهم من جميع الأمم في كل زمان ومكان بناحيته العلمية.

٨ - الشيخ محمد مصطفى المراغي (ت 1364هـ):

ذكر في تقريظه لكتاب «الإسلام والطب الحديث» لعبدالعزيز إسماعيل أنه لا يريد أن يقول إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلًا بالأسلوب العلمي المعروف، وإنما أتى بأصول عامة لكل ما يهم الإنسان معرفته والعمل به ليبلغ درجة الكمال جسدًا وروحًا، وترك الباب مفتوحًا لأهل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها في الزمان الذي هم عائشون فيه [2].

وقال: "يجب ألا نجر الآية إلى العلوم كي نفسرها، ولا العلوم إلى الآية كذلك؛ ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة، فسرناها بها" [3].

---

[1] أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 219- 270.
[2] قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، دراسات في مناهج المفسرين، (بدون تاريخ)، ص: 173.
[3] نقلًا عن: أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 118.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المعارضون

١ - الإمام أبو إسحاق الشاطبي (ت 790هـ):

ذهب إلى أن الشريعة أميةٌ، لأمّة أميّةٍ؛ فلا يليق بها من البيان إلا الأمي[١].

والعجيب كيف يصدر هذا التعبير عن هذا الإمام الأصولي العظيم الذي كان يعيش في الأندلس، منارة العلم والحضارة بفضل الإسلام؟! والقرآن ليس قصرًا على العرب والأميين؛ إنما هو دعوة عالمية تخاطب العربي وغير العربي، والأمي والحكيم إلى يوم القيامة[٢].

"تفسير قوله: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا ﴾ الآية[٣] بعلم الهيئة الذي ليس تحته عمل غير سائغ؛ ولأن ذلك من قبيل ما لا تعرفه العرب، والقرآن إنما نزل بلسانها وعلى معهودها... وكذلك القول في كل علم يُعزى إلى الشريعة لا يؤدي فائدة عمل، ولا هو مما تعرفه العرب؛ فقد تكلف أهل العلوم الطبيعية وغيرها الاحتجاج على صحة الأخذ في علومهم بآيات من القرآن، وأحاديث عن النبي ﷺ"[٤].

ورفض العلوم الطبيعية والفلسفية

"قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[٥] لا يدخل فيه من وجوه الاعتبار علوم الفلسفة التي لا عهد للعرب بها، ولا يليق بالأميين الذين بُعث فيهم النبي الأمي ﷺ بملة سهلة سمحة، والفلسفة –على فرض أنها جائزة الطلب– صعبة المأخذ، وعرة المسلك، بعيدة الملتمس، لا يليق الخطاب بتعلمها كي تُتعرف آيات الله ودلائل توحيده

---

[١] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، *الموافقات*، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، (القاهرة، دار ابن عفان، ط1، 1997)، 1/ 56، 68.

[٢] هند شلبي، *التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق*، ص: 23.

[٣] ق: ٦.

[٤] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، *الموافقات*، 1/ 59.

[٥] الأعراف: ١٨٥ .

للعرب الناشئين في محض الأمية؛ فكيف وهي مذمومة على ألسنة أهل الشريعة، مُنبَّهٌ على ذمها؟!... فإذا ثبت هذا؛ فالصواب أن ما لا ينبني عليه عمل غيرُ مطلوب في الشرع"[1]

ويبدو أن سبب رفض الشاطبي لذلك ما كان يراه من عدم مناسبة الألفاظ الكلامية والفلسفية لموضوع القرآن، ومن المعلوم أنها كانت تملك زمام العلوم أيامها.

٢ - محمد رشيد رضا (ت 1354هـ):

لقد رأى الشيخ أنه لا ينبغي التوغل والتوسع في المسائل العلمية ولا في غيرها مما يشغل الأذهان، وعدَّها صارفًا عن هداية القرآن، لأجل هذا عاب على الإمام الرازي منهجه في تفسيره

"كان من سوء حظ المسلمين أن أكثر ما كتب في التفسير يشغل قارئه عن هذه المقاصد العالية، والهداية السامية. فمنها ما يشغله عن القرآن بمباحث الإعراب وقواعد النحو ونكت المعاني ومصطلحات البيان، ومنها ما يصرفه عنه بجدل المتكلمين وتخريجات الأصوليين، واستنباطات الفقهاء المقلدين، وتأويلات المتصوفين، وتعصب الفرق والمذاهب بعضها على بعض، وبعضها يلفته عنه بكثرة الروايات، وما مزجت به من خرافات الإسرائيليات. وقد زاد الفخر الرازي صارفًا آخر عن القرآن، هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها، وقلده بعض المعاصرين بإيراد مثل ذلك من علوم هذا العصر وفنونه الكثيرة الواسعة، فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية فصولًا طويلة بمناسبة كلمة مفردة كالسماء والأرض من علوم الفلك والنبات والحيوان، تصد قارئها عما أنزل الله لأجله القرآن. نعم إن أكثر

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، *الموافقات*، 1/ 65، 66.

ما ذكر من وسائل فهم القرآن، فنون العربية لابد منها، واصطلاحات الأصول وقواعده الخاصة بالقرآن ضرورية أيضًا، كقواعد النحو والمعاني، وكذلك معرفة الكون وسنن الله تعالى فيه— كل ذلك يعين على فهم القرآن"[1].

وهذا الرأي له وجهته في مواجهة ذلك اللون الجاف من التفسير العلمي، الذي يبتعد عن روح القرآن وأهدافه النبيلة.

الراجح

جواز هذا النوع من التفسير، بل استحبابه؛ لا سيما في مثل هذا العصر المادي، وفي ظل هذا التطور العلمي الهائل؛ لإبراز ما تحمله رسالة القرآن من هداية للبشرية كلها، وموافقتها وصلاحيتها لكل العصور والأجيال.. بيد أنه ينبغي التنبه إلى عدة ضوابط منهجية، يلزم الأخذ بها عند الشروع في مثل هذا اللون من التفسير، حتى لا نخرج القرآن الكريم من رونقه، أو نحمّل الآيات ما لا تحتمله، أو نتقوّل على الله بغير علم.

***

[1] محمد رشيد بن علي رضا، *تفسير المنار*، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، 1/ 8.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الضوابط المنهجية للتفسير العلمي

أولًا: علم الله هو العلم الشامل المحيط الذي لا يعتريه خطأ ولا يشوبه نقص؛ وعلم الإنسان محدود، يقبل الازدياد ومعرَّض للخطأ؛ فلا يوجد تعارض بين نصوص الوحي القاطعة التي تصف الكون وأسراره — على كثرتها، وبين الحقائق العلمية المكتشفة— على وفرتها[1].

ثانيًا: إذا كان القرآن لا يتعارض مع الحقائق العلمية الثابتة المبنية على اليقين، فهو يمكن أن يتعارض مع الآراء والنظريات التي لم تصل إلى درجة الحقائق العلمية الثابتة. فكثير من النظريات التي كانت سائدة على مدار التاريخ، ويُعتقد أنها ثابتة، أثبت العلم الحديث بطلانها كما سيتضح في ثنايا هذا البحث. ولذا، كان لابد من التفرقة بين **الفرضية** (وهي: مجرد تخمين علمي، يحتاج إلى إثبات عن طريق التجربة، ويحتمل الصحة أو البطلان أو التعديل)، **والنظرية العلمية** (وهي: ما أيدتها نتائج كثيرة حتى غلبت نسبة صحتها)، **والحقيقة الثابتة** (وهي: ما توافرت النتائج المساندة لها حتى أصبح مقطوعًا بصحتها، ويمكن وضعها في صيغة عامة، وهي ما تسمى: قانونًا). فالحقيقة العلمية هي التي لا يتعارض معها القرآن[2].

ثالثًا: الحقيقة العلمية –التي يعرف العلم معناها وحدودها – لا تبطل مع الزمن؛ ولكنها قد تزداد –مع جهود العلماء المتتابعة– تفصيلًا ووضوحًا وجلاءً، وذلك لأن طبيعة المعرفة العلمية تتميز بالنمو المطرد في اكتشاف القوانين التي تلقي الضوء شيئًا فشيئًا على حقائق الواقع الثابت في الكون، بعد أن أشارت إليها آيات من القرآن العظيم.

رابعًا: ليس شرطًا أن يوجد في القرآن ما يؤيد كل حقيقة علمية يتوصل إليها الإنسان، إذ ليس هذا مقصود القرآن. لأجل هذا، لا نقر ما ذكره طائفة من المؤيدين للتفسير العلمي من أن القرآن اشتمل على كل صغيرة وكبيرة من العلوم أو اشتمل على أصل كل مسألة؛ لأن القرآن ليست مهمته أن يبحث في الشؤون الكونية والمسائل

---

[1] انظر: أحمد فؤاد باشا، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، ص: 707، 708.
[2] انظر: أحمد عمر أبو حجر، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، ص: 83، 84.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العلمية والفنية على الشكل المألوف في الكتب الخاصة الموضوعة فيها، وإنما يهدف من وراء ذلك إلى تقرير حقيقة الألوهية[1].

خامسًا: يجب التقيد بما تدل عليه اللغة العربية؛ فلابد من مراعاة معاني المفردات وفقه استعمالها، والقواعد النحوية ودلالاتها، والقواعد البلاغية ودلالاتها؛ خصوصًا قاعدة «ألا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلا بقرينة كافية».

سادسًا: يجب ألا تجعل حقائق القرآن موضع نظر؛ بل تكون هي الأصل، فما وافقها قُبِل، وما عارضها رفض. فالمرجعية تكون للحقائق القرآنية، وليس للعلم التجريبي.

سابعًا: يجب أن لا يصادم التفسير العلمي أصلًا معلومًا بنفس دلالة القرآن والسنة[2].

ثامنًا: يجب على الباحث في التفسير أو الإعجاز العملي للقرآن الكريم أن يكون ملمًّا بالقدر الكافي من علوم القرآن، وأن يرجع إلى أمهات كتب التفسير رجوع المتعلم المتأني، وأن يسأل أهل الذكر والتخصص عند اللبس. كما يجب عليه أن يكون على معرفة تامة بالظاهرة العلمية قيد البحث، وتاريخ المصطلحات الفنية المتعلقة بها.

***

[1] انظر: السابق، ص: 118، 119.
[2] عبدالله بن يوسف الجديع، *المقدمات الأساسية في علوم القرآن*، (بريطانيا، مركز البحوث الإسلامية، ليدز، ط1، 2001)، ص: 390.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني الإمام الرازي وتفسيره

تمهيد

استفاضت كتب التراجم القديمة والحديثة في الكلام عن الإمام الرازي وجهوده، بيد أن طبيعة هذه الدراسة تقتضي ذكر طرف من سيرته ورحلته العلمية الطويلة؛ وليس المقصود بها الاستقصاء.

يدور هذا الفصل حول:

حياة الإمام الرازي وعلمه، عصره ورحلاته وأثرهما في فكره، مؤلفاته، خاتمة حياته، منزلته بين العلماء، تفسيره مفاتيح الغيب ومنهجه في التفسير العلمي، واهتمامه بعلم الفلك خاصة.

حياة الإمام فخر الدين الرازي

(544- 606هـ/ 1150- 1210م)

اسمه ونسبه:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن علي، التيمي البكري، نسبة إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، القرشي النسب، الطبرستاني الأصل، الرازي المولد، الشافعي الأشعري، الملقب بابن خطيب الرَّي أو ابن الخطيب، والمعروف بالفخر أو فخر الدين الرازي.

مولده:

ولد سنة 544، وقيل: 543هـ[1]، في مدينة الرَّي، وإليها نسبته، و هي العاصمة الكبرى يومئذ لبلاد العراق العجمي شرقي سلسلة الجبال الإيرانية الكبرى؛ وقد بادت الآن، وتوجد خرائبها على مقربة من مدينة طهران عاصمة إيران[2].

نشأته:

هو عربي قرشي، بيد أنه نشأ في البلاد الأعجمية وعاش فيها، انتقل والداه من طبرستان إلى الري قبل مولده واستقرت بها، وكانت أسرةً مشتهرة بالعلم والفضل.

تلقى الإمام رعاية خاصة من أبيه، لما رأى عليه من علامات النجابة، ولما توقع له من مستقبل باهر.. فكان له أبًا وشيخًا. وكان له أخ يقال له: ركن الدين، لكنه لم يكن له شأن يذكر في العلم، وكان كثير الازدراء بأخيه، لا سيما بعد ما ذاع صيطه في العلم[3].

ثقافته وشيوخه:

ألمَّ الإمام بجميع فروع الثقافة في عصره. ولم يترك فنًّا إلا وتعلمه وصنف فيه[4].

وكان الإمام شديد الحرص جدًا في العلوم الشرعية والحكمة[1]، رزقه الله حفظًا ثاقبًا

---

(1) منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، ص: 14.
(2) محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، (القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، 1970)، ص: 68.
(3) فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، (الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1976)، ص: 11.
(4) السابق، ص: 11.

وذهنًا وقّادًا، فلّعانه ذلك على الفهم، واستطاع في وقت وجيز أن يحصل من العلم ما لا يحصله غيره إلا في وقت طويل[٢].

تعلم الإمام أولًا على يد أبيه ضياء الدين عمر (ت 559هـ)، أخذ عنه الفقه الشافعي والكلام الأشعري[٣]؛ وكان أبوه من تلامذة محيي السنة أبي محمد البغوي (ت 510هـ).

كما درس الأصول على أبيه وأبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري، الذي أخذ عن الجويني[٤].

وقرأ بعد والده على الكمال السمناني، وقيل: الطبسي، صاحب «الحائز» في علم الروحاني[٥].

اتجه إلى العلوم العقلية ومذاهب الفلاسفة والمتكلمين، ف قرأ الحكمة اليونانية على المجد الجبلي ومجد الدين الجيلي، من كبار الحكماء.

اشتغل بالكيمياء، وعرف السحر والقيافة، كما عرف الهندسة وعلم التنجيم.

ومقامه لا ينكَر في علوم اللغة العربية بأقسامها المختلفة.

تعلم الطب، حتى ذكره ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء بقوله: ''كان قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها''[٦].

وخلاصة القول، أنه اكتمل حظ الإمام من الثقافة الإسلامية، فنشأ محلقًا في أُفقها بجناحين من اللغة العربية والفارسية، وكانت له اليد البيضاء في الوعظ بهما. وأصبح علَمًا مفردًا في الجمع بين الفنون، فعَلَت سمعته وعظم صيته[٧].

---

[١] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، *الوافي بالوفيات* ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، (بيروت، دار إحياء التراث العربي ، ط1، 2000)، 4/ 175.

[٢] عبدالرحمن بن معاضة الشهري ، «الإمام فخر الدين الرازي» ، (قناة المجد العلمية، حلقة من برنامج : أهل التفسير، http://vb.tafsir.net/tafsir20586/#ixzz2gOfPtqtO).

[٣] أيمن شحاته، The teleological ethics of fakhr ad-dīn ar-Rāzī، (بوستون، ليدن، 2006)، ص: 4.

[٤] فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 13.

[٥] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 4/ 176.

[٦] أبو العباس أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، مكتبة الحياة، بدون تاريخ)، ص: 462.

[٧] محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، ص: 69، 70 بتصرف.

تلامذته:

كان الإمام إذا ركب يمشي حوله نحو ثلاثمائة تلميذ من الفقهاء وغيرهم، وكان خوارزم شاه يأتي إليه ويسمع منه.

من تلامذته:

- زين الدين الكشي، والقطب المصري، وشهاب الدين النيسابوري؛ كانوا من كبار تلامذته ومن أكثر الناس تقديرًا له، وكان ينيبهم أحيانًا في الإجابة عنه، فإن غم عليهم أجاب هو[1].
- إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصبهاني، الذي أملى الإمام عليه وصيته.
- شاعر الشام الرحالة شرف الدين ابن عُنَين، كان في مدرسة خوارزم؛ وقد اختص الإمامَ برثاء[2].

منزلته الاجتماعية:

كان الإمام في بداية حياته فقيرًا ثم فتحت عليه الأرزاق، فملك ثروة ضخمة، وكان يفوق أصحاب أكبر المناصب سلطةً وجاهًا وصولجانًا. وترجع ثروته إلى أسباب ثلاثة:

- كثرة مؤلفاته، لا سيما بعد أن ذاع صيطه.
- عطايا الملوك والأمراء الذين اتصل بهم.
- زوَّج ابنيه ضياء الدين وشمس الدين لبنتي طبيب غني بالري، فلما مات انتقلت ثروته له.

لم يشغل الإمام منصبًا رسميًا طول حياته، ولكنه عاش قريبًا من السلطة والسلاطين، وبلغ من منزلته عندهم أنه كان يأمرهم فيأتمرون، ويعنفهم أحيانًا فيقبلون منه ذلك، ويطلب منهم المجيء إلى حلقة دروسه فيمتثلون، وكانت دور السلطنة تعد لإقامته، وتشيد المدارس ليلقي بها دروسه[3].

---

[1] فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 17.
[2] محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، ص: 70، 71.
[3] انظر: فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 4- 6.

عصره من الناحية العلمية:

جاء الإمام في عصر اشتد فيه علم الكلام، وزادت فيه المناظرات والمناقشات بين أتباع المذاهب المختلفة، من معتزلة وأشاعرة وكرامية وغيرهم؛ كما كان للفلسفة الحظ الوافر من الاهتمام

عصره من الناحية السياسية:

رافق هذا الشموخ العلمي والثقافي عصرٌ تعصف به الفتن والأحداث؛ إذ ضعف مركز الخلافة العباسية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، واختلفت الأمة الإسلامية، وتفرقت كلمتها، وكانت هدفًا للحملات الصليبية؛ فسادت الفوضى، وعم الخوف، وزاد تفكك المسلمين[٢].

---

[١] محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، ص: 67، 68 بتصرف يسير.
[٢] منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، ص: 21.

ويمكن الإشارة إلى أهم الظواهر التي سادت هذا العصر، والعوامل التي كانت سببًا في الاضمحلال والتقوقع، وهي بإيجاز[1]:

- هذا العصر مليء بالأحداث المثيرة والعجيبة في الميادين المختلفة.
- هو عصر الاضطرابات السياسية والفكرية والدينية.
- المغول يطرقون الحدود الشرقية، لضعف ملوك وسلاطين المسلمين بسبب تناحرهم فيما بينهم.
- الحروب الصليبية تهدد البلاد الإسلامية غربًا، وكانت المراكز الحضارية مسرحًا لها.
- ملوك المسلمين يستعينون بالأجانب، أي هؤلاء الأعداء من كل جنس ودين، في الحروب التي تقع بينهم.
- البناء الاجتماعي يصبح هشًّا.
- الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية يشتد الصراع بينها جميعًا.
- الفكر يزدهر ويتنوع، بظهور العلماء الأعلام كالرازي.

تنقلاته ورحلاته:

كغيره من علماء المسلمين، بدأ الإمام أسفاره بعد أن اكتمل علمه؛ فجاب البلاد وناظر العلماء واتصل بالأمراء والسلاطين [2]. تنقل الإمام في البلاد الأعجمية من الري إلى خراسان[3]، إلى خيوة[4] وبخارى[5]، وعامة بلاد ما وراء النهر [1]. ودخل البلاد العربية: العراق والشام[2].

---

[1] للوقوف على تفاصيل أكثر عن عصره، ينظر فصل: عصر فخر الرازي، من بحث: «التفكير الفلسفي لدى فخر الدين الرازي»، رسالة دكتوراة، إعداد: الرشيد قوقام، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الفلسفة، السنة الجامعية: 2004، 2005م.

[2] فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 14.

[3] خُراسان: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان؛ وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد، منها: نيسابور وهراة ومرو. ياقوت الحموي، معجم *البلدان* 2/ 350.

[4] خَيْوَقُ: بفتح أوله وقد يكسر وسكون ثانيه وفتح الواو وآخره قاف. بلد عن نواحي خوارزم وحصن، بينهما نحوخمسة عشر فرسخًا، وأهل خوارزم يقولون: خيوه. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 2/ 415.

[5] بُخارَى: بالضم من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 1/ 353.

قصد الإمام أولًا خوارزم، فجرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى العقيدة فأخرج من البلد. وقصد ما وراء النهر فجرى له أيضًا ما جرى بخوارزم، فعاد إلى الري. ولازم الأسفار، فذهب إلى السلطان شهاب الدين الغوري [٣] صاحب غزنة [٤]، فبالغ في إكرامه وحصلت له أموال عظيمة منه. ثم عاد إلى خراسان، واتصل بالسلطان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه [٥]، وصار معلمًا لولده محمد، فلما تولى الولدُ الحكم حظي عنده الإمام وصار له الجاه العريض، قيل إنه توجه رسولًا منه إلى الهند [٦]. ثم انتهى المطاف بالإمام إلى هُراة، حيث قصدها سنة (600هـ) واستوطنها، ولقب فيها بـ«شيخ الإسلام». وكان له فيها يوم مشهود، يحضر مجلسه الملوك والوزراء والعلماء والفقهاء على اختلاف مذاهبهم، يسألونه ويجيب؛ ولكنه لم يهنأ براحة في هراة.

ويبدو أن الإمام لم يعرف للراحة والهدوء طعمًا في حياته [٧]؛ إذ كان عادةً ما يترك البلدة بسبب مناظراته وكثرة مخالفيه، الذين كانوا يتآمرون عليه ويطردونه. ومع ذلك، كان

---

[١] ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له: بلاد الهياطلة، وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم. ياقوت الحموي، معجم *البلدان* 5/ 45.

[٢] محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، ص: 69.

[٣] شهاب الدين الغوري (ت 602هـ) هو:

أبو المظفر محمد بن سام الغورى، أمير غزنه، وأحد أبطال الإسلام الذين كان لهم دور بارز فى نشر الدين وإعلاء كلمة الله فى بلاد الهند. كان بطلًا شجاعًا مهيبًا جيد السيرة، يحكم بالشرع. دخل عليه يومًا الإمام فخر الدين الرازي فوعظه وقال له: ''يا سلطان العالم، لا سلطانك يبقى ولا تلبيس الرازي، ثم مردنا إلى الله''. فبكى السلطان و اشتد نحيبه حتى رحمه الناس. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، (مصر، مؤسسة الرسالة ط3، 1985)، 21/ 323.

[٤] غَزْنة: مدينة عظيمة وولاية واسعة في طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند، في طريق فيه خيرات واسعة. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، 4/ 201.

[٥] السلطان علاء الدين خوارزم شاه:

من سلاطين المملكة الخوارزمية، وهي سلالة تركية مسلمة سنية حكمت أجزاء كبيرة من آسيا الوسط وغرب إيران بين سنوات (1077- 1220م). اسمه: تكش بن إيل رسلان بخاري، ملَك سنة (594هـ) وتوفي سنة (617هـ)، أباد ملوك العالم ودانت له الممالك واستولى على الأقاليم، وكان صبورًا على التعب وإدمان السير غير متنعم ولا مقبل على لذة، إنما نهمته في الملك وتدبيره وحفظه وحفظ رعيته، وكان فاضلًا عالمًا بالفقه والأصول وغيرهما، وكان يكرم العلماء ويحب مناظرتهم بين يديه ويعظم أهل الدين. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، *الوافي بالوفيات*، 2/ 200، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، *تاريخ الإسلام*، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003)، 12 / 639.

[٦] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 4/ 176، فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 16.

[٧] فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 16، 17).

لهذه الأسفار عظيم الأثر في الإعلام عن مكانته وإذاعة صيته وصناعة شهرته، وأسهمت في نشر علمه وكتبه في الآفاق، وخلفت له تلاميذ في شتى البلدان[١].

مؤلفاته

وصف الصفديُ الرازيَ بقوله: " اجتمع له خمسة أشياء ما جمعها الله لغيره فيما علمته من أمثاله، وهي: سعة العبارة في القدرة على الكلام ، وصحة الذهن ، والاطلاع الذي ما عليه مزيد، والحافظة المستوعبة، والذاكرة التي تعينه على ما يريد من تقرير الأدلة والبراهين"[٢]. ولذا أكثر من التأليف، وانتشرت تآليفه في الآفاق، وأقبل الناس على الاشتغال بها ورفضوا كتب الأقدمين. كما أنه كان في الوعظ باللسانين العربي والفارسي مرتبة عليا، وكان يلحقه الوجد حال الخطبة فيَبكي ويُبكي[٣].

وقد خلَّف الإمام تركة ضخمة من المؤلفات.. بلغت أكثر من مائة كتاب في مختلف علوم وفنون عصره. وذكر ابن كثير أنها بلغت نحو مائتي مصنف بالتصانيف الكبار والصغار[٤]. وهناك ترتيب أبجدي لمؤلفات الإمام، موجود في كتاب « *فخر الدين الرازي* » للدكتور فتح الله خليف [٥]. كما أن هناك ترتيب تاريخي لأعماله في مقدمة كتاب: « *The teleological ethics of fakhr ad-dīn ar-Rāzi* »[٦].

وصيَّـته:

كان الإمام قد أملى رسالة على تلميذه ومصاحبه إبراهيم بن أبي بكر بن علي الأصبهاني تدل على حسن عقيدته وظنه بكرم الله تعالى ومقصده بتصانيفه وندمه على اشتغاله بالعلوم العقلية. وكان من شعره في هذا المقام:

نهاية إقدام العقول عقـال ** وأكثر سعي العالمين ضلال

ولأهمية هذه الوصية للعلماء وطلبة العلم ننقل منها:

---

[١] منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، ص: 21.
[٢] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 4/ 176.
[٣] السابق بتصرف.
[٤] إسماعيل بن عمر بن كثير، *البداية والنهاية*، 13/ 55.
[٥] (ص: 159- 165). وقد ذكر في الهامش أنه أشار إلى أماكن المؤلفات المحفوظة وبعض البيانات عن موضوعات هذه المؤلفات في (ص: 190- 203) من كتابه: A study on fakhr al-Din al-Razi and his controversies in Transoxiana, Beirut, 1966.
[٦] (ص: 5- 11).

"يقول العبد الراجي رحمة ربه ، الواثق بكرم مولاه ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي، وهو في آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة ، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس ويتوجه إلى مولاه كل آبق... فاعلموا أني كنت رجلًا محبًا للعلم، فكنت أكتب في كل شيء شيئًا، لا أقف على كمية وكيفية ، سواء أكان حقًّا أم باطلًا أم غثًّا أم سمينًا؛ إلا أن الذي نظرته في الكتب المعتبرة لي : إن هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزه عن مماثلة المتحيزات والأغراض وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة.

ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم، لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات ، وما ذاك إلا العلم بأن العقول البشرية تتلاشي وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية.

فلهذا أقول: كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذاك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى به. وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقة والغموض، فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المتبعين للمعنى الواحد فهو كما هو ، والذي لم يكن كذلك أقول: يا إله العالمين إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فلك ما مر به قلمي أو خطر ببالي، فلستشهد علمك وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق، فافعل بي ما أنا أهله ، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقرير ما اعتقدت أنه هو الحق وتصورت أنه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلة ، فأغثني وارحمني واستر زلتي وامح حوبتي ، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين ، ولا ينتقص بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة سيد المرسلين، وقائد الأولين والآخرين إلى حظائر قدس رب العالمين، وكتابي هو القرآن العظيم؛ وتعويلي في طلب الدين عليهما...

وأما الكتب العلمية التي صنفتها أو استكثرت من إيراد السؤالات على المتقدمين فيها، فمن نظر في شيء منها فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه

على سبيل التفضل والإنعام ، وإلا فليحذف القول السيء ؛ فإني ما أردت إلا تكثير البحث وتشحيذ الخاطر، واعتمادي فيه على الله تعالى"[1].

قال الصفدي: " ومن وقف على هذه الألفاظ علم ما كان عليه هذا الإمام من صحة الاعتقاد ويقين الدين واتباع الشريعة المطهرة "[2]. وقال ابن كثير: " وكان مع غزارة علمه في فن الكلام يقول: من لزم مذهب العجائز كان هو الفائز، وقد ذكرت وصيته عند موته وأنه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف"[3]. وهذا إن دلَّ فإنما يدل على إخلاص الإمام وصدقه فيما أراد، ولذا وفقه الله لهذه التوبة في تلك الوصية الجامعة.

وفاته:

توفي الإمام فخر الدين بهراة في دار السلطنة يوم عيد الفطر سنة (606هـ). وقد خلَّف الإمام ثمانين ألف دينار سوى الدواب والعقار وغير ذلك، وخلف ولدين؛ الأكبر منهما تجند في حياة أبيه وخدم خوارزم شاه، والآخر اشتغل ولا يُعلَم له ترجمة.

كما كان للإمام بنتٌ، تزوجها الوزير علاء الدين، وزير الملك خوارزمشاه، وهو رجل فاضل، نال حظًّا في العلوم والأدب، وهو الذي طلب الأمان لأولاد فخر الدين من جنكز خان (ت624هـ) لما شاهد التتر لا يُبقي على شيء، وقد وفّى جنكز خان بوعده، حينما حلَّ جيشه على أبواب هراة، حيث نادى فيها المنادي بأمره بالأمان لأولاد فخر الدين، فهرعت أعداد كبيرة من الأقرباء وأعيان الدولة، ومن الفقهاء أيضًا إلى دار فخر الدين، طلبًا للأمان، ولكن التتر فصلوا أولاد فخر الدين في ناحية، ثم قتلوا جميع من كان في الدار[4].

رحم الله الإمام، وطيب ثراه، وأجزل له المثوبة، وعامله بفضله وإحسانه، وجزاه عنا وعن الإسلام والمسلمين خيرًا.

---

(1) الوصية موجودة في: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، *تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام*،13/ 137.
(2) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 4/ 176، 177، فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 19، 20.
(3) إسماعيل بن عمر بن كثير، *البداية والنهاية*، (بيروت، مكتبة المعارف، بدون تاريخ)، 13/ 55.
(4) الرشيد قوقام، *التفكير الفلسفي لدى فخر الدين الرازي*، ص: 35، 36.

منزلته بين العلماء

ما من أحد يكون في منزلة الإمام إلا وتكثر حوله الآراء وتتباين فيه الرؤى، فمن قائل أنه مجدد دين الأمة على رأس المائة السادسة؛ ومن قائل أنه حاد عن طريق السنة وشغل الناس بكتب ابن سينا وأرسطو.. ورغم تفاوت الآراء حوله، إلا أن الكل شهد بنباهته[1].

وفيما يلي عرض لبعض الآراء حوله:

١ - ذكر الإمام ابن حجر أن الإمام له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث الحيرة.

٢ - ومن أشهر المآخذ عليه، ما نقله الصفدي أنه أكثر من إيراد الشبه والأدلة للخصوم، ولم يجب عنها بطائل[2]. إذ كان "يورد شبه المخالفين في المذهب والدين غاية ما يكون من التحقيق، ثم يورد مذهب أهل السنة والحق على غاية من الوهاء"، وكما قيل: يورد الشبه نقدًا ويحلها نسيئة[3]. وقد لاحظت ذلك أثناء قراءتي في تفسيره مواطن ليست بالقليلة على شاكلة هذا الأسلوب.

---

[1] انظر: فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 1.

[2] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 4/ 177.

ويعترف الإمام نفسه بذلك، كما ذكر في كتابه «نهاية العقول في دراية الأصول»: "كتابي يتميز على سائر الكتب المصنفة في هذا المعنى بثلاثة أمور، أحدها: الاستقصاء في الأسئلة والأجوبة ، والتعمق في بحار المشكلات على وجه ربما يكون انتفاع صاحب كل مذهب بكتابي هذا أكثر من انتفاعه بالكتب التي صنفها أصحاب ذلك المذهب. فإني أوردت من كل كلام زبدته، ومن كل بحث نقاوته، حتى أني إذا لم أجد لأصحاب ذلك المذهب كلامًا يعول عليه ويلتفت إليه في نصرة مذهبهم وتقرير مقالتهم، استنبطت من نفسي أيضًا ما يمكن أن يقال في تقرير ذلك المذهب وتحرير ذلك المطلب؛ وإن كنا نرد بالعاقبة كل رأي، ونُزيّف كل رواية، سوى ما اختاره أهل السنة والجماعة، ونبين بالبراهين الباهرة والأدلة القاهرة أن ذلك الذي يجب له الانقياد بالسمع والطاعة..." نقلًا عن: فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 9.

[3] انظر: فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، ص: 2. وانظر إلى دفاع المؤلف عن الإمام إزاء هذه الاتهامات (ص: 7- 10) من نفس الكتاب.

٣ - وقال الذهبي: ''وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر''[١].

٤ - وقال ابن كثير: '' كان يصحب السلطان ويحب الدنيا ويتسع فيها إتساعًا زائدًا، وليس ذلك من صفة العلماء، ولهذا وأمثاله كثرت الشناعات عليه؛ وقامت عليه شناعات عظيمة بسبب كلمات كان يقولها''.

ولكنه شهد له بالفضل أيضًا، إذ نقل عن ابن الأثير قولَه: '' كان إمام الدنيا في عصره''[٢].

كما أنه كان جوّادًا بالخير، فهذا يرد ما قيل في إقباله على الدنيا، قال ابن عنين: ''حصلت ببلاد العجم من جهة فخر الدين بجاهه نحوًا من ثلاثين ألف دينار''[٣].

أما عن مؤاخذته بكثرة التوسع في الدنيا، فيكفي ما نُقل عنه أن قال: ''والله إنني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل، والزمان عزيز''[٤].

٥ - وقال الشهرزوري: ''وأعجب أحوال هذا الرجل أنه صنف في الحكمة كتبًا كثيرة، توهم أنه من الحكماء المبرَّزين الذين وصلوا إلى غايات المراتب ونهايات المطالب؛ ولم يبلغ مرتبة أقلهم... واعلم أنه وإن لم يظفر بالحكمة على جليّتها، إلا أنه كان رحمه الله تعالى قوي النفس في استخراج اللطائف والفوائد من كلام الحكماء''[٥].

٦ - ورغم ما اشتهر عن شيخ الإسلام ابن تيمية من تتبعه لأقوال الإمام، إلا أنه قال عنه منصفًا: ''... وليس هذا تعمدًا منه لنصر الباطل؛ بل يقول بحسب ما توافقه الأدلة العقلية في نظره وبحثه. فإذا وجد في المعقول

---

[١] شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، 21/ 501.
[٢] إسماعيل بن عمر بن كثير، *البداية والنهاية*، 13/ 55.
[٣] انظر: منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، ص: 18.
[٤] شمس الدين الشهرزوري ، *تاريخ الحكماء المعروف بـ«نزهة الأرواح وروضة الأفراح»* ، تحقيق: عبدالكريم أبو شويرب ، (طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط1، 1988)، ص: 395، 396.
[٥] شمس الدين الشهرزوري، *تاريخ الحكماء*، ص: 393، 394.

بحسب نظره ما يقدح به في كلام الفلاسفة قدح به، فإن من شأنه البحث المطلق بحسب ما يظهر له، فهو يقدح في كلام هؤلاء بما يظهر له أنه قادح فيه من كلام هؤلاء، وكذلك يصنع بالآخرين. ومن الناس من يسيء به الظن، وهو أنه يتعمد الكلام الباطل؛ وليس كذلك، بل تكلم بحسب مبلغه من العلم والنظر والبحث في كل مقام بما يظهر له"[1].

بل كان رحمه الله رجاعًا إلى الصواب يلتمس الحق، فإذا وجده لا يستحي أن يعود إليه. يروى أنه دخل عليه بعض أصحابه يومًا فوجده باكيًا حزينًا، فسأله عن ذلك، فقال: كنت أعتقد في بعض المسائل اعتقادًا منذ مدة، وأزعم أن ذلك هو الصواب، وأن ما عداه خطأ؛ حتى وقع إليَّ كلام بعض المحصلين فيها، فرأيت أن اعتقادي كان باطلًا في هذه المدة، فما يؤمنني أن تكون جميع علومي بهذه الصفة؟![2]

***

[1] أحمد بن عبدالسلام بن تيمية، *مجموع الفتاوى*، (الإسكندرية، دار الوفاء، بدون تاريخ)، 5/ 561.
[2] شمس الدين الشهرزوري، *تاريخ الحكماء*، ص: 395.

تفسيره «مفاتيح الغيب»

تأليفه:

جاء هذا التفسير في خاتمة مصنفات الإمام، بعد حياة حافلة في ميادين العلوم والمعارف، مما جعل له سمتًا مميزًا؛ إذ كان أشبه بمدونة ضخمة لعلم الإمام في مختلف فروع المعرفة التي زاولها [1]. لذلك ضم خلاصة جهوده العلمية وثمرة جهاده في تحصيل العلم ونشره.

عنوانه:

جاء عنوان الكتاب «التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب» في كتب المؤرخين والمترجمين.

أما عن تسميته بالكبير، فهو كالوصف له، لأنه كان في عدة مجلدات؛ جاء في طبقات المفسرين أنه: "صنف التفسير الكبير في اثني عشر مجلدًا"[2].

وأما عن تسميته بـ«مفاتيح الغيب»، فالظاهر أنها تسمية غير مستساغة.. يقول الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله: "سمى الفخر الرازي تفسيره بذلك، وفي تعقبها وغيرها من أسماء بعض المؤلفات، يقول الكُرْكُوني[3]: 'ويقع في تسمية الكُتَّاب أسماءٌ غير جائزة... ومن ذلك تسمية بعضها: «مفاتيح الغيب»... يوهم تسمية كتابه «مفاتيح الغيب» المشاركة فيما عند الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[4]، فليجتنب هذه التسميات، وما شاكلها من الموهمات"[5].

ولكن يبدو أن الإمام قصد بهذه التسمية الاستعارة، إذ " المفاتيح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال . فالعالِم بتلك المفاتيح وكيفية استعمالها في فتح تلك الأغلاق والأقفال يمكنه أن يتوصل بتلك المفاتيح إلى ما في

---

(1) منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، ص: 48 بتصرف.
(2) أحمد بن محمد الأدنروي، *طبقات المفسرين*، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، (المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط 1، 1997)، 1/ 214.
(3) أبو علي عمر السُّكُوني (ت 717هـ)، انظر كتابه: *لحن العوام فيها يتعلق بعلم الكلام*، ص: 208، 209.
(4) الأنعام: ٥٩.
(5) بكر بن عبدالله أبو زيد، معجم *المناهي اللفظية*، (الرياض، دار العاصمة، ط3، 1996)، ص: 525.

تلك الخزائن "[1]، والقرآن خزائن تلك العلوم، وفتحُها لا يكون إلا بتحصيل تلك العلوم؛ ولذا اشتمل تفسيره كل هذه العلوم[2].

وقد أراد الإمام "أن يضع القرآن العظيم موضع الدراسة والبحث والتحليل على منهج يرى تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية، وانفرادها بهداية العقول البشرية إلى غايات الحكمة، من طريق العصمة... وعلى هذا الأساس من إبراز حكمة القرآن والبرهان على سموها وأمن مسلكها، أقام فخر الدين الرازي تفسيره الكبير"[3].

ويمكن القول بأن الإمام أقام تفسيره على أربعة أسس:

الأول: أنه وضع القرآن الكريم موضع الدراسة والبحث والتحليل، وهكذا ينبغي أن تجدد الدراسات القرآنية باستمرار، فإنه يظهر فيه لكل قوم ولكل جيل من الناس علوم وفوائد ومعارف لم تظهر لمن قبلهم.

الثاني: بيان اشتمال القرآن الكريم على مختلف العلوم والمعارف، ما جعله يسمو على ما عداه، مما أبدعته العقول وتوصلت إليه الآداب.

الثالث: دعوة أصحاب العلوم الأخرى إلى الإقبال على القرآن الكريم.

الرابع: إعادة الطمأنينة إلى القلوب، وربطها بالقرآن، لاسيما والزمان الذي ألف فيه الإمام الرازي هذا التفسير كان مضطربًا يموج بالفتن والحروب والقلاقل مع المغول وغيرهم[4].

طريقة الرازي العامة في التفسير:

"كانت الطريقة المثلى في نظره –لإدراك ما في القرآن من أسرار حكمية، وبث ما تضمنه من مطالب فلسفية وعلوم طبيعية – إنما هي طريقته الكلامية المختارة المتَّبِعة لمنهج الغزالي وإمام الحرمين وأبي إسحاق الإسفرايني والإمام أبي الحسن الأشعري"[5].

---

(1) فخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب*، 13/ 8.
(2) انظر: منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، ص: 59، 60.
(3) محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، ص: 71.
(4) عبدالرحمن بن معاضة الشهري، «الإمام فخر الدين الرازي»، (قناة المجد العلمية، حلقة من برنامج : أهل التفسير، (http://vb.tafsir.net/tafsir20586/#ixzz2gOfPtqtO.
(5) محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، ص: 72.

وسيبدو هذا واضحًا جليًّا في الجانب التطبيقي للدراسة، حين نقف سويًّا على معالجة الإمام للجانب العلمي وهو يبرهن على نظريته، فبدايةً من الصفحات الأولى لتفسيره وهو يؤكد على أن سورة الفاتحة وحدها " يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة"، مرورًا بهذا النمط على باقي السوَر، مراعيًا لترتيب القرآن الكريم.

وفي هذا التقويم لتفسير الرازي يجب الإشارة إلى وصف الإمام ابن تيمية لمفاتيح الغيب بأنه «اشتمل على كل شيءٍ إلا التفسير»، وقد شاعت هذه الكلمة وتناقلها كل من اشتغل بفن التفسير.

والحقيقة أنها "كلمة صدرت عن غير روية ولا تحقق"، وقد كنت شخصيًا ممن يظن بتفسير الإمام مثل ذلك الظن السيء قبل أن أطلع عليه حق الاطلاع، أو حين تراودني السآمة –لجهلي– بأسلوبه؛ ولكن ما إن أتعمق في دراسته وتلزمني ألفاظُه الكشفَ عنها وتأملها، إلا وأَجد أنه من الإجحاف أن تطلَق مثل هذه العبارة على هذا التفسير الذي لم يسبقه مثيل.

لقد اعتبر الإمام "الناحية اللفظية من تفسير القرآن آخذة حظها وزيادة في التفاسير الأخرى، فجاء يولي عنايته الغاية المقصودة من ورائها، التي وقفت دونها همم المفسرين" [1]. حتى إنه عاب على بعض النحويين اشتغالهم ببعض القضايا، مثل قوله: "وكثيرًا أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن؛ فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به. وأنا شديد التعجب منهم، فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلًا على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلًا على صحته كان أولى"[2].

وما أصدق ما قاله قاضي القضاة أبو الحسن علي السبكي (ت 756 هـ): "ما الأمر كذا، إنما فيه مع التفسير كل شيء"[3].

قالوا عن تفسير الرازي:

–ينبغي عدّه خاتمة أدب التفسير المثمر الأصيل؛ جولد تسيهر[4].

---

[1] السابق، ص: 78.
[2] فخر الدين الرازي، *مفاتيح الغيب*، 9/ 47.
[3] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، *الوافي بالوفيات*، 4/ 179.
[4] جولد تسيهر، *مذاهب التفسير الإسلامي*، ترجمة: عبدالحليم النجار، (القاهرة، الخانجي، 1955)، ص: 146.

- إذا كان تفسير الزمخشري قد تكفل ببيان وجه الإعجاز البلاغي، فإن معظم ما يرجع إلى الإعجاز العلمي والغيبي لم يتكفل به إلا تفسير الرازي؛ محمد الفاضل بن عاشور[1].

- من الرازي كتابَ الله فافهم ⁂ ومنه النورُ خذ، فالليل أظلم

ولكن لي كلام فيه، فانظر ⁂ أنحيا بالفؤاد وما تضـــــرَّم؟![2]

"فالتفسير الكبير محاولة للبرهنة على صحة ما ذهب إليه العلماء، والرجوع بالعلوم إلى أصولها ومنابعها في البيان القرآني، والتأصيل له بذلك، مع تصحيح مسارها بعرض براهينها وقواعدها وضبطها على ما استقر في القرآن"[3].

***

[1] محمد الفاضل بن عاشور، *التفسير ورجاله*، ص: 77.

[2] تضرَّم: احتدم غيظًا. والأبيات للأستاذ محمد إقبال، انظر: *ديوانه*، إعداد: سيد عبدالماجد الغَوري، (بيروت، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 2007)، 2/ 460. والمعنى: أن الشاعر يرى براعة الإمام الرازي في الفلسفة من خلال تفسيره للقرآن الكريم براعة وافية وافرة؛ إلا أنها عجزت عن تحريك القلوب.

[3] منال مبطي حامد المسعودي، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، ص: 61.

منهجه في التفسير العلمي

بعد استقصاء المسائل العلمية التي ذكرها الإمام –في القسم الخاص بالدراسة–، نستطيع أن نحدد ملامح المنهج الذي اتبعه الإمام في تفسيره العلمي للآيات:

-التفسير الكبير ليس كتابًا في التفسير العلمي فحسب، بل حرص الإمام على أن يجعله تفسيرًا موسوعيًا، لأجل هذا عمد إلى تقسيم كلامه على الآيات إلى مسائل؛ يبدأها عادة بذكر تناسب الآية بسابقتها، ثم يتبعها بمسائل في اللغة والقراءات والأقوال المختلفة في المعنى المراد والفقه والوعظ والتدبر، ومنها الاستنباطات أو الدلالات العلمية التي يمكن استفادتها من الآية.

-كان الإمام يتحين كل فرصة لذكر مسألة علمية؛ فلا يفوتها حتى يتكلم فيها؛ حتى إنه يأتي أحيانًا باستنباطات على الآية لا تكاد تخطر لأحد على بال، ويتعجب القارئ غاية العجب حين يقف عليها. كما يلحظ القارئ أن الإمام كان مولعًا بكثرة الاستنباطات والاستطرادات في تفسيره، ما دام يستطيع أن يجد صلة ما بين المستنبط وبين اللفظ القرآني[1]. ورغم ذلك، كان أحيانًا يُعرِض عن التفصيل إذا رأى أن الحاجة لا تدعو إليه[2].

-كان الإمام حريصًا على بيان تفوق الحكمة القرآنية على سائر الطرق الفلسفية؛ وهذا ما جعله يتعرض لنظريات الفلاسفة التي تبدو في نظره متعارضة مع الدين، ومع القرآن خاصة، فيردها ويبطلها ما أسعفته الحجة وانقاد له الدليل[3].

-ورغم ذلك، يُلاحظ أن اختلاط الإمام بكلام الفلاسفة جعله يصوغ أدلته –حتى في مباحث الإلهيات– على نمط استدلالاتهم العقلية، ولكن بما يتفق ومذهبه[4]. لأجل هذا، يمكن الجزم بأن مناقشات الإمام العلمية اتسمت بالصبغة الفلسفية الكلامية؛ وهو أمر راجع أيضًا إلى ما كان سائدًا من الطابع العلمي في زمانه.

-ركز الإمام على عدة قضايا في مسائله العلمية:

1. كثرة الاستطرادات إلى العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها.
2. الرد على الملاحدة المنكرين للخالق والقائلين بالطبيعة.

---

[1] انظر: محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، (القاهرة، مكتبة وهبة، 1989)، 1/ 281.
[2] كما في (2/ 59، 60)، (2/ 119) من تفسيره.
[3] انظر: محمد حسين الذهبي، *التفسير والمفسرون*، 2/ 399.
[4] انظر: السابق، 1/ 279، 280.

3. إقرار التوحيد وبيان قدرة الخالق في كونه[1].

4. إعمال العقل والتفكر في الآيات الكونية.

5. الاستفادة منها في الجانب الوعظي والدعوي[2].

- انشغل الإمام كثيرًا بمحاولات إثبات بعض الأمور الغيبية ومعجزات الأنبياء وخوارق العادة، وتحليلها على طريقة أهل الكلام [3]، وتطرق الإمام أيضًا إلى علوم ما وراء الطبيعة[4]. وهذا بلا شك مما يتعارض مع الضوابط المنهجية للبحث في التفسير العلمي التي سبق ذكرها في الفصل الأول.
- كان من أهم من نقل عنهم:

1. فلاسفة اليونان المتقدمين: أمثال جالينوس وأرسطو وأفلاطون وبطليموس وابن برخيس.

2. فلاسفة الإسلام: أمثال أبي الريحان البيروني وابن سينا وأبي حيان التوحيدي.

3. أئمة المعتزلة: أمثال الزمخشري والقاضي عبدالجبار وأبي علي الجبائي.

- كثيرًا ما يبهم الإمام من ينقل عنهم، كأن يقول: ''المحققون'' أو ''الحكماء''؛ بل أحيانًا يقول: ''الناس'' ويقصد بهم متخصصي الفن أو العلم الذي يتكلم فيه. وأحيانا يجمل، كأن يقول: ''علماء الهيئة''.
- إذا كانت المسألة العلمية التي يذكرها الإمام تحتاج مناقشة، فإنه لا يألوا جهدًا في ذلك، إذ يعرض الأقوال المختلفة في المسألة، ويورد اعتراضات كل فريق والأجوبة عليها، وأوجه الاستدلال والاحتمال.. وغالبًا ما ينتصر لأحد الأقوال، فيرجحه ويضعف ما عداه.

---

(1) انظر مثلًا: (2/ 96) من تفسيره.
(2) انظر مثلًا: (120/2) من تفسيره.
(3) مثل كلامه على تصور سرعة حساب الله لعباده ومحاسبتهم جميعًا في موقف واحد، الأنعام (آية 62)؛ وعذاب القبر، آل عمران (آية ١٦٩)؛ والكلام على العرش والكرسي.
(4) مثل السحر، والمعراج، والروح، ووسوسة الشيطان، والملائكة والجن، والصرع ومس الشيطان، وتعبير الرؤى، والحسد.

الإمام الرازي وعلم الفلك

شغل علم الفلك حيّزًا كبيرًا من مفاتيح الغيب؛ إذ يأتي، بالمقارنة بسائر العلوم، على قمة العلوم التي أطال الإمام في تفسير الآيات المتعلقة بها.

سبب ذلك:

يوقفنا الإمام على سبب هذا التوسع في علم الفلك، فيقول:

"وربما جاء بعض الجهال والحمقى وقال: إنك أكثرت في تفسير كتاب الله من علم الهيئة والنجوم[1]، وذلك على خلاف المعتاد!

فيقال لهذا المسكين: إنك لو تأملت في كتاب الله حق التأمل لعرفت فساد ما ذكرته، وتقريره من وجوه:

الأول: أن الله تعالى ملأ كتابه من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار، وكيفية أحوال الضياء والظلام، وأحوال الشمس والقمر والنجوم، وذكَر هذه الأمور في أكثر السور وكررها وأعادها مرة بعد أخرى؛ فلو لم يكن البحث عنها والتأمل في أحوالها جائزًا لما ملأ الله كتابه منها.

والثاني: أنه تعالى قال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[2]، فهو تعالى حث على التأمل في أنه كيف بناها، ولا معنى لعلم الهيئة إلا التأمل في أنه كيف بناها وكيف خلق كل واحد منها.

والثالث: أنه تعالى قال: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3]، فبين أن عجائب الخلقة وبدائع الفطرة في أجرام السموات أكثر وأعظم وأكمل مما في أبدان الناس، ثم أنه تعالى رغب في التأمل في أبدان الناس بقوله: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[4]؛ فما كان أعلى شأنًا وأعظم برهانًا منها أولى بأن يجب التأمل في أحوالها ومعرفة ما أودع الله فيها من العجائب والغرائب.

---

[1] كغيره من العلوم، تعرّض علم الهيئة لكثيرٍ من التغيّرات بمرور الزمن.. فبينما لا يكاد يوجد وصف جلي لموضوع علم النجوم في كتب أكثر علماء الفلك الأقدمين، نجد من المتأخرين من يحدده؛ يقول موسى بن محمد بن محمود الملقب بـ«قاضي زاده الرومي» (ت نحو منتصف القرن التاسع الهجري): "علم الهيئة الذي يبحث فيه عن أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية، من حيث الكمية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها". كارلو نللينو، *علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى*، ص: 31، 32.

[2] ق: ٦.

[3] غافر: ٥٧.

[4] الذاريات: ٢١.

والرابع: أنه تعالى مدح المتفكرين في خلق السموات والأرض فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾[1]، ولو كان ذلك ممنوعًا منه لما فعل.

والخامس: أن من صنف كتابًا شريفًا مشتملًا على دقائق العلوم العقلية والنقلية بحيث لا يساويه كتاب في تلك الدقائق، فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان: منهم من يعتقد كونه كذلك على سبيل الجملة من غير أن يقف على ما فيه من الدقائق واللطائف على سبيل التفصيل والتعيين، ومنهم من وقف على تلك الدقائق على سبيل التفصيل والتعيين، واعتقاد الطائفة الأولى وإن بلغ إلى أقصى الدرجات في القوة والكمال إلا أن اعتقاد الطائفة الثانية يكون أكمل وأقوى وأوفى. وأيضًا فكل من كان وقوفه على دقائق ذلك الكتاب ولطائفه أكثر كان اعتقاده في عظمة ذلك المصنف وجلالته أكمل.

إذا ثبت هذا، فنقول: من الناس من اعتقد أن جملة هذا العالم محدَث وكل محدَث فله محدِث، فحصل له بهذا الطريق إثبات الصانع تعالى وصار من زمرة المستدلين، ومنهم من ضم إلى تلك الدرجة البحث عن أحوال العالم العلوي والعالم السفلي على سبيل التفصيل، فيظهر له في كل نوع من أنواع هذا العالم حكمة بالغة وأسرار عجيبة، فيصير ذلك جاريًا مجرى البراهين المتواترة والدلائل المتوالية على عقله، فلا يزال ينتقل كل لحظة ولحة من برهان إلى برهان آخر، ومن دليل إلى دليل آخر. فلكثرة الدلائل وتواليها أثر عظيم في تقوية اليقين وإزالة الشبهات. فإذا كان الأمر كذلك ظهر أنه تعالى إنما أنزل هذا الكتاب لهذه الفوائد والأسرار لا لتكثير النحو الغريب والاشتقاقات الخالية عن الفوائد والحكايات الفاسدة، ونسأل الله العون والعصمة[2].

فالإمام يرى أن القرآن نفسه يحثنا على هذا.

كما أن علم الفلك ارتبط عند علماء المسلمين بكثير من الأحكام الشرعية والشعائر الدينية ، مثل تحديد أوقات الصلاة حسب المو اقع الجغرافية والفصول الموسمية، وتحديد اتجاه القبلة، ومتابعة حركة القمر لتحديد بدء الصوم، والحجِّ...إلخ.

ولكن الحقيقة أن الإمام، وغيره ممن تكلم في علم الفلك من المتقدمين، قد أخذوا ذلك عمن سبقهم من فلاسفة اليونان والهند بعد حركة الترجمة التي كانت في عصر الخليفة المأمون، وزاد فلاسفة العرب عدة اجتهادات بعد ذلك. إلا أن معظم هذه الاجتهادات كانت مبنية على مشاهدات بدائية أو مسائل حسابية نظرية.

أما الآن، وبعد التطور الهائل في أدوات الرصد والمركبات الفضائية، فقد اتضح أن معظم تلك الاجتهادات جانبها الصواب.

---

[1] آل عمران: ١٩١.
[2] 14/ 104.

وربما يدفعنا هذا إلى الكلام عن الفلسفة وعلاقتها بالعلم..

إن أمر الفلسفة لم يكن يقتصر على تدخلها في علوم الفلك فحسب، لقد كانت الفلسفة عبارة "عن نظرة واسعة تعتمد على تجريد نسقي يضم شذرات المعارف إلى محور جوهري، ويسد الثغرات بين تلك المعارف المتناثرة، ويحاول أن يجيب على تساؤلات ما تزال تثير حيرة الإنسان بإجابات هي أقرب إلى طبيعة الافتراضات النظرية التي لا تتطلب تحققًا وإثباتًا مباشرًا بأساليب العلم الراهنة"[1].

فالفلسفة –بمذاهبها المختلفة– كانت نسيجًا متعدد الخيوط من الدين والأدب والتاريخ والعلم الطبيعي.

لكن كل هذه الأمور قد تحددت معالمها اليوم ولا تسمح بالتداخل فيما بينها، ولم يعد من المعقول التسليم بما زعمه الفلاسفة "لمذاهبهم من بلوغ للمعرفة اليقينية، لأننا ندرك اليوم الكثير من أخطائهم الفادحة، إلى جانب ما تبدى من سوءاتهم أثناء ما استعر بينهم من جدال وخصومة".

ويمكن الجزم الآن أن الفلسفة كانت تمثل اتجاهًا "لا واعيًا" للعلاقة بين الفلسفة والعلم؛ فرغم أنه لم يكن ثمة فرق بين الفلسفة العلم، نجدهما قد اختلطا في الكثير من الأحيان اختلاطًا "دراميًا". فالكون ينحل إلى رطوبة أو هواء أو نار، وثمة عقول للأفلاك، والحب والكراهية مصدر الجذب والطرد.. فإذا ما صعدنا في الزمن، ألفينا الخلافات العلمية وقد اصطبغت بصبغة فلسفية بارزة. فهذا (بيكون) الرائد والمبشر بالعلم التجريبي يقول في عام 1622م –معترضًا على نظام (كوبر نيكس) –: إن "كل تلك الآراء إنما هي تأملات واحد من الناس، لم يعبأ بما أدخله من أوهام في الطبيعة".

أما الآن، فالحدود واضحة ومعروفة، وكل من يريد اليوم أن يخلط الفلسفة بالعلم يعرف ما يقول، وعلى بينة مما يصنع.

***

[1] صلاح قنصوة، فلسفة العلم، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002)، ص: 17، 27 وما بعدها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البابُ الثاني: مناقشة آيات التفسير العلمي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول آيات حول الظواهر السماوية

تمهيد

الباب الثاني هو القسم التطبيقي في الرسالة، وهو يختص بمناقشة مواضع «التفسير العلمي للقرآن» التي ذكرها الإمام الرازي في «*مفاتيح الغيب*».

ملامح العمل في هذا القسم:

- يأتي هذا القِسْم وفق ترتيب موضوعي في خمسة فصول: ما يتعلق بالظواهر السماوية، وما يتعلق بالظواهر الأرضية، وما يتعلق بالظواهر بين السماء والأرض، وما يتعلق بالإنسان، وما يتعلق بالحيوان والطير.
- وضع كل مسألة من مسائل التفسير في مبحث مستقل.
- يبدأ المبحث بعنوان المسألة، يليه تمهيد مختصر جدًا لها، ثم توضع الآية موضع الاستدلال، ثم كلام الإمام عليها؛ تتخلله أو تليه المناقشة.
- المواضع المكررة في كلام الرازي جمعت كلها في أول موضع تُذكر فيه المسألة؛ على أن المواضع المكررة نوعان:

1- أحيانًا يكرر كلامه باللفظ نفسه أو قريبًا منه دون إضافة ملحوظة؛ وحينئذ يكتفى بالعزو -في الهامش- للجزء والصفحة والآية التي وردت فيها.

2- وأحيانًا يكرر الكلام، ولكن بالتعرض لنقطة أخرى في المسألة أو إضافة فائدة أو استدلال جديد أو توضيح؛ وحينئذ ينبه بجانب العنوان على عدد المواضع التي ذكرت فيها المسألة، ثم تذكر الآيات مع كلام الإمام عليها تالية للموضع الأول، مع العزو الدقيق لموضع كلٍّ في كتابه.

- تراجم الأعلام ومعاني المصطلحات وتحقيق الأحاديث وأرقام الأجزاء والصفحات ونحوه يأتي في الهامش بخط صغير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطر، تكوُّنه ونزوله

[خمسة مواضع]

هذه واحدة من المسائل التي تكررت كثيرًا في كتاب الإمام رحمه الله، وكانت أول ما تم رصده في التفسير العلمي من الظواهر السماوية. وهو غالبًا ما يهتم بمثل هذه المسائل التي كان يرد فيها على شبهات الملاحدة والفلاسفة القدامى.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ البقرة: ١٩-20

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً البقرة: ٢٢

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ الأنعام: ٩٩

وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ الرعد: ١٢

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً إبراهيم: ٣٢

قال رحمه الله:

"ما الصيّب؟ الجواب: أنه المطر الذي يصوب، أي: ينزل... من الناس من قال: المطر إنما يحصل من ارتفاع أبخرة رطبة من الأرض إلى الهواء، فتنعقد هناك من شدة برد الهواء، ثم تنزل مرة أخرىفذاك هو المطر. ثم إن الله ﷻ أبطل ذلك المذهب ههنا بأن بين أن ذلك الصيب نزل من السماء[1].

"ظاهر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ يقتضي نزول المطر من السماء؛ وعند هذا اختلف الناس:

فقال أبو علي الجبائي[2] في «تفسيره»: إنه تعالى ينزل الماء من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض، قال: لأن ظاهر النص يقتضي نزول المطر من السماء، والعدول عن الظاهر إلى التأويل إنما يحتاج إليه عند قيام الدليل؛ على أن إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن، وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره.. ومما يؤكد ما قلناه أن جميع الآيات ناطقة بنزول المطر من السماء ...

---

(1) 2/ 81.

(2) الجبائي (235- 303هـ/ 849- 916م) هو:

محمد بن عبدالوهاب بن سلام الجبائي، أبو علي: من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبة الطائفة (الجبائية). له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له: (تفسير) حافل مطول، رد عليه الأشعري. خير الدين الزركلي، *الأعلام*، (بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002)، 6/ 256.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فثبت أن الحق أنه تعالى ينزل المطر من السماء بمعنى أنه يخلق هذه الأجسام في السماء، ثم ينزلها إلى السحاب، ثم من السحاب إلى الأرض.

والقول الثاني: المراد إنزال المطر من جانب السماء ماء.

والقول الثالث: أنزل من السحاب ماء، وسمى الله تعالى السحاب سماء لأن العرب تسمي كل ما فوقك سماء؛ كسماء البيت، فهذا ما قيل في هذا الباب"[1].

"واعلم أن هذا أيضًا من دلائل القدرة والحكمة، وذلك لأن هذه الأجزاء المائية إما أن يقال: إنها حدثت في جو الهواء، أو يقال: إنها تصاعدت من وجه الأرض.

فإن كان الأول، وجب أن يكون حدوثها بإحداث محدث حكيم قادر، وهو المطلوب.

وإن كان الثاني –وهو أن يقال إن تلك الأجزاء تصاعدت من الأرض، فلما وصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت فرجعت إلى الأرض– فنقول : هذا باطل؛ وذلك لأن الأمطار مختلفة: فتارة تكون القطرات كبيرة، وتارة تكون صغيرة، وتارة تكون متقاربة، وأخرى تكون متباعدة، وتارة تدوم مدة نزول المطر زمانًا طويلًا، وتارة قليلًا. فاختلاف الأمطار في هذه الصفات –مع أن طبيعة الأرض واحدة، وطبيعة الشمس المسخنة للبخارات واحدة– لابد وأن يكون بتخصيص الفاعل المختار.

وأيضًا فالتجربة دلت على أن للدعاء والتضرع في نزول الغيث أثرًا عظيمًا، ولذلك كانت صلاة الاستسقاء مشروعة، فعلمنا أن المؤثر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة والخاصية"[2].

"الإنسان ربما كان واقفًا على قمة جبل عال ويرى الغيم أسفل منه، فإذا نزل من ذلك الجبل يرى ذلك الغيم ماطرًا عليهم، وإذا كان هذا أمرًا مشاهدًا بالبصر كان النزاع فيه باطلًا"[3].

القضية الرئيسية في كلام الرازي هي: كيف يتكون المطر ومن أين ينزل؟ ويمكن تلخيص الآراء المذكورة في ثلاثة:

1) أن المطر ينزل من السحاب، وهو المقصود بالسماء.

2) أنه يتكون في السماء ثم ينزل منها إلى السحاب ثم إلى الأرض، وهو قول الجبائي.

3) أنه يتكون من أبخرة تتصاعد من الأرض، وهو قول الفلاسفة.

أما الرأي الأول، فلا يدع العلم الحديث مجالًا للجدل أو النقاش في مثل هذه المسألة، إذ يثبت قطعًا أن المطر ينزل من السحاب؛ والقرآن نص على ذلك في قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[4]. والمعروف أن المطر لا يهطل من سماء زرقاء صافية، فهو لا يتكون إلا في السحب، وفي المزني الركامي أو الطبقي منها عادة.[5]

---

[1] 13/ 87، 88. وانظر أيضًا: 2/ 112، 4/ 191، 192.
[2] 19/ 21.
[3] 19/ 104.
[4] النبأ: ١٤.
[5] أحمد شفيق الخطيب ويوسف سليمان خيرالله، *الموسوعة العلمية الشاملة*، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، بدون تاريخ)، ص: 264.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وليس هناك تناقض بين هذه الآية والآيات الأخرى التي تقول أن المطر ينزل من السماء؛ إذ المقصود بها: السحاب؛ لأن السماء متضمنة له طبيعيًا. وهذا يؤيده المعنى اللغوي، فكل ما علاك فهو سماء. يقول الطاهر ابن عاشور عند تفسيره لـ(البقرة: 22): "والمراد بالسماء هنا إطلاقها العرفي عند العرب، وهو ما يبدو للناظر كالقبة الزرقاء وهو كرة الهواء المحيط بالأرض ، كما هو المراد في قوله: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾، وهذا هو المراد الغالب إذا أطلق السماء بالإفراد دون الجمع".[1]

والسحاب عبارة عن: بخار الماء متكاثف ، يتألف من : جسيمات Particles متكونة من : قطيرات Droplets صغيرة الحجم من الماء السائل، أو بلورات Crystals صغيرة من الثلج، قطر الواحد منها لا يتجاوز عشرة أجزاء من الألف من المليمتر، ولو صُف ألف جسيم منها لم يتعد طوله 1.5سم. يقوم الهواء بحمل هذه الجسيمات الدقيقة، فتظل متعلقة في الجو، ويمدها غالبًا بتيارات صاعدة (مندفعة من الأسفل إلى الأعلى).[2]

ولابد من وجود شرطين أساسين في الهواء العلوي حتي يتكون السحاب: أولًا: أن يكون الهواء مشبعًا بالبخار (وهذا يقتضي: ارتفاع نسبة الرطوبة في الهواء مع ضرورة تبريد الهواء)، وثانيًا: أن يكون محتويًا على أنوية التكاثف التي تحملها الرياح.[3]

ولقد استفاض القرآن في وصف الأسباب التي تعمل على تكوّن السحب وهطول الأمطار، وذلك قبل أن يتوصل العلماء إلى معرفتها بقرون كثيرة. فلقد ظل أمر تكون المطر سرًا غامضًا لفترة طويلة جدًا.[4]

وكان لدى الإغريق أيام أرسطو بعض المعرفة العلمية عن أن المطر ينتج من البخار، ثم يتكثف البخار إلى ماء . ولم تُعرف الأرصاد علميًا إلا في القرن السابع عشر تقريبًا ، حينما أتيحت أجهزة تُمَكّن من قياسات علمية لخواص الغلاف الجوي. أما الفهم العلمي للعمليات التي يترتب عليها تكون السحب الممطرة، فلم تتم حتى القرن التاسع عشر والعشرين.[5]

وأما الرأي الثاني والثالث، فيقول الشيخ عبدالمجيد الزنداني:

"دار الجدل حول موضوع المطر والسحاب والرياح بين ثقافتين:

---

[1] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس، الدار التونسية، 1984)، 1/ 331. وانظر: اللجنة العلمية بهيئة الإعجاز العلمي، «الأرض فراشًا والسماء بناءً»، مجلة الإعجاز العلمي، (العدد الثامن)، منشور على موقع: www.eajaz.org.

والسحاب: الغيم سواء أكان فيه ماء أم لم يكن. *المعجم الوسيط*، (ص: 418). وسُمِّيَتْ بذلك لانْسِحابِها في الهواءِ. *لسان العرب*، (1/ 461).

[2] كارم السيد غنيم، « إعجاز الكتاب في وصف السحاب »، مقال منشور على موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.quran-m.com.

[3] منصور محمد حسب النبي، *الكون والإعجاز العلمي*، (ص: 206)، نقلًا عن: مصباح منصور موسى مطاوع، «دلائل الإعجاز العلمي في الكونيات من خلال سورة الرعد وأثرها في الدعوة الإسلامية»، (رسالة ماجستير، القاهرة، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة، 1995)، ص: 159 بتصرف.

[4] هارون يحيى، «The formation of rain»، مقال منشور على موقع: www.evidencesofcreation.com.

[5] محمد عمراني حنش ، «إعجاز القرآن الكريم في وصف السحاب الطبقي »، مجلة الإعجاز العلمي، (العدد الرابع، المركز القومي لأبحاث الغلاف الجوي- بولدر- كولورادو، بدون تاريخ)، منشور على موقع: www.eajaz.org.

الثقافة الأولى: ثقافة عهود الانحطاط التي جمدت أفكارها، وقصر فهمها، وغلبت عليها السطحية. ومن تلك السطحية تصورهم أن المطر ينزل من ثقوب عديدة لخزانات كبيرة في السماء ؛ وهذا إلغاء لدور السحب والرياح التي ذكرتها الآيات القرآنية.

والثقافة الثانية: ثقافة عهود الاستعمار. وهي الثقافة التي ظهرت عندما تقدم العلم التجريبي، ونشأ في بيئة إلحادية تسعى إلى اعتساف الظواهر الكونية وتقديمها في صورة بعيدة عن الدلالات الإيمانية. إذ كلما اكتشفوا سنة من السُنن الإلهية ألبسوها ثوب زور من الإلحاد والتضليل! ولكونهم أصحاب هذه الاكتشافات وَثِق الناس بتفسيراتهم، ففسروها بما تهوى أنفسهم وبما يمليه عليهم جهلهم وعداؤهم للأديان وأهلها. ومن ذلك قولهم: إن المطر شيء طبيعي، وهو عبارة عن حرارة تسخن مياه البحار، فالجزيئات الساخنة من الماء على سطح البحر تتحرر من قوة الترابط بالماء فيخف وزنها فتطير بخارًا في الهواء، ثم تأتي الرياح فتحرك هذا البخار وتسوقه إلى مناطق باردة في الجو فيتكثف مكونًا السحاب، ثم تثقل القطرات بزيادة حجمها فينزل المطر. ونتيجة لهذه العملية تحدث شحنات كهربية فتكون البرق والرعد. ويقولون عن هذه الأمور كلها شيء طبيعي! فهذا التفسير لهذه السنن الإلهية جعل بعض المسلمين يتخذون موقفًا متعجلًا بقبوله؛ وبعضهم يتخذ موقفًا رافضًا له جملةً وتفصيلًا".[1]

إذًا، الطبيعة العلمية التي نقلها الرازي عن الفلاسفة في عدة مواضع –وكان كالجبائي يحاول دائمًا أن يبطل قول أصحابها– هي تحليلات صحيحة إلى حد كبير؛ ولكن الفرق بين أهل الإسلام وأولئك: أنهم كانوا يضعون هذه التحليلات العلمية للدلالة على أنها أمور طبيعية لا تحدث بتقدير إلهي! أما أهل الإسلام فهم يعتقدون أن ذلك كله يحدث بتقدير الله تعالى القادر على كل شيء.

وفيما يلي، عرض موجز لتكوين المطر حسب ما توصل إليه العلم الحديث:

أ - الشمس مسخرة كمصدر للطاقة لا ينفد، فالطاقة التي ترسلها إلى الأرض تمثل فيضًا هائلًا من الطاقة لم يستغل حتى الآن بشكل كامل؛ حيث ترسل الشمس 180 ألف تيراوات –مليون بليون– إشعاع شمس للأرض، بينما تستهلك الأرض 8 تيراوات فقط ، وتسقط أشعة الشمس الحرارية على ماء البحار والمحيطات بنسبة 70% حيث تمتصها فيحدث التبخر تاركة وراءها كل الشوائب والأملاح والميكروبات.[2]

---

[1] كتاب: «علم الإيمان»، فصل: من آيات الله في الماء والأمطار، منشور على موقع: www.jameataleman.org.

[2] أحمد جلال مرسي ، « آيات البحار ومعانيها العلمية »، مقال منشور على موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.quran-m.com. بتصرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ب - تقوم حرارة الشمس بتبخير ماء البحر ، فيصعد إلى طبقات الجو العليا حيث الهواء البارد . وهذا البخار المتصاعد إلى أعلى خفيف لا يرى إلا إذا تكثف ؛ لا يرى في تلك الحالة لأنه عبارة عن (بخار ماء غازي)، أما عندما يتكثف هذا البخار فإنه يظهر في صورة سحاب يمكن أن تراه العين.[1]

ت - تستطيع الرياح أن تحمل القطيرات المائية الناتجة عن تلاطم الأمواج في البحار، ومن هنا نعلم أن الشمس والرياح هما العاملان الأساسان في بدء تكون المطر. تقوم الرياح بدورها في:

- حمل ذرات الدخان والأتربة وغيرها من نويات التكاثف، فتتلقح جزيئات بخار الماء بها فتستثيرها، فيتجمع بخار الماء حول تلك الجزيئات مكونًا أغلفة مائية ، فتتكون قطيرات مائية يمكن رؤيتها، فنشاهدها سحابًا.
- حمل السحاب إلى ارتفاعات أكثر برودة ، فيزداد التكثيف ويزداد حجم القطرات ، ويتبارك الماء في تلك القطرات ويزداد ثقلها .[2] يقول موريس بوكاي: ''يمكن أن تلتقي كتل السحاب مع كتل أخرى لتعطي بذلك سحبًا ذات كثافة كبرى؛ وقد تتجزأ لتعطي مطرًا في مرحلة من تطورها''.[3]

ث - تتغلب الجاذبية على قوة الرفع فينزل المطر بقدرته ﷻ. والناس لو تركوا إلى الجاذبية وحدها ما سُقوا من السحاب قطرة ماء. إن الجاذبية إنما تنفع نفعها إذا تحولت القطيرات السحابية إلى قطرات مطرية، وهذا التحول قد يسر الله أسبابه في الرياح والجبال والكهربائية الجوية، وإن كان العلم لم يحط بتفاصيل ذلك إلى الآن.[4]

---

[1] ماهر أحمد الصوفي، *الموسوعة الكونية الكبرى*، (بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2008)، 13/ 64.
[2] محمد أحمد الغمراوي وأحمد عبدالسلام الكرداني، *الإسلام في عصر العلم*، (القاهرة، مطبعة السعادة، ط1، 1973)، ص: 351.
[3] *دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة* ، (لبنان، دار المعارف، بدون تاريخ)، ص: 203.
[4] *الإسلام في عصر العلم*، (ص: 343).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرعد والبرق والصاعقة

[موضعان]

يتكلم الإمام الرازي هنا على ثلاثة ظواهر كونية، وهي: الرعد والبرق والصاعقة، تعريفها وتكوينها وقدرة الله فيها.

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ البقرة: ١٩-20

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ الرعد: ١٢- 13

قال رحمه الله:

"الرعد: الصوت الذي يسمع من السحاب، كأنَّ أجرامَ السحاب تضطرب وتنتقض وترتعد إذا أخذتها الريح، فصوت عند ذلك من الارتعاد[1]. والبرق: الذي يلمع من السحاب، من برق الشيء بريقاً، إذا لمع[2]... ما الصاعقة؟[3] الجواب: إنها قصف رعد، ينقض منها شعلة من نار، وهي نار لطيفة قوية لا تمر بشيء إلا أتت عليه؛ إلا أنها مع قوتها سريعة الخمود"[4].

"اعلم أن حدوث البرق دليل عجيب على قدرة الله تعالى. وبيانهأن السحاب لا شك أنه جسم مركبمن أجزاء رطبة مائية، ومن أجزاء هوائية ونارية؛ ولا شك أن الغالب عليه الأجزاء المائية. والماء جسم بارد رطب، والنار جسم يابس. وظهور الضد من الضد التام على خلاف العقل، فلابد من صانع مختار يظهر الضد من الضد"[5].

"اعلم أن أمر الصاعقة عجيب جدًا؛ وذلك لأنها تارة تتولد من السحاب، وإذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان في لجة البحر، والحكماء بالغوا في وصف قوتهاووجه الاستدلال: أن النار حارة يابسة، وطبيعتها ضد طبيعة السحاب فوجب أن تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة أضعف من طبيعة النيران

---

[1] الرعدة: الاضطراب، والرعد: صوت يدوي عقب وميض البرق. *المعجم الوسيط*، (ص: 353).

[2] البرق: الضوء يلمع في السماء على إثر انفجار كهربائي في السحاب. *المعجم الوسيط*، (ص: 51).

[3] الصاعقة: نار تسقط من السماء. *المعجم الوسيط*، (ص: 515).

[4] 2/ 81، 82.

[5] 19/ 21.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحادثة عندنا على العادة؛ لكنه ليس الأمر كذلك، فإنها أقوى نيران هذا العالم، فثبت أن اختصاصها بمزيد تلك القوة لابد وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار[1].

الرعد

يشير الإمام إلى أن الرعد يحدث بسبب اضطراب السُّحب إذا أخذتها الريح .

وفي«المباحث المشرقية» له تعليل آخر لحدوث الرعد، فيقول: ''إذا ارتفع بخار مخلوط بدخان ارتفاعًا يصل إلى الطبقة الباردة من الهواء حتى يتكاثف وينعقد سحابًا ، فلا محالة يحتبس ذلك الدخان في جوف السحاب، فذلك الدخان إما أن يبقى حارًا أو يصير باردًا؛ فإن بقي حارًا قصد العلو ومزق السحاب تمزيقًا عنيفًا فيحصل من ذلك التمزيق الرعد ، وإن صار باردًا تثاقل وقصد السفل ومزق السحاب فحصل الرعد''.[2]

فيحصل من ذلك تعليلان أساسيان لحدوث الرعد عند الإمام الرازي:

1. إما بسبب أخذ الرياح للسحب.
2. وإما بسبب الدخان المنحبس داخل السحاب، حين يصعد أو يهبط ويفارق السحاب فيمزقه.

وله تعليل ثالث ذكره على سبيل الاحتمال، وهو أن الرعد ربما ينتج عن البرق، وتصوَّره بأنه: صوت انطفاء الدخان المشتعل في السحاب، يقول: '' وربما كان البرق سببًا للرعد، فإن الدخان المشتعل ينطفيء في السحاب، فتسمع لانطفائه أصوات كما أنا إذا أطفأنا النار بين أيدينا حدث صوت''![3]

لكن العلم الحديث له تعليل آخر لحدوث الرعد..

يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا: ''أما مصدر الصوت المدوي في ظاهرة الرعد، فهو حدوث تسخين شديد مفاجيء في منطقة انبعاث البرق، نتيجة استنفاد كميات هائلة من الطاقة الكهربية، فيتمدد الهواء فجأة محدثًا فراغات جزئية أو تخلخلًا في المكان. ولذا سرعان ما يندفع الهواء من كل صوب ليملأ موضع هذه الفراغات محدثًا هزيم الرعد''.[4]

فحدوث الرعد متعلق تمامًا بالبرق، '' وذلك لأن درجة حرارة شرارة البرق تصل إلى أكثر من 1000 درجة مئوية، فيسخن الهواء ويتمدد وتحدث الفرقعة المدوية ''.[5] و''هذا الصوت قد يكون صدى الرعد بين كتل السحاب فيتردد، فنسميه قعقعة الرعد؛ أما صوت الشرارة الكهربائية البرقية فهو بدء الرعد، وقد يكون ضعيفًا بالنسبة لهزيمه وقعقعته، لذلك نسمع الرعد ضعيفًا في الأول ثم يزداد كأنما أوله إيذان بتضخمه... فالرعد يحدث لا عند اتحاد الكهربائيتين حين يحدث

---

[1] 19/ 23.

[2] تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1990)، 2/ 193.

[3] السابق.

[4] مقال بعنوان: «الظواهر الكونية»، منشور في: جريدة الأهرام، بتاريخ: 29 رمضان 1420هـ/ 6 يناير 2000م، نقلًا عن: محمد عبدالحميد حذيفة، *تفسير سورة الرعد دراسة تحليلية موضوعية*، (طنطا، الخولي للطباعة، ط1، 2004)، ص: 125.

[5] كارم السيد غنيم، *الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق*، (القاهرة، دار الفكر العربي، ط1،1995)، ص: 314.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البرق فقط، ولكن يحدث أكثره بعد ذلك عند تمدد الكتل الهوائية العظيمة الهاجمة في المنطقة المفرغة''.[١]

البرق:

يذكر الإمام رحمه الله تعليل الفلاسفة لحدوث البرق أنه عبارة عن شرارة ناتجة عن تمزيق الريح للسحاب بعد أن كان محتقنًا داخله؛ غير أنه لا يرتضي بهذا التعليل ويرده؛ لكنه لا يذكر تعليلًا علميًا هنا. وفي «المباحث المشرقية» يعلل حدوثه بسبب: اشتعال الدخان المتصاعد أو الهابط عند مفارقته لجسم السحاب محدثًا حركة شديدة ومحاكة قوية.[٢] والدخان يعتبر واحدًا من مكثفات السحب والتي تحمله الرياح –مع أتربة وأملاح وغيرها– إلى البخار. وللعلم الحديث تعليل آخر لحدوث البرق:

يقول الدكتور أحمد فؤاد باشا: ''مصدر الضوء في ظاهرة الرعد هو: حدوث ما يسمى بالتفريغ الكهربي بين شحنة موجبة وأخرى سالبة، على غرار الشرارة الكهربائية المنبعثة من البطارية عند توصيل قطبيها بسلك معدني''.[٣]

ويصحب البرق عادةً السحب الكثيفة المثقلة الغنية بالمطر والممتدة عاليًا كالجبال ، والتي تسمى بسحب الرُّكَام Cumulus، وهذا التفريغ للشحنات الكهربية قد يقع داخل السحابةالواحدة حين يكون أعلاها موجبًا وأسفلها سالبًا مثلًا، أو بين سحابة موجبة وأخرى سالبة.[٤]

يكتسب السحاب الكهربائية التي تتولد في الهواء عند تكونه على الأيونات أو الأويلبات المحملة في الطبقات العليا الجوية. من المعلوم أن نوعي الكهربائية يتجاذبان، وأن الموجب والموجب أو السالب والسالب يتدافعان ويتنافران، هذا التنافر من شأنه تفريق السحاب ذي النوع الواحد، لكن الله سبحانه قد يجمعه برغمه بواسطة الرياح، وعندئذ تكبر السحابة وتكبر شحنتها الكهربائية، ثم إذا شاء الله ساق السحاب بالريح حتى يقترب السحاب الموجب من السحاب السالب فتتحد كهربائيتهما وتحدث شرارة عظمى، هي البرق.

والبرق يمثل قوة كهربائية هائلة، قد تبلغ شرارته ثلاثة أميال في طولها؛ بينما أكبر شرارة كهربائية أحدثها الإنسان لا تزيد عن بضعة أمتار. هذا ما يجعل هذه الحرارة الهائلة تمدد الهواء بشدة وتحدث مناطق جوية عظيمة مخلخلة.[٥]

---

[١] *الإسلام في عصر العلم*، (ص: 345).
[٢] (2/ 193).
[٣] *تفسير سورة الرعد*، (ص: 124).
[٤] محمد دودح، «البرق بشير ونذير»، مقال منشور على: www.quran-m.com.
[٥] *الإسلام في عصر العلم*، (ص: 344، 345).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما كشف العلم مؤخرًا أن للبرَد دورًا رئيسيًا في توزيع وتوليد الشحنات الكهربائية على طبقات السحب أثناء تحركاته. فتواجد حبيبات البرد المشحونة بطاقة كهربائية سالبة في الطبقات السفلى من السحب هي المسبب للبرق سواء داخل السحب أو بين السحب والأرض.[١]

ويشير القرآن إلى إعجاز رائع، وهو البرق الذي يخطف الأبصار ويذهب بها. وهذا بالفعل ما يعانيه الطيار في حالة العواصف والرعد، خاصة في المناطق الحارة الرطبة، حيث تبلغ ومضات البرق حوالي 40 ومضة في الدقيقة، مما يصيب الطيار بفقدان بصره ولا يقوى على الاستمرار في قيادة طائرته. وإذا نظر الإنسان في وجه البرق الشديد الضياء، فإنه لابد وأن يصاب بالعمى المؤقت.[٢] والأصل في هذه الظاهرة أن البرق يرى أولًا ثم يسمع الرعد بعده ولو بنسبة جزء من الثانية؛ وذلك لأن سرعة البرق: 300000 كم/ ثانية؛ بينما سرعة الصوت: 330 متر/ ثانية.[٣]

ويحاول الإمام الرازي أن يفسر هذه الظاهرة، فيقول: " واعلم أن حدوث البرق والرعد معًا؛ إلا أن البرق يرى في الحال والرعد يسمع بعد زمان، لأن الإبصار لا يحتاج إلا إلى محاذاة البصر للمبصر من غير حجاب، وذلك مما لا حاجة فيه إلى الزمان؛ وأما السماع فهو إنما يحصل بوصول تموج الهواء إلى الصماخ، وذلك يستدعي زمانًا".[٤]

الصاعقة

يشير الإمام إلى أنه رغم تولد هذه الصواعق من السحب وهي رطبة، إلا أن حرارة الصواعق في غاية السخونة والإحراق. ولا يذكر هنا علتها؛ ولكن نجده في «المباحث المشرقية» يعلل حدوثها بوصول الدخان –النازل مشتعلًا من السحاب– إلى الأرض.[٥]

لكن العلم الحديث يخبرنا أن سبب حدوث الصاعقة، هو حدوث التفريغ الكهربي بين سحابة وبين جسم موجود على سطح الأرض ، وهذا يكون عادة إذا كان السحاب عظيم الكهربائية قريبًا من الأرض، فإذا حدث التفريغ ظهر له كالعادة ضوء وصوت، يسمى مجموعهما بالصاعقة.. وأكثر حدوثه يكون بين الأجسام المدببة على سطح الأرض من شجر أو نحوه وبين السحاب.[٦]

وبالفعل هذه الصواعق تكون درجة حرارتها مرتفعة للغاية، فهذه الشحنات تسخِّن الهواء حولها إلى درجة حرارة تفوق التصور، تقارب: 30,000°س، أي: خمس مرات أحرّ من درجة حرارة سطح الشمس.[٧] وقوله في تعريفها سابقًا: "إنها سريعة الخمود"، يرجع إلى أنها في حقيقة الأمر مجرد شرارة، لكنها قد تسبب حرائق هائلة في الغابات وغيرها.

---

(١) إيمان الدوابي، «إعجاز قرآني في السحب»، (30/ 12/ 2011م)، مقال منشور على: www.maghress.com.
(٢) *الموسوعة الكونية الكبرى*، (13/ 66).
(٣) بلخير حموتي، «يكاد البرق يخطف أبصارهم»، مقال منشور على: www.quran-m.com.
(٤) *المباحث المشرقية*، (2/ 194).
(٥) (2/ 194).
(٦) انظر: مقال: «يكاد البرق يخطف أبصارهم»، *والإسلام في عصر العلم*، (ص: 347).
(٧) *الموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 257).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فضائل السماء وما فيها

في معرض كلامه على دلائل هذه الآية، فصَّل الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ الكلام على دلالة السماء.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ البقرة: 21، ٢٢

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

"فضائل السماء، وهي من وجوه

الأول: أن الله تعالى زينها بسبعة أشياء : بالمصابيح ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[1]، وبالقمر ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾[2]، وبالشمس ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[3]، وبالعرش ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4]، وبالكرسي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[5]، وباللوح ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[6]، وبالقلم ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾[7]؛ فهذه سبعة، ثلاثة منها ظاهرة وأربعة خفية ثبتت بالدلائل السمعية من الآيات والأخبار

الثاني: أنه تعالى سمى السموات بأسماء تدل على عظم شأنها : سماءً وسقفًا محفوظًا وسبعًا طباقًا وسبعًا شدادًا، ثم ذكر عاقبة أمرها ، فقال: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾[8]، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾[9]، ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾[10]، ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾[11]، ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾[12]، ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾[13]؛ وذكر مبدأها في آيتين، فقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[14]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾[15]. فهذا الاستقصاء الشديد في كيفية حدوثها وفنائها يدل على أنه سبحانه خلقها لحكمة بالغة على ما قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[16].

---

(١) الملك: ٥.
(٢) نوح: ١٦.
(٣) نوح: ١٦.
(٤) التوبة: ١٢٩.
(٥) البقرة: ٢٥٥.
(٦) البروج: ٢٢.
(٧) القلم: ١.
(٨) المرسلات: ٩.
(٩) التكوير: ١١.
(١٠) الأنبياء: ١٠٤.
(١١) المعارج: ٨.
(١٢) الطور: ٩.
(١٣) الرحمن: ٣٧.
(١٤) فصلت: ١١.
(١٥) الأنبياء: ٣٠.
(١٦) ص: ٢٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والثالث: أنه تعالى جعل السماء قبلة الدعاء، فالأيدي ترفع إليها والوجوه تتوجه نحوها، وهي منزل الأنوار ومحل الصفاء والأضواء والطهارة والعصمة عن الخلل والفساد

الرابع: قال بعضهم السموات والأرضون على صفتين ؛ فالسموات مؤثرة غير متأثرة والأرضون متأثرة غير مؤثرة والمؤثر أشرف من القابل، فلهذا السبب قدم ذكر السماء على الأرض في الأكثر. وأيضاً ففي أكثر الأمر ذكر السموات بلفظ الجمع والأرض بلفظ الواحد فإنه لا بدّ من السموات الكثيرة ليحصل بسببها الاتصالات المختلفة للكواكب وتغير مطارح الشعاعات؛ وأما الأرض فقابلة فكانت الأرض الواحدة كافية

الخامس: تفكر في لون السماء وما فيه من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر وتقوية له حتى إن الأطباء يأمرون من أصابه وجع العين بالنظر إلى الزرقة فانظر كيف جعل الله تعالى أديم السماء ملونًا بهذا اللون الأزرق لتنتفع به الأبصار الناظرة إليها، فهو سبحانه وتعالى جعل لونها أنفع الألوان وهو المستنير وشكلها أفضل الأشكال وهو المستدير؛ ولهذا قال: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[1]، يعني ما فيها من فصول ولو كانت سقفاً غير محيط بالأرض لكانت الفروج حاصلة[2].

---

[1] ق: ٦.
[2] 2/ 107، 108.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشمس

تكلم الإمام رحمه الله على أول ما يلفت النظر في السماء؛ وهي: الشمس، وتعرّض لذكر منافع طلوعها وغروبها وارتفاعها وانحطاطها وحركتها وميلها.

والشمس هي: هذا النجم الذي يرسل طاقة هائلة إلى الأرض، لولاها ما كانت حياة للنبات أو الحيوان أو الإنسان وما كانت هناك مصادر أخرى للطاقة. والشمس عبارة عن كرة هائلة من الغازات المتقدة.

يبلغ حجمها أكثر من حجم الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة. أما كتلتها فهي أكبر من كتلة الأرض 330,000 ألف مرة. الشمس هي التي تنظم حركة الأرض وأخواتها من الكواكب وتوابعها، فهي تجذب كل هذه المجموعة بقوة هائلة، فتحافظ على سير كل منها في مداره.

تدور الأرض حول نفسها مرة كل يوم، فينشأ عن ذلك تعاقب الليل والنهار، وتدور حول الشمس مرة في السنة فينشأ عن ذلك تحرك الشمس ظاهريًا بين النجوم. تسبح الشمس في الفضاء بسرعة 220 كيلو متر في الثانية. ويبلغ متوسط درجة حرارة باطنها 15 مليون درجة مئوية، وعلى السطح حوالي 6 مليون درجة. والقدر الذي يصل إلى الأرض من إشعاع الشمس محدود؛ بل هو ضئيل إذا قورن بما يشع من سطحها الكبير.[1]

"أما الشمس، فتفكر في طلوعها وغروبها؛ فلولا ذلك لبطل أمر العالم كله، فكيف كان الناس يسعون في معايشهم.

ثم المنفعة في طلوع الشمس ظاهرة؛ ولكن تأمل النفع في غروبها:

فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار، مع احتياجهم إلى الهدوء والقرار، لتحصيل الراحة وانبعاث القوة الهاضمة وتنفيذ الغذاء إلى الأعضاء، على ما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا ﴾[2]. وأيضًا: فلولا الغروب لكان الحرص يحملهم على المداومة على العمل، على ما قال: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١ ﴾[3].

والثالث: أنه لولا الغروب لكانت الأرض تحمى بشروق الشمس عليها حتى يحترق كل ما عليها من حيوان، ويهلك ما عليها من نبات، على ما قال: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ﴾[4]، فصارت الشمس بحكمة الحق تعالى تطلع في وقت وتغيب في وقت، بمنزلة سراج يدفع لأهل بيت بمقدار حاجتهم، ثم يرفع عنهم ليستقروا ويستريحوا. فصار النور والظلمة على تضادهما متعاونين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم هذا كله في طلوع الشمس وغروبها".

---

(١) انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (2/ 209)، Hoyle. (1960). *The nature of the univers*. Oxford.، (ص: 42-49).
(٢) يونس: ٦٧.
(٣) النبأ: ١٠ – ١١.
(٤) الفرقان: ٤٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه العملية تتم بسبب دوران الأرض حول نفسها، وهي الدورة اليومية الناتج عنها تعاقب الليل والنهار؛ ونحن نقول "طلوع الشمس وغروبها" باعتبار ما هو مشاهد، وإلا فالأرض هي التي تدور حول الشمس.

"أما ارتفاع الشمس وانحطاطها، فقد جعله الله تعالى سببًا لإقامة الفصول الأربعة:

ففي الشتاء، تغور الحرارة في الشجر والنبات، فيتولد منه مواد الثمار ويلطف الهواء ويكثر السحاب والمطر ويقوي أبدان الحيوانات، بسبب احتقان الحرارة الغريزية في البواطن.

وفي الربيع، تتحرك الطبائع وتظهر المواد المتولدة في الشتاء، فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان للسفاد.

وفي الصيف، يحتدم الهواء فتنضج الثمار وتنحلّ فضول الأبدان ويجف وجه الأرض ويتهيأ للبناء والعمارات.

وفي الخريف، يظهر اليبس والبرد فتنتقل الأبدان قليلًا قليلًا إلى الشتاء، فإنه إن وقع الانتقال دفعة واحدة هلكت الأبدان وفسدت".

من الطبيعي أن تتأثر الكائنات بدرجة الحرارة صعودًا وهبوطًا، وهذا ما دفع السابقين للكلام على بيولوجية الكائنات خلال الفصول المتنوعة.

والشمس شأنها شأن غيرها من الأجرام السماوية، تسبح في مسار أو فلك خاص بها يدور حول مركز مجرتها، قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ يس: ٣٨، ولكن عملية الفصول الأربعة تأتي نتيجة لدوران الأرض حول الشمس دورة كاملة على مدار العام (365 يومًا)، حيث

> "تدوِّم الأرض حول محورها فيما هي تدور حول الشمس في مدار بيضي الشكل، متممة الدورة الكاملة في 365,26 يومًا. ويميل محور الأرض على مستوى الفلك 23,5°، بحيث إن هذا الميل يكون نحو الشمس في نصف الكرة الشمالي عندما تكون الأرض في جانب من الشمس، وبعد ستة أشهر، حينما تكون الأرض في الجانب الآخر من الشمس، يصبح الميل نحو نصف الكرة الجنوبي. ففي النصف المائل نحو الشمس ترتفع الشمس عاليًا في كبد السماء وتكون الأيام طويلة (بنهُرها) والطقس حارًّا، والفصل صيفًا. بينما في نصف الكرة المقابل، الحائد عن الشمس، يكون ارتفاع الشمس أخفض في تكبدها السماء، والأيام أقصر وأبرد، والفصل شتاء"[1].

إذًا فهذا كله ناتج عن حركة الأرض وليس عن حركة الشمس.. فلابد من وضع هذه النقطة في الاعتبار، وهي ما لم يكن يعرفه الفلاسفة القدامى وأخذ عنهم الرازي — كما هو واضح من كلامه عن حركة الشمس.

---

[1] *الموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 243). بتصرف يسير.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"وأما حركة الشمس فتأمل في منافعها:فإنها لو كانت واقفة في موضع واحد لاشتدت السخونة في ذلك الموضع واشتد البرد في سائر المواضع؛ لكنها تطلع في أول النهار من المشرق فتقع على ما يحاذيها من وجه المغرب، ثم لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى الغروب فتشرق على الجوانب الشرقية، فلا يبقى موضع مكشوف إلا ويأخذ حظًا من شعاع الشمس. وأيضًا كأن الله تعالى يقول : لو وقفت في جانب الشرق والغنيّ قد رفع بناءه على كوة الفقير فكان لا يصل النور إلى الفقير؛ لكنه تعالى يقول: إن كان الغني منعه نور الشمس فأنا أدير الفلك وأديرها عليه حتى يأخذ الفقير نصيبه.

وأما منافع ميلها في حركتها عن خط الاستواء [1]، فنقول: لو لم يكن للكواكب حركة في الميل [2] لكان التأثير مخصوصًا ببقعة واحدة، فكان سائر الجوانب يخلو عن المنافع الحاصلة منه، وكان الذي يقرب منه متشابه الأحوال، وكانت القوة هناك لكيفية واحدة، فإن كانت حارة أفنت الرطوبات وأحالتها كلها إلى النارية ولم تتكون المتولدات، فيكون الموضع المحاذي لممر الكواكب على كيفية وخط؛ ما لا يحاذيه على كيفية أخرى ؛ وخط متوسط بينهما على كيفية متوسطة، فيكون في موضع شتاء دائم يكون فيه الهواء والعجاجة، وفي موضع آخر صيف دائم يوجب الاحتراق، وفي موضع آخر ربيع أو خريف لا يتم فيه النضج"[3].

منافع ميل الشمس عن خط الاستواء ناتجة عن دوران الأرض حول الشمس، مع دورانها حول نفسها مرة كل يوم؛ إذ إنها تدوم باستمرار حول محورها المتعامد مع خط الاستواء[4].

---

[1] قال القلشندي : "كرة الأرض يقسمها خط في وسطها بنصفين نصف جنوبي ونصف شمالي ويسمى هذا الخط : الاستواء لاستواء الليل والنهار عنده في جميع فصول السنة، ويقاطعه خط آخر يقسمها بنصفين، نصف شرقي ونصف غربي، وتصير الأرض به أربعة أرباع ، ويسمى هذا الخط : خط نصف النهار ، لمسامتةالشمس له في نصف النهار ". *صبح الأعشى*، تحقيق: يوسف علي طويل، (دمشق دار الفكر، ط1، 1987)، 3/ 230.

[2] الميل عند أهل الهيئة: قوس من دائرة الميل بين معدّل النهار ودائرة البروج (Zodiac) بشرط أن لا يقع بينهما قطب المعدّل، ودائرة الميل عظيمة تمرّ تارة بقطبي المعدّل وبجزء ما من منطقة البروج أو بكوكب من الكواكب، ويسمّى دائرة الميل الأول أيضا لأنّه يعرف بها. محمد بن علي، *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996)، 2/ 1676.

[3] 2/ 108، 109.

[4] انظر: *الموسوعة العلية الشاملة*، (ص: 211).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القمر

[موضعان]

ثم تكلم الإمام رحمه الله عن الشيء الثاني في السماء، وهو: القمر.

والقمر جار الأرض الأقرب في الفضاء، وهو جِرم كروي صخري يبلغ حجمه 1 على 50 من حجم الأرض. يدوِّم حول محوره كل سبعة وعشرين يومًا وسبع ساعات و 41 دقيقة، في الوقت الذي يدور فيه حول الأرض، وهو يرافقها في مدارها حول الشمس. و القمر هو التابع الوحيد للأرض، وعلى هذا فإن هناك علاقه وثيقه بينهما. ومدار القمر حول الأرض على شكل قطع ناقص، يشبه في ذلك مدارات الكواكب السيارة.

يتركب القمر من مواد أخف من المواد التي تتركب منها الأرض، وأغلب الظن أن القمر يتكون من كتل صخرية شبيهة بسلاسل الجبال السطحية على الأرض. وقوة الجاذبية على سطحه أقل منها على الأرض. لا يعلو سطح القمر هواء، ولم يستدل العلماء على وجود أي غلاف جوي مماثل لما نصادفه على الكواكب الأخرى.

سطح القمر وعر إلى أقصى الحدود، ولم تتساقط عليه الأمطار؛ وكل ما يحدث على سطحه تتابع البرودة والحرارة الشديدتين. فسطحه شديد الحرارة نهارًا، حيث تسطع عليه الشمس بصفة مستمرة طوال 14 يومًا، ثم تعاود الحرارة الهبوط أثناء المساء[1].

"أما القمر، وهو المسمى بآية الليل؛ فاعلم أنه ﷻ جعل طلوعه وغيبته مصلحة، وجعل طلوعه في وقتٍ مصلحة وغروبه في وقتٍ آخر مصلحة: أما غروبه، ففيه نفع لمن هرب من عدوه فيستره الليل يخفيه فلا يلحقه طالب فينجو، ولولا الظلام لأدركه العدو. .. وأما طلوعه، ففيه نفع لمن ضل عنه شيء أخفاه الظلام وأظهره القمر"[2].

"حركة الشمس مخصوصة بمقدار من السرعة والبطء بحيث تتم الدورة في سنة، وقدر حركة القمر بحيث يتم الدورة في شهر، وبهذه المقادير تنتظم مصالح العالم في الفصول الأربعة، وبسببها يحصل ما يحتاج إليه من نضج الثمار، وحصول الغلات، ولو قدرنا كونها أسرع أو أبطأ مما وقع، لاختلت هذه المصالح"[3].

الثابت علميًا أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة ثابتة، تقدر بحوالي 18,5 ميلًا في الثانية. ويقول صاحب المنار في هذه الآية:

> "جعل الشمس والقمر حسبانًا أي: عَلَمَي حساب، لأن طلوعهما وغروبهما وما يظهر من تحولاتهما واختلاف مظاهرهما كل ذلك بحساب... وفضل الله تعالى في ذلك عظيم؛ فإن حاجة الناس إلى معرفة

---

(1) انظر: الموسوعة العلمية الشاملة (ص: 288)، Nourse, A. (1967).*Nine planets*. New York.، (ص: 162).

(2) 2/ 109، 110.

(3) 13/ 82 في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾ الأنعام: ٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حساب الأوقات لعباداتهم ومعاملاتهم وتواريخهم لا تخفى على أحد منهم في جملتها، وعند خواص العلماء من ذلك ما ليس عند غيرهم، وعلماء الفلك والتقاويم متفقون في هذا العصر على أن للأرض حركتين، حركة تتم في 24 ساعة وهي مدار حساب الأيام، وحركة تتم في سنة وبها يكون اختلاف الفصول وعليها مدار حساب السنين الشمسية"[1].

وكذلك القمر يدور حول الأرض بمقدار مخصوص، بحيث تكتمل دورته خلال الشهر؛ فالله سبحانه "قدر سيره في فلكه في منازل ينزل في كل ليلة في واحد منها لا يخطئه ولا يتخطاه، وهي ثمانية وعشرون منزلًا معروفة تسميها العرب بأسماء نجومها المحاذية لها... فهذه المنازل هي التي يرى فيها القمر بالأبصار، ويبقى من الشهر ليلة إن كان 29، وليلتان إن كان 30 يومًا يحتجب فيهما فلا يرى"[2].

---

[1] *تفسير المنار*، (7/ 530).

[2] السابق، (11/ 248).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النجوم

ثم تكلم الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ عن الشيء الثالث في السماء، وهي: النجوم.

والنجم في الحقيقة: كرة هائلة مدوّمة من الغاز المضيء الشديد الحرارة، وتتواجد النجوم في مجرات تحوي الواحدة منها آلاف ملايين النجوم من أصناف مختلفة؛ بينما تبدو النجوم مستقرة في السماء بسبب بعدها الهائل عن الأرض[1]. ويراد بالنجوم في القرآن: "ما عدا الشمس والقمر من نيرات السماء"[2].

"أما النجوم، ففيها منافع:المنفعة الأولى: كونها رجومًا للشياطين".

قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به "[3]. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾، الملك: ٥، يقول الشيخ السعدي:

> "ولقد جملنا ﴿ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ التي ترونها وتليكم، ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ وهي: النجوم، على اختلافها في النور والضياء، فإنه لولا ما فيها من النجوم، لكانت سقفًا مظلمًا، لا حسن فيه ولا جمال. ولكن جعل الله هذه النجوم زينةً للسماء وجمالًا، ونورًا وهداية يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ولا ينافي إخباره أنه زين السماء الدنيا بمصابيح أن يكون كثير من النجوم فوق السموات السبع، فإن السموات شفافة، وبذلك تحصل الزينة للسماء الدنيا، وإن لم تكن الكواكب فيها، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: المصابيح ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ الذين يريدون استراق خبر السماء، فجعل الله هذه النجوم، حراسة للسماء عن تلقف الشياطين أخبار الأرض، فهذه الشهب التي ترمى من النجوم، أعدها الله في الدنيا للشياطين ؛ ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ لأنهم تمردوا على الله، وأضلوا عباده"[4].

---

[1] *الموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 278).
ونجَم الشيءُ نجْمًا ونجومًا : طلع وظهر ؛ ونجَّم فلان : راقب النجوم يحسب أوقاتها وسيرها وادعى معرفة الأنباء بمطالع النجوم؛ والنَّجم: أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها ، ومواضعها النسبية في السماء ثابتة ، ومنها الشمس . *المعجم الوسيط*، (ص: 904، 905).

[2] *تفسير المنار*، (7/ 530).

[3] صحيح البخاري (بدء الخلق/ باب في النجوم).

[4] عبدالرحمن السعدي، *تفسير السعدي*، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، (مصر: مؤسسة الرسالة، ط1، 2000)، ص: 875، 876.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"والثانية: معرفة القبلة بها. والثالثة: أن يهتدي بها المسافر في البر والبحر، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾[1]".

اهتداؤهم بالنجوم قسمان : أحدهما : معرفة الوقت من الليل أو من السنة، والثاني : معرفة المسالك والطرق والجهات[2].

"تستخدم أنماط النجوم وأوضاعها في الملاحة (فنجم القطب يحدد القطب الشمالي للأرض) كما في التقاويم (فمن الأرض تشاهد أبراج مختلفة من النجوم خلال السنة، أثناء دوران الأرض حول الشمس)"، وكان القدماء يقومون برسم خرائط نجمية تقسّم النجوم إلى مجموعات، تَمثَّلوها في صور خيالية كالعقرب والدب والأسد. وبظهور التلسكوبات وتطور تقنيات الرصد تحددت مواقع النجوم بدقة متزايدة؛ وبدأ إعداد الخرائط الفلكية فوتوغرافيًا بواسطة الحواسيب. واليوم تتحدد مواقع النجوم بدقة وسرعة فائقتين"[3].

"ثم النجوم على ثلاثة أقسام: غاربة لا تطلع، كالكواكب الجنوبية؛ وطالعة لا تغرب، كالشمالية؛ ومنها ما يغرب تارة ويطلع أخرى؛ وأيضًا منها ثوابت ومنها سيارات ومنها شرقية ومنها غربية".

ما لم يكن يعرفه الأقدمون، هو أن تلك النجوم تولد باستمرار وتشيخ وتموت؛ وهي أنواع مختلفة ومتعددة، وأعدادها بالملايين. و إذا نظرنا إلى السماء نهارًا لا نرى إلا الشمس، وإذا تأملنا السماء ليلًا وجدناها تزدان بالنجوم التي لا تتساوى في أحجامها ودرجات لمعانها. تجيء من الشرق وتذهب من الغرب، جميعها تمر بالنجم القطبي كما يسميه الفلكيون. وهذه النجوم لا تتجاوز الستة آلاف، ترى بالتلسكوبات ليلًا؛ والنصف الآخر لا يرى لشدة إشعاع الشمس. ويختلف منظر النجوم بالسماء باختلاف الراصد ومكانه وزمانه من سطح الأرض. والأجرام السماوية نسميها نجومًا، وهي في حقيقتها شموس من حيث طبيعة تكوينها وتركيبها، وهي تبدو صغيرة بالنسبة للشمس، لا لسبب إلا أنها أبعد عنا من الشمس. ويقدر ما يمكن كشفه من النجوم بواسطة تلسكوب جبل بالومار بالولايات المتحدة الأمريكية بأكثر من 1500 مليون نجم. وهناك أجرام تتلألأ بالضوء كالنجوم، وليست ثابتة في مواضعها؛ بل تتحرك وترسم مسارات لولبية بينها، عرفها الفلكيون على مر العصور، وهي الكواكب السيارة التسعة: عطارد والزهرة والأرض والمريخ والمشتري وزحل ويورانوس ونبتون وبلوتو، نراها بانعكاس ضوء الشمس على سطوحها[4].

---

[1] الأنعام: ٩٧.
[2] تفسير المنار، (7/ 530).
[3] *الموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 282).
[4] Evans. (1958). *Astronomy*, London، (ص: 74).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"أما الذي تدعيه الفلاسفة من معرفة الأجرام والأبعاد ، فدع عنك بحرًا ضل فيه السوابح ؛ قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾[1]،وقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[2]، وقال: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾[3]، وقال: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾[4]. فقد عجز الخلق عن معرفة ذواتهم وصفاتهم، فكيف يقدرون على معرفة أبعد الأشياء عنهم؟!"[5].

لم يتمكن علماء الفلك حتى الآن إلا من معرفة أبعاد بعض المئات منها؛ لأن سائرها أبعد من أن يُرى اختلاف في مواقعه، والذي عرف بعده منها جرت العادة ألا يحسب بعده بالأميال، بل بالمسافة التي يقطعها النور في سنة من الزمان . فـ«السنة الضوئية» هي التي يقطعها الضوء في السنة الواحدة، فإذا كانت سرعة الضوء 300,000 كم في الثانية، فالسنة الضوئية تعادل 9 تريليونات ونصف كم[6].

---

[1] الجن: ٢٦ – ٢٧.
[2] الإسراء: ٨٥.
[3] هود: ٣١.
[4] الكهف: ٥١.
[5] 2/ 110. وانظر أيضًا: (13/ 83) في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ الأنعام: ٩٧.
[6] *انظر: تفسير المنار*، (7/ 530)، *والموسوعة الكونية الكبرى*، (1/ 143).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السموات السبع

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ البقرة: ٢٩

نقل الإمام هنا مفهوم السموات السبع عند الفلاسفة واعتقد به.

"اعلم أن القرآن ههنا قد دل على وجود سبع سموات، وقال أصحاب الهيئة: أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد، ثم كرة الزهرة، ثم كرة الشمس، ثم كرة المريخ، ثم كرة المشتري، ثم كرة زحل"[1].

السماء هي: "كل ما يحيط بالأرض إلى ارتفاعات تنتهي حيث يبدأ الفراغ الكوني بما فيها من الأجرام السماوية المنتشرة في أعماقه السحيقة على اختلاف أشكالها وأحجامها وصورها، تتحرك في نظام مبدع، ويتوالى ظهورها واختفاؤها لسكان الأرض، محدثة الضوء والدفء، وهي جميعها في علوها وترابطها بقوى الجاذبية كالبنيان في تماسكها واتزانها وتدرجها طبقة بعد طبقة، وفي الجزء الأول من السماء –وهو المحيط بالأرض والقريب منها مباشرة– توجد الطبقات الجوية المختلفة الواقية من الاشعاعات الضارة الصادرة عن أرجاء الكون، وهذه الطبقات تسمح فقط للأشعة المفيدة بالنفاذ منها لملاءمتها للحياة على سطح الأرض، فهي كالمظلات أو الأسقف الواقية، وفي هذه الطبقة من السماء يكون السحاب، ومنه يكون المطر"[2].

كان القدماء يعتقدون أن السموات السبع هي الكواكب السبع الملاحظة (في مجموعتنا الشمسية)— فكانوا يعدون الشمس والقمر كوكبين، نظرًا لعدم المعرفة الفلكية الكاملة، مع الخمسة كواكب الأخرى التي كان بإمكانهم رؤيتها بالعين المجردة، وهي: عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل.. وحسب هذا الاعتقاد، كان كل كوكب يحتل طبقة خاصة به في السماء، ولكل مداره الخاص يبتعد به عن الأرض؛ التي كانت تعتبر هي مركز الكون! أخذ الإمام الرازي هذا القول عنهم وأقره؛ حتى إنه جاءت هذه المسألة في فهرس تفسيره تحت عنوان: "القول بأن السموات هي الكواكب".

أما الآن فقد أصبح من المسلم به أن تلك المسافات ما هي إلا مدارات الكواكب حول الشمس في مجموعتنا الشمسية، بينما تضم مجرتنا حوالي (200 مليار) نجم آخر غير الشمس، كما أن هناك بلايين المجرات في الكون الشاسع.

ومن الجدير بالذكر أن أرسطو، ومِن بعده ابن سينا ومفكري تلك العصور، كانوا يقسمون العالم إلى قسمين، على أساس فلك القمر[3]:

---

(١) 2/ 156-158.
(٢) *المنتخب في تفسير القرآن الكريم*، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1968)، ص: 7 هامش.
(٣) محمد عاطف العراقي، *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا* ، (مصر، دار المعارف، ط2، بدون تاريخ)، ص: 384، 350.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما فوق فلك القمر (الفلكية)	وما تحت فلك القمر (العنصرية)
وهو الذي يقع من فلك القمر إلى آخر العالم، وهو عالم الكواكب	وهو ما يقع من الأرض إلى فلك القمر
يتكون من مادة الأثير، وهي جسم ليس له ضد وغير متغير، ولا يقبل أي نوع من الاستحالات الكمية أو الكيفية	يتكون من أربعة عناصر: النار الحارة اليابسة، والهواء الحار الرطب، والماء البارد الرطب، والأرض الباردة اليابسة.
حركته دائرية	حركات هذه العناصر مستقيمة، إما إلى فوق كالنار والهواء؛ وإما إلى أسفل كالأرض والماء.
لا يعتريه الكون والفساد (لا يولد ولا يفنى ولا يتحول)	يعتريه الكون والفساد (يولد ويفنى ويتحول)

وجميع الكائنات في الأرض متولدة من هذه الأربعة العناصر بتركيب بعضها ببعض وامتزاج بعضها في بعض، بالزيادة في الطبائع والنقصان. وجملة المتولدات في الأرض من هذه العناصر تحصرها ثلاثة أجناس: جماد ونبات وحيوان[1].

بينما أصبح من المسلّم به الآن أن القمر ما هو إلا تابع لكوكب الأرض، الذي هو عبارة عن أحد الكواكب التي تدور حول الشمس؛ بينما يوجد –على سبيل المثال– قمران لكوكب المريخ، وتسعة أقمار لزحل، واثنا عشر قمرًا للمشتري، والشمس نجم متوسط الحجم بالنسبة إلى شموس أخرى[2].

وفي القرآن، نجد قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٞ ۝٤ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾ الملك: ٣ - ٥. يخبرنا أن السماء الدنيا فقط هي التي تحوي هذه الكواكب والنجوم، وأن السموات خلقت طباقًا، أي: بعضها فوق بعض.

يذهب البعض إلى مقارنة هذه السموات السبع بطبقات الغلاف الجوي السبعة المحيطة بالأرض[3]. ولكن الأمر أكبر من ذلك بكثير! فالنجوم والكواكب التي تظهر في السماء الدنيا تتجاوز

---

(١) التيفاشي، *سرور النفس بمدارك الحواس الخمس* ، تهذيب: ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1980)، ص: 167.

(٢) انظر: مصباح منصور موسى مطاوع، دلائل الإعجاز العلمي في الكونيات من خلال سورة الرعد وأثرها في الدعوة الإسلامية ، (رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدعوة والثقافة)، ص: 47.

(٣) هارون يحيى، *القرآن والعلم*، (ص: 26)، نقلًا عن: مجدي فتحي السيد، *الإعجاز العلمي في القرآن* ، (طنطا، دار الصحابة للتراث، بدون تاريخ)، ص: 8.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الغلاف الجوي بسنوات ضوئية عديدة جدًا، والأحاديث الواصفة رحلة معراج النبي ﷺ واضحة في ذكر السموات السبع الطباق صراحة[١].

من هذه الأدلة النقلية، نستطيع الجزم بأنها سبع سموات على الحقيقة، لا أكثر ولا أقل؛ والعلم الحديث لم يستطع حتى الآن اكتشاف شيء مما هو فوق السماء الدنيا، ولذا يصبح الكلام العلمي في ماهية أو كيفية السموات السبع من باب الخوض في الشيء بغير علم. يقول الأستاذ سيد قطب:

> "والسموات السبع الطباق التي تشير إليها الآية لا يمكن الجزم بمدلولها، استقاء من نظريات الفلك، فهذه النظريات قابلة للتعديل والتصحيح، كلما تقدمت وسائل الرصد والكشف. ولا يجوز تعليق مدلول الآية بمثل هذه الكشوف القابلة للتعديل والتصحيح. ويكفي أن نعرف أن هناك سبع سموات. وأنها طباق بمعنى أنها طبقات على أبعاد متفاوتة"[٢].

وتقول الحقائق إن أبعد نجم تم رصده عن الأرض حتى اليوم يبعد 15 مليار سنة ضوئية، وأبعد مسافة وصل إليها الإنسان بمركبته –وليس بجسده– هو نبتون، ويبعد عنا 5400 مليون كم، استغرقت الرحلة 10 سنوات[٣].

"واعلم أن أصحاب الأرصاد وأرباب الهيئة زعموا أن الأفلاك تسعة... ومن أصحاب الهيئة من قطع بإثبات أفلاك أخر"[٤].

يقول الإمام الآلوسي:

> "لا يقال إن أرباب الأرصاد أثبتوا تسعة أفلاك وهل هي إلا سموات، لأنا نقول هم شاكون إلى الآن في النقصان والزيادة فإن ما وجدوه من الحركات يمكن ضبطها بثمانية وسبعة بل بواحد؛ وبعضهم أثبتوا بين فلك الثوابت والأطلس كرة لضبط الميل الكلي، وقال بعض محققيهم: لم يتبين لي إلى الآن أن كرة الثوابت كرة واحدة أو كرات منطوية بعضها على بعض. وأطال الإمام الرازي الكلام في ذلك وأجاد، على أنه إن صح ما شاع فليس في الآية [البقرة: 29] ما يدل على نفي الزوائد بناء على ما اختاره الإمام من أن مفهوم العدد ليس بحجة"[٥].

---

[١] انظرها في الصحيحين وغيرهما.
[٢] سيد قطب، *في ظلال القرآن*، (القاهرة، دار الشروق، ط15، 1988)، 6/ 3632.
[٣] *الموسوعة الكونية الكبرى*، (1/ 144).
[٤] 2/ 156-158، انظر أيضًا: 2/ 156، 4/ 176.
[٥] *روح المعاني*، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ)، 1/ 217.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحوال السموات

هذه الآية من أكبر الآيات التي استوفاها الإمام بالشرح واستخراج الفوائد والمسائل العلمية، ذكر فيها عدة أنواع من الدلائل، منها: أحوال السموات.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"الكلام في أحوال السموات على الوجه المختصر الذي يليق بهذا الموضع مرتب في فصول[١].

الفصل الأول: في ترتيب الأفلاك[٢]:

قالوا: أقربها إلينا كرة القمر ، وفوقها كرة عطارد ، ثم كرة الزهرة ، ثم كرة الشمس ، ثم كرة المريخ ، ثم كرة المشتري، ثم كرة زحل، ثم كرة الثوابت، ثم الفلك الأعظم. واعلم أن في هذا الموضوع أبحاثًا: البحث الأول: ذكروا في طريق معرفة هذا الترتيب ثلاثة أوجه

الأول: السِّتر، وذلك أن الكوكب الأسفل إذا مر بين أبصارنا وبين الكوكب الأعلى فإنهما يصيران ككوكب واحد، ويتميز السابق عن المستور بلونه الغالب، كصفرة عطارد وبياض الزهرة وحمرة المريخ ودرية المشتري وكُمُودة زحل[٣].

ثم إن القدماء وجدوا القمر يكسف الكواكب الستة وكثيرًا من الثوابت في طريقه في ممر البروج وكوكب عطارد يكسف الزهرة ، والزهرة تكسف المريخ ، وعلى هذا الترتيب ؛ فهذا الطريق يدل على كون القمر تحت الشمس لانكسافها به؛ لكن لا يدل على كون الشمس فوق سائر الكواكب أو تحتها ، لأن الشمس لا تنكسف بشيء منها لاضمحلال أضوائها في ضوء الشمس فسقط هذا الطريق بالنسبة إلى الشمس

الثاني: اختلاف المنظر، فإنه محسوس للقمر وعطارد والزهرة ؛ وغير محسوس للمريخ والمشتري وزحل . وأما في حق الشمس فقليل جدًّا، فوجب أن تكون الشمس متوسطة بين القسمين، وهذا الطريق بيّن جدًا لمن اعتبر اختلاف منظر الكواكب وشاهده على الوجه الذي حكيناه[٤]. فأما من لم يمارسه فإنه يكون مقلدًا فيه لاسيما

---

[١] ذكر الإمام رحمه الله عدة فصول في أحوال السموات، منها: ترتيب الأفلاك، معرفة الأفلاك، مقادير الحركات.
[٢] 4/ 175.
[٣] وفي (2/ 156): زرقة المشتري ودورة زحل.
[٤] وفي (2/ 156): هذا ما قاله الأكثرون.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأن أبا الريحان[1] –وهو أستاذ هذه الصناعة– ذكر في تلخيصه لـ«فصول الفرغاني»[2] أن اختلاف المنظر لا يحس به إلا في القمر.

الثالث: قال بطليموس[3]: إن زحل والمشتري والمريخ تبعد عن الشمس في جميع الأبعاد، وأما عطارد والزهرة فإنهما لا يبعدان عن الشمس بعد التسديس؛ فضلًا عن سائر الأبعاد، فوجب كون الشمس متوسطة بين القسمين، وهذا الدليل ضعيف؛ فإنه منقوض بالقمر، فإنه يبعد عن الشمس كل الأبعاد مع أنه تحت الكل[4].

المقصود بالسموات ليس هذه الأفلاك السبعة أو التسعة التي كشفها علماء الهيئة المتقدمون بالرصد؛ إذ بعد تطور علم الفلك اتضح أن هذه الأفلاك التسعة ما هي إلا كواكب تابعة للشمس في مجموعتنا الشمسية، وهناك ملايين المجموعات الشمسية في مجرتنا (درب التبانة)، فما بالنا ببلايين المجرات الأخرى، والقمر ما هو إلا تابع لكوكبنا الأرض. وكل هذه الأفلاك والكواكب والمجرات واقعة في السماء الدنيا فقط، والله أعلم.

---

[1] أبو الريحان هو: البيروني (262- 440هـ/ 973- 1047م):

محمد بن أحمد، أبو الريحان البيروني الخوارزمي: فيلسوف رياضي مؤرخ، من أهل خوارزم. أقام في الهند بضع سنين، ومات في بلده، اطلع على فلسفة اليونانيين والهنود، وعلت شهرته، وارتفعت منزلته عند ملوك عصره.

صنف كتبًا كثيرة جدًا، متقنة، رأى ياقوت فهرستها بمرو، في ستين ورقة بخط مكتنف، وياقوت مكثر من النقل عن كتبه، منها: (الآثار الباقية عن القرون الخالية) ترجم إلى الانجليزية، و(الاستيعاب في صنعة الاسطرلاب)، و(الجماهر في معرفة الجواهر)، و(تاريخ الأمم الشرقية)، و(القانون المسعودي) في الهيئة والنجوم والجغرافية، و(تاريخ الهند) ترجم إلى الإنجليزية، و(الإرشاد) في أحكام النجوم، و(تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن)، و(تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، و(التفهيم لصناعة التنجيم) في الفلك، رسالة كتبها بالعربية والفارسية، و(استخراج الأوتار في الدائرة) هندسة. الزركلي، *الأعلام*، (5/ 314).

[2] الفرغاني (ت 247هـ/ 861م) هو:

أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغاني ، عالِم رياضياتي وفلكي مسلم. ولد في مدينة فرغانة في أوزبكستان اليوم، ثم انتقل إلى بغداد وعاش فيها أيام الخليفة العباسي المأمون في القرن التاسع الميلادي. ويعرف عند الأوربيين باسم Alfraganus . ويُعَدُّ من أعظم الفلكيين الذين عملوا مع المأمون وخلفائه. وهو من معاصري الخوارزمي. من مؤلفاته: كتاب: (جوامع علم النجوم والحركات السماوية)، وكتاب في الأسطرلاب، وكتاب: (الجمع والتفريق).

http://www.muslimheritage.com/article/alfraganus-and-elements-astronomy

[3] كلاوديوس بتوليمايوس (ما بعد 83- 161م) هو:

المعروف بالاسم بطليموس، عالم رياضيات إغريقيه، وجغرافية، وعالم فلك ومنجم. صاحب العديد من الأطروحات العلمية، منها: الأطروحه الفلكيّ والرياضية التي تعرف الآن باسم المجسطي ، وقد ترجمها العالم العربي حنين بن إسحاق ثم نقحها العالم العربي ابن سينا في كتاب «مختصر المجسطي» وكتاب «الشفاء». ومنها: الأطروحه التنجيمية الفلكيّ المعروفة تيترابيبلوس «الكتب الأربعة» التي حاول تكييف الأبراج النجمية إلى فلسلفة أرسطو في عصره وكان هذا الكتاب أساس كل قوانين التنجيم التي يتبعها المنجمين منذ أقدم العصور.

www.thefamouspeople.com/profiles/claudius-ptolemy-526.php, www.britannica.com/biography/Ptolemy.

[4] 4/ 175، 176. وفي (2/ 156): فبطلت هذه الوجوه، وبقي موضع الشمس مشكوكًا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما عن ترتيب الكواكب السبعة ، فهو ترتيب صحيح ثابت الآن، وهي حسب قربها من الشمس: عطارد ثم الزهرة، ثم الأرض، ثم المريخ، ثم المشتري، ثم زحل.. ثم –ما لم يكتشف إلا في العصر الحديث–، أورانوس، ثم نبتون، ثم بلوتو. ولا مجال للخلاف الذي يذكره الإمام الآن، لأنه بات من اليقين أن تلك الكواكب كلها تابعة للشمس تدور حولها.

وأما عن الفلك الأعظم أو فلك الأفلاك أو الفلك الأطلس فهو عندهم "العرش"؛ وأما كرة الثوابت أو فلك الثوابت فهو عندهم "الكرسي"!

> "زعموا أن الأفلاك الثابتة بالرصد تسعة تشتمل على أربعة وعشرين فلكًا: فلك الأفلاك وهو المسمى ب(الفلك الأطلس) لأنه غير مكوكب، وب(العرش المجيد) في لسان الشرع، وتحته فلك الثوابت وهو الكرسي، ثم فلك زحل ثم فلك المشتري ثم فلك المريخ ثم فلك الشمس ثم فلك الزهرة ثم فلك عطارد ثم فلك القمر وهو السماء الدنيا"[1].

غير مكوكب أي: لا كوكب فيه، وهو عندهم ذو نفس وروح وجسم، متحرك على الوسط حركةً دولابية من المغرب إلى المشرق، في كل يوم وليلة دورة واحدة[2]. وجاء في «*موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*»:

> "الفلك الأعظم: جسم كري يحيط به سطحان متوازيان مركزهما مركز العالم، إذ لا عالم عندهم إلّا ما يحيط به سطح ذلك الفلك، فأحد سطحيه محدّب وهو السطح المحيط به من خارج وهو لا يماس شيئا لأنّه محيط لسائر الأجسام وبه يتناهى العالم الجسماني فلا يكون وراءه خلاء ولا ملاء، وآخر سطحيه مقعّر وهو السطح المحيط به من داخل وهو يماسّ محدّب فلك البروج، ويقال له أيضًا : (الفلك الأطلس) لأنّه غير مكوكب عندهم"[3].

ولا يخفى ما في هذا من خطأ بيّن، جَنَته عقول الفلاسفة بعد تدخلها في الأمور الغيبية، وكانت عاجزة عن تصور مدى اتساع هذا الكون الفسيح الهائل. يقول الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد:

> "وأما زنادقة الصابئة، وملاحدة الفلاسفة، فلا يؤمنون بالله، ولا ملائكته، ولا كتبه، ولا رسله، ولقائه، ولا يؤمنون بمبدأ، ولا معاد، وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد، قادر على كل شيء، عالم بكل شيء، آمر ناهٍ، مرسل الرسل، ومنزِّل الكتب، ومثيب المحسن، ومعاقب المسيء، وليس عند نُظَّارهم إلا تسعة أفلاك، وعشرة

---

[1] الجرجاني، *شرح المواقف*، (بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1998)، 7/ 78، 79.
[2] *سرور النفس بمدارك الحواس الخمس*، (ص: 167).
[3] (2/ 1289). بتصرف

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عقول، وأربعة أركان، وسلسلة ترتب فيها الموجودات هي بسلسلة المجانين أشبه منها بمجوَّزات العقول"[1].

وهذا في فلاسفة اليونان.. وقد أخذ عنهم فلاسفة المسلمين الأوائل جلّ هذه التأويلات؛ حتى كان الإمام الرازي نفسه يرى أن الفلك الأعظم هو العرش ، وأنه يتحرك " وهذا من محاولة الجمع بين الدين والفلسفة، وقد حاول هذا غير واحد من فلاسفة الإسلام كابن رشد في كتاب «فصل المقال»، وابن الطفيل في «رسالة حي بن يقظان »، وأعظم فيلسوف سعى إلى ذلك هو ابن سينا". وهذه المحاولة في حقيقتها هي

"من الأعمال العقيمة ؛ فإن ما كان ثابتًا ثبوتًا يقينيًا لا يمكن أن يتصادم مع الدين بحال، وما كان من حيز الآراء والظنون التي قد تطفو اليوم وترسب الغد، فالقرآن أعلى منه منالًا، فلا معنى لهذه المقارنة، لا سيما ووجهة الدين غير وجهة الفلسفة، فهذه مسألة الأفلاك وما ارتأى اليونانيون في حقائقها، و إثبات النفوس لها، أصبح ذلك من الأوهام والخيالات في نظر العلم الصحيح، على أن جملة معارفهم في الهيئة أصبحت اليوم كهباء منثور في زوايا العلم"[2].

فهذا ليس من التفسير العلمي في شيء؛ ولكنها تحليلات عقلية، لأنها ليست مبنية على معطيات علمية صحيحة نظرًا لقلة أو انعدام أدوات البحث في مثل هذه المسائل وقتئذ.

---

[1] *الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان* ، (طنطا، دار الصحابة، ط1، 2005)، ص: 8، 9، وعزاه لابن القيم في هداية الحيارى.

[2] محمد السائح، «الفخر الرازي في عالم الفلسفة»، مجلة دعوة الحق، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، العدد رقم (12)، منشور على موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب: www.habous.net. ويمكن للقاريء أن يطلع على ما كتبه ابن خلدون في مقدمته، الفصل الحادي والثلاثين، في إبطال الفلسفة وفساد منتحلها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تصريف الرياح

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"وجه الاستدلال بها: أنها مخلوقة على وجه يقبل التصريف، وهو الرقة واللطافة"

الهواء الساخن أقل كثافة من الهواء البارد، فيرتفع في الجو تاركًا وراءه منطقة من الضغط الخفيض يملأها الهواء البارد الذي يهبط ليحل محله. إن دوران الهواء هذا هو الذي يُكوّن الرياح. وتهب الرياح العالمية بسبب الفرق في ضغط الهواء ودرجة الحرارة بين مكان وآخر. فالرياح تهب من مناطق الضغط العالي إلى مناطق الضغط المنخفض[1].

"ثم إنه سبحانه يصرفها على وجه يقع به النفع العظيم في الإنسان والحيوان والنبات، وذلك من وجوه:

أحدها: أنها مادة النفَس[2] الذي لو انقطع ساعة عن الحيوان لمات، وقيل فيه: إن كل ما كانت الحاجة إليه أشد كان وجدانه أسهل، ولما كان احتياج الإنسان إلى الهواء أعظم الحاجات حتى لو انقطع عنه لحظة لمات لاجرم كان وجدانه أسهل من وجدان كل شيء، وبعد الهواء الماء؛ فإن الحاجة إلى الماء أيضًا شديدة دون الحاجة إلى الهواء، فلاجرم سهل أيضًا وجدان الماء؛ ولكن وجدان الهواء أسهل، لأن الماء لابد فيه من تكلف الاغتراف بخلاف الهواء؛ فإن الآلات المهيأة لجذبه حاضرة أبدًا، ثم بعد الماء الحاجة إلى الطعام شديدة ولكن دون الحاجة إلى الماء، فلاجرم كان تحصيل الطعام أصعب من تحصيل الماء، وبعد الطعام الحاجة إلى تحصيل المعاجين والأدوية النادرة قليلة، فلا جرم عزت هذه الأشياء، وبعد المعاجين الحاجة إلى أنواع الجواهر من اليواقيت والزبرجد نادرة جدًا، فلاجرم كانت في نهاية العزة؛ فثبت أن كل ما كان الاحتياج إليه أشد كان وجدانه أسهل، وكل ما كان الاحتياج إليه أقل كان وجدانه أصعب؛ وما ذاك إلا رحمة منه على العباد.

وثانيها: لولا تحرك الرياح لما جرت الفُلك، وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله فلو أراد كل من في العالم يقلب الريح من الشمال إلى الجنوب أو إذا كان الهواء ساكنًا أن يحركه لتعذّر"[3].

---

[1] *الموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 254).

[2] أي: التنفس: شهيق وزفير للهواء.

[3] 4/ 194، 195.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تسخير السحاب

وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"سمي السحاب سحابًا لانسحابه في الهواء، ومعنى التسخير التذليل وإنما سماه مسخرًا لوجوه:

أحدها: أن طبع الماء ثقيل يقتضي النزول، فكان بقاؤه في جو الهواء على خلاف الطبع؛ فلابد من قاسر قاهر يقهره على ذلك، فلذلك سماه بالمسخر.

الثاني: أن هذا السحاب لو دام لعظم ضرره من حيث إنه يستر ضوء الشمس ويكثر الأمطار والابتلال؛ ولو انقطع لعظم ضرره لأنه يقتضي القحط وعدم العشب والزراعة، فكان تقديره بالمقدار المعلوم هو المصلحة؛ فهو كالمسخر لله سبحانه يأتي به في وقت الحاجة ويرده عند زوال الحاجة.

الثالث: أن السحاب لا يقف في موضع معين؛ بل يسوقه الله تعالى بواسطة تحريك الرياح إلى حيث أراد وشاء، فذلك هو التسخير.

فهذا هو الإشارة إلى وجوه الاستدلال بهذه الدلائل"[1].

[1] 4/ 195، 196.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشمس ومواقيت الصلاة

يتكلم الإمام هنا على الحكمة من جعل مواقيت الصلوات الخمس في هذه الأوقات بالذات وعلاقتها بالشمس.

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا النساء: ١٠٣

قال رحمه الله:

"واعلم أن تقدير الصلوات بهذه الأوقات الخمسة في نهاية الحسن والجمال نظرًا إلى المعقول، وبيانه أن:

لكل شيء من أحوال هذا العالم مراتب خمسة:

أولها: مرتبة الحدوث والدخول في الوجود، وهو كما يولد الإنسان ويبقى في النشو والنماء إلى مدة معلومة، وهذه المدة تسمى سن النشو والنماء.

والمرتبة الثانية: مدة الوقوف، وهو أن يبقى ذلك الشيء على صفة كماله من غير زيادة ولا نقصان، وهذه المدة تسمى سن الشباب.

والمرتبة الثالثة: مدة الكهولة، وهو أن يظهر في الإنسان نقصانات ظاهرة جلية إلى أن يموت ويهلك وتسمى هذه المدة سن الشيخوخة[1].

المرتبة الخامسة: أن تبقى آثاره بعد موته مدة، ثم بالآخرة تمحي تلك الآثار وتبطل وتزول، ولا يبقى منه في الدنيا خبر ولا أثر.

فهذه المراتب الخمسة حاصلة لجميع حوادث هذا العالم سواءٌ أكان إنسانًا أم غيره من الحيوانات أم النباتات، والشمس حصل لها بحسب طلوعها وغروبها هذه الأحوال الخمس، وذلك لأنها حين تطلع من مشرقها يشبه حالها حال المولود عندما يولد، ثم لا يزال يزداد ارتفاعها ويقوى نورها ويشتد حرها إلى أن تبلغ إلى وسط السماء، فتقف هناك ساعة ثم تنحدر ويظهر فيها نقاصانات خفية إلى وقت العصر، ثم من وقت العصر يظهر فيها نقصانات ظاهرة فيضعف ضوؤها ويضعف حرها، ويزداد انحطاطها وقوتها إلى الغروب، ثم إذا غربت يبقى بعض آثارها في أفق المغرب وهو الشفق، ثم تمحي تلك الآثار وتصير الشمس كأنها ما كانت موجودة في العالم، فلما حصلت هذه الأحوال الخمسة لها –وهي أمور عجيبة لا يقدر عليها إلا الله تعالى– لاجرم أوجب الله تعالى عند كل واحد من هذه الأحوال الخمسة لها صلاة:

فأوجب عند قرب الشمس من الطلوع صلاة الفجر شكرًا للنعمة العظيمة الحاصلة بسبب زوال تلك الظلمة وحصول النور، وبسبب زوال النوم الذي هو كالموت وحصول اليقظة التي هي كالحياة.

---

[1] ليس هناك ذكر للمرتبة الرابعة في النسخ المطبوعة، والظاهر أنها مرتبة الموت أو الفناء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولما وصلت الشمس إلى غاية الارتفاع ثم ظهر فيها أثر الانحطاط أوجب صلاة الظهر تعظيمًا للخالق القادر على قلب أحوال الأجرام العلوية والسفلية من الضد إلى الضد، فجعل الشمس بعد غاية ارتفاعها واستعلائها منحطة عن ذلك العلو وآخذة في سن الكهولة، وهو النقصان الخفي.

ثم لما انقضت مدة الكهولة ودخلت في أول زمان الشيخوخة أوجب تعالى صلاة العصر. ونعم ما قال الشافعي رحمه الله: 'إن أول العصر هو أن يصير ظل كل شيء مثليه'، وذلك لأن من هذا الوقت تظهر النقصانات الظاهرة، ألا ترى أن من أول وقت الظهر إلى وقت العصر على قول الشافعي رحمه الله ما ازداد الظل إلا مثل الشيء، ثم إن في زمان الطيف يصير ظله مثليه، وذلك يدل على أن من الوقت الذي يصير ظل الشيء مثلًا له تأخذ الشمس في النقصانات الظاهرة.

ثم إذا غربت الشمس أشبهت هذه الحالة ما إذا مات الإنسان، فلاجرم أوجب الله تعالى عند هذه الحالة صلاة المغرب.

ثم لما غرب الشفق فكأنه انمحت آثار الشمس ولم يبق منها في الدنيا خبرٌ ولا أثرٌ، فلاجرم أوجب الله تعالى صلاة العشاء، فثبت أن إيجاب الصلوات الخمس في هذه الأوقات الخمسة مطابق للقوانين العقلية والأصول الحكمية، والله أعلم بأسرار أفعاله"[1].

[1] 11/ 27، 28.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعاقب الليل والنهار

[موضعان]

يفسر الإمام هنا سبب حصول الليل والنهار وتعاقبهما، وذكر أن سببه هو حركة الفلك الأعظم!

﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ الأعراف: ٥٤

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ النحل: ١٢

قال رحمه الله:

"واعلم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة، وذلك هو الحق؛ لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم، وتلك الحركة أشد الحركات سرعة، وأكملها شدة، حتى إن الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا: الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل، فإلى أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل، وإذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية الشدة والسرعة، فلهذا السبب قال تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾".

اضطر الإمام إلى هذا لأنه يعتقد أن الأرض ساكنة لا تتحرك. والصحيح أن هذا الطلب السريع يظهر أكمل الظهور بما ثبت من كون الأرض كروية الشكل تدور على محورها حول الشمس، فيكون نصفها مضيئًا بنورها والنصف الآخر مظلمًا.

"في هذه الآية لطائف:

فالأولى: أن الشمس لها نوعان من الحركة: أحد النوعين: حركتها بحسب ذاتها وهي إنما تتم في سنة كاملة وبسبب هذه الحركة تحصل السنة. والنوع الثاني: حركتها بسبب حركة الفلك الأعظم وهذه الحركة تتم في اليوم بليلة.

إذا عرفت هذا فنقول: الليل والنهار لا يحصل بسبب حركة الشمس وإنما يحصل بسبب حركة السماء الأقصى التي يقال لها العرش، فهذا السبب لما ذكر العرش بقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[1]، ربط به قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ﴾[2] تنبيهًا على أن سبب حصول الليل والنهار هو حركة الفلك الأقصى لا حركة الشمس والقمر، وهذه دقيقة عجيبة"[3].

"التسخير عبارة عن القهر والقسر ولا يليق ذلك إلا بمن هو قادر يجوز أن يقهر، فكيف يصح ذلك في الليل والنهار وفي الجمادات والشمس والقمر؟

---

(١) الأعراف: ٥٤.
(٢) الرعد: ٣.
(٣) 14/ 101، 102.

والجواب من وجهين:

الأول: أنه تعالى لما دبر هذه الأشياء على طريقة واحدة مطابقة لمصالح العباد صارت شبيهة بالعبد المنقاد المطواع، فلهذا المعنى أطلق على هذا النوع من التدبير لفظ التسخير.

وعن الوجه الثاني في الجواب، وهو لا يستقيم إلا على مذهب أصحاب علم الهيئة، وذلك لأنهم يقولون: الحركة الطبيعية للشمس والقمر هي الحركة من المغرب إلى المشرق، والله تعالى يحرك هذه الكواكب بواسطة حركة الفلك الأعظم من المشرق إلى المغرب فكانت هذه الحركة قسرية، فلهذا السبب ورد فيها اللفظ التسخير.

السؤال الثاني: إذا كان لا يحصل للنهار والليل وجود إلا بسبب حركات الشمس كان ذكر النهار والليل مغنيًا عن ذكر الشمس!

والجواب: أن حدوث النهار والليل ليس بسبب حركة الشمس، بل حدوثهما بسبب حركة الفلك الأعظم الذي دللنا على أن حركته ليست إلا بتحريك الله سبحانه، وأما حركة الشمس فإنها علة لحدوث السنة لا لحدوث اليوم»[1].

كان من الراسخ في أذهان الفلاسفة أن الأرض ساكنة لا تتحرك، بل إنها مركز الكون. وهذا جعلهم يتأولون تعاقب الليل والنهار، فقالوا إن الفلك الأعظم يتحرك من المشرق إلى المغرب، والشمس والقمر يتحركان من المغرب إلى المشرق! والأرض ثابتة لا تتحرك. بينما لم يذكر القرآن شيئًا من ذلك إطلاقًا![2]

وقد بات من البديهي الآن التسليم بأن تعاقب الليل والنهار نتيجة لدوران الأرض حول نفسها، وأيام السنة نتيجة لدوران الأرض حول الشمس.

---

[1] 20/ 4، 5.

[2] موريس بوكاي، *دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة* ، (ص: 188).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حركة الرياح

يبطل الإمام ما نقله عن كل من الفلاسفة والمنجمين في تفسير حركة الرياح.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الأعراف: ٥٧

قال رحمه الله:

"حد الريح أنه هواء متحرك. فنقول: كون هذا الهواء متحركًا ليس لذاته ولا للوازم ذاته، وإلا لدامت الحركة بدوام ذاته، فلابد وأن يكون لتحريك الفاعل المختار وهو الله ﷻ.

قالت الفلاسفة ههنا سبب آخر ، وهو: أنه يرتفع من الأرض أجزاء أرضية لطيفة تسخنه تسخينًا قويًا شديدًا، فبسبب تلك السخونة الشديدة ترتفع وتتصاعد، فإذا وصلت إلى القرب من الفلك كان الهواء الملتصق بمقعر الفلك متحركًا على استدارة الفلك بالحركة المستديرة التي حصلت لتلك الطبقة من الهواء فيمنع هذه الأدخنة من الصعود؛ بل يردها عن سمت حركتها، فحينئذ ترجع تلك الأدخنة وتتفرق في الجوانب، وبسبب ذلك التفرق تحصل الرياح، ثم كلما كانت تلك الأدخنة أكثر، وكان صعودها أقوى ، وكان رجوعها أيضًا أشد حركة ، فكانت الرياح أقوى وأشد"[1].

السبب في هبوب الرياح هو فروق الضغط الجوي. وتنشأ فروق الضغط الجوي بسبب تفاوت التوزيع الحراري واختلاف معدلات التسخين، حيث تتعرض المناطق المختلفة من الأرض لأشعة الشمس على سطح الكرة الأرضية. فكلما تعامدت الأشعة على السطح زاد التسخين، كما هو الحال في المناطق القطبية الباردة، حيث تكاد تسقط أشعة الشمس موازية لسطح الأرض. وينتج عن هذا التفاوت الحراري تغير في كثافة الهواء، يسفر عن صعود وهبوط تيارات هوائية. وتنشأ الدورة العامة للرياح بصعود الهواء الساخن إلى أعلى عند خط الإستواء مولدًا مناطق ضغط منخفض، وهبوطه عند القطبين مولدًا مناطق ذات ضغط مرتفع. وتزداد سرعة الهواء كلما ازداد الفرق بين الضغطين. وهكذا نجد أن دورة الرياح تتحكم فيها عوامل عديدة، يدبرها الله ﷻ بقدرته، ويوجهها وفق حكمته إلى حيث شاء وأراد[2].

---

[1] 14/ 124.

[2] *الموسوعة الكونية الكبرى*، (13/ 52، 54).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السموات بلا عمد مرئية

يرجح الإمام هنا تفسير العَمَد بأنها عبارة عن قدرة الله الخفية التي لا نراها، ويضعف ما عداه.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الرعد: ٢

قال رحمه الله:

"هذه الأجسام العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي، ويستحيل أن يكون بقاؤها هناك لأعيانها ولذواتها...

أما قوله: ﴿تَرَوْنَهَا﴾، ففيه أقوال:

الأول: أنه كلام مستأنف، والمعنى: رفع السموات بغير عمد، ثم قال: ﴿تَرَوْنَهَا﴾، أي: وأنتم ترونها، أي مرفوعة بلا عماد.

الثاني: قال الحسن: في تقرير الآية تقديم وتأخير، تقديره: رفع السموات ترونها بغير عمد. واعلم أنه إذا أمكن حمل الكلام على ظاهره كان المصير إلى التقديم والتأخير غير جائز.

والثالث: أن قوله ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة للعمد، والمعنى: بغير عمد مرئية، أي: للسموات عمد ولكنا لا نراها. قالوا: ولها عمد على جبل قاف، وهو جبل من زبرجد محيط بالدنيا ولكنكم لا ترونها؛ وهذا التأويل في غاية السقوط، لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام ليكون حجة على وجود الإله القادر، ولو كان المراد ما ذكروه لما ثبتت الحجة، لأنه يقال: إن السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فأي دلالة لثبوتها على وجود الإله.

وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكل، وهو: أن العماد ما يعتمد عليه، وقد دللنا على أن هذه الأجسام إنما بقيت واقفة في الجو العالي بقدرة الله تعالى، وحينئذ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى، فنتج أن يقال: إنه رفع السماء بغير عمد ترونها، أي لها عمد في الحقيقة؛ إلا أن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إياها في الجو العالي، وأنهم لا يرون ذلك التدبير، ولا يعرفون كيفية ذلك الإمساك"[1].

أحكم الله تعالى خلقه بقوانين فوق طاقة الإنس والجن، مثل قانون الجاذبية وقانون الطرد المركزي، مما جعلها لا تحتاج لهذه الأعمدة؛ وهذا كله من تمام قدرته وحكمته سبحانه[2].

---

(١) 18/ 190- 192.

(٢) انظر: أحمد فؤاد باشا، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، (ص: 709، 710).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نوعا ماء المطر

يذكر الإمام هنا أن الآية تشير -باعتبار المنفعة- إلى أن ماء المطر نوعان.

هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ النحل: ١٠

قال رحمه الله:

"ماء المطر قسمان:

أحدهما: هو الذي جعله الله تعالى شرابًا لنا ولكل حي، وهو المراد بقوله: ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾، وقد بين الله تعالى في آية أخرى أن هذه النعمة جليلة فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[1].

فإن قيل: أفتقولون: إن شرب الخلق ليس إلا من المطر، أو تقولون: قد يكون منه وقد يكون من غيره، وهو الماء الموجود في قعر الأرض؟أجاب القاضي بأنه تعالى بيَّن أن المطر شرابنا ولم ينف أن نشرب من غيره.

ولقائل أن يقول: ظاهر الآية يدل على الحصر؛ لأن قوله: ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ يفيد الحصر، لأن معناه منه لا من غيره. إذا ثبت هذا فنقول: لا يمتنع أن يكون الماء العذب تحت الأرض من جملة ماء المطر يسكن هناك، والدليل عليه قوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[2]، ولا يمتنع أيضًا في غير العذب وهو البحر أن يكون من جملة ماء المطر".

نقل الإمام القرطبي عن مجاهد: "ليس في الأرض ماء إلا وهو من السماء". وعقب عليه: وهذا ليس على إطلاقه، وإلا فالأجاج [المالح] ثابت في الأرض، فيمكن أن يقيد قوله بالماء العذب. ولا محالة أن الله تعالى قد جعل في الأرض ماء وأنزل من السماء ماء.

> "وقد قيل: إن قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ إشارة إلى الماء العذب، وأن أصله من البحر، رفعه الله تعالى بلطفه وحسن تقديره من البحر إلى السماء، حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد، ثم أنزله إلى الأرض لينتفع به، ولو كان الأمر إلى ماء البحر لما انتفع به من ملوحته"[3].

وهذا القول الأخير هو الثابت علميًا. إذ أن كل الماء الموجود على سطح الأرض قد اندفع إلى سطحها من باطن الأرض عبر ثورات البراكين؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ النازعات: ٣٠ - ٣١.

---

[1] الأنبياء: ٣٠.
[2] المؤمنون: ١٨.
[3] أبو عبدالله محمد بن أحمد، *تفسير القرطبي*، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1964)، 12/ 112.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أما ماء المطر فيأتي من خلال الدورة المائية؛ إذ تُبخر الشمس سنويًّا 380ألف كم^3 من ماء الأرض [320ألف كم^3 من أسطح البحار والمحيطات، و 60ألف كم^3 من اليابسة]، والذي يصعد بدوره إلى الجزء السفلي من غلافها الغازي حيث يتكثف ويعود مطرًا إلى الأرض، وبه تتشقق الفجاج والسبل والأودية والجداول ومجاري الأنهار، وتتكون التربة وتتركز العديد من الثروات الأرضية[1].

وقد اقتضت حكمة ربنا العالية أن يكون ماء البحار والمحيطات الذي يشغل 70% من مساحة الأرض مياهًا مالحة؛ فبدونها يأسن هذا الماء ويتغير طعمه ويفسد، فمياه البحار هي التي حفظت الماء العذب للانتفاع به، وجعلت دائمًا مصدرًا رئيسيًا وخزائن للماء لا تنضب أبدًا ما دامت الحياة على الأرض، كما أن الماء المالح يحافظ على توازنه، وذلك عن طريق الأمواج، والتي تقوم بعملية تقليب وتذويب الأملاح في المياه حتى تظل ذائبة في ماء البحر أو المحيط[2].

"والقسم الثاني من المياه النازلة من السماء: ما يجعله الله سببًا لتكوين النبات، وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾"[3].

---

(1) انظر: بحث *في معجزات الماء*، (ص: 48، 49)، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، (ص: 258 وما بعدها).
(2) أحمد جلال مرسي، «آيات البحار ومعانيها العلمية»، مقال منشور على موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.quran-m.com.
(3) 19/ 192.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني آيات حول الظواهر الأرضية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كون الأرض فراشًا

كوكب الأرض هو واحد من الكواكب التي تدور حول الشمس. والأرض كرة كبيرة يبلغ قطرها 920 ميلًا ومحيطها 24880 ميلًا؛ إلا أنها ينقص قطرها الواصل بين قطبيها عن قطرها الاستوائي بمقدار 28 ميلًا. وتدور الأرض حول نفسها مرة كل 24 ساعة، وفي الوقت نفسه تسبح في الفضاء حول الشمس بسرعة كبيرة تقدر بـ18,5ميلًا كل ثانية من الزمن، لتتم دورة كاملة في سنة. ويبلغ متوسط بعد الأرض عن الشمس 93 مليونًا من الأميال.

وباطن الأرض يتكون من كرة ملتهبة مركزية، تتكون من المعادن الثقيلة كالحديد والنيكل يعلوها طبقة من الصخور، يعلوها طبقة جرانيت صخرية. وتقدر كتلة الأرض بنسبة تسعة آلاف مليون طن، وعمرها الجيولوجي 250 مليون سنة، وعمرها الفلكي 4500 مليون سنة[1].

وقد ذكر الإمام الرازي رحمه الله الشروط التي بها يستقيم معنى كون الأرض فراشًا:

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ البقرة: ٢٢

قال رحمه الله:

"كون الأرض فراشًا مشروط بأمور:

الشرط الأول: كونها ساكنة، وذلك لأنها لو كانت متحركة لكانت حركتها إما بالإستقامة أو بالاستدارة. فإن كانت بالاستقامة لما كانت فراشًا لنا على الإطلاق؛ لأن من طفر من موضع عال كان يجب أن لا يصل إلى الأرض، لأن الأرض هاوية وذلك الإنسان هاوٍ والأرض أثقل من الإنسان، والثقيلان إذا نزلا كان أثقلها أسرعهما، والأبطأ لا يلحق الأسرع، فكان يجب أن لا يصل الإنسان إلى الأرض، فثبت أنها لو كانت هاوية لما كانت فراشًا.

أما لو كانت حركتها بالاستدارة لم يكمل انتفاعنا بها، لأن حركة الأرض مثلًا إذا كانت إلى المشرق والإنسان يريد أن يتحرك إلى جانب المغرب –ولا شك أن حركة الأرض أسرع– فكان يجب أن يبقى الإنسان على مكانه، وأنه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد. فلما أمكنه ذلك علمنا أن الأرض غير متحركة لا بالاستدارة ولا بالاستقامة، فهي ساكنة".

---

(1) Hoyle. (1960). *The nature of the univers*. Oxford. (ص: 22-37). ويعزى الفضل في معرفة حقيقة أن الأرض تدور حول الشمس إلى الفلكي اليوناني كوبرنيكوس (في القرن السادس عشر)، "الذي دحض النظرية القائلة أن الأرض هي مركز الكون. لكن الفلكي اليوناني أرسطارخوس (310-230ق.م) كان سبقه إلى الفكرة ذاتها قبل ذلك بقرون عديدة. فقد احتسب الحجم والمسافة النسبيين للشمس والقمر مستخدمًا القواعد الهندسية، واستنتج وجوب أن تدور الأرض حول الشمس لأن الشمس هي الأكبر بكثير". *الموسوعة العلمية الشاملة* ، (ص: 287) وانظر الملحق.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كان كثير من الفلاسفة القدماء يعتقدون أن الأرض ساكنة في مركز الكون، قالوا: لأنها من تراب، والمكان الطبيعي للتراب هو أسفل، إذ أنه أثقل العناصر، وأفاضوا في التدليل على هذه النظرية، وأخذها عنهم الفلاسفة المسلمون كابن سينا وغيره؛ حتى دحض مذهبهم دحضًا تامًا حين جاء كوبرنيكوس وجاليليو[١].

وقد استغرق إثبات حركة الأرض قرونًا طويلة من أيام كوبرنيكوس ثم جاليليو ثم نيوتن ثم فوكول (سنة 1851م).. محاولات كثيرة أدت إلى تغيير فكرتنا عن الأرض وأهميتها في النظام الكوني — "فهي لم تعد في مركز العالم؛ لأنها ليست سوى واحدة من تلك السيارات العديدة التي تدور حول الشمس"[٢].

يقول الدكتور أحمد عمر أبو حجر في رسالته "التفسير العلمي للقرآن في الميزان" عند كلامه على جهود الإمام الرازي المبذولة في التطبيق العملي للتفسير العلمي:

> "قد أصبح من المسلَّم به الآن أن الأرض متحركة وليست ساكنة، ولها دورتان: الأولى حول نفسها والثانية حول الشمس. وقد يلتمس العذر للإمام الرازي في رأيه هذا بأن الأرض لما كانت متسعة جدًا ولا تشاهد الحركة فيها في نظر العين المجردة كان القول بسكونها هو الأقرب إلى العقل، وأما حركتها فلا تثبت إلا بدليل، وهو لم يكن ليُعلم إلا بإجراء التجارب والملاحظة"[٣].

لكن الإمام الرازي كان يعرف هذه الحقيقة— أعني حقيقة اتساع الأرض الكبير؛ بدليل قوله، كما سيأتي في آخر شرط: " **الكرة إذا عظمت جدًا كانت القطعة منها كالسطح في إمكان الاستقرار عليه** "، ولذا الذي يترجح عندي أن يكون عذرًا مقبولًا له هو "قانون الجاذبية" الذي لم يكن تم اكتشافه بعد. فقد " أوجد الحق قوانين الجاذبية لتمارس السموات والأرض أعمالها ويحفظهما بقدرته من الزوال، وجعل من الجاذبية نظامًا بديعًا يحفظ الكون من الاختلال"[٤].

والأرض تدور حول نفسها دورة كاملة كل يوم، وبهذه الدورة يتحقق الليل والنهار. وتدور الأرض حول الشمس (بسرعة 30 كم في الثانية) دورة كاملة كل عام، وبهذه الدورة يتحقق الفصول الأربعة. وكل كواكب المجموعة الشمسية لها هاتان الدورتان؛ وهي مع ذلك لا تدور في دوائر متساوية، إنما في شكل إهليلي، يتسع من ناحية، ويضيق من ناحية؛ وكل هذه الحركات المركبة تتم بنظام دقيق محكم منضبط غاية الانضباط[٥].

---

(١) محمد عاطف العراقي، *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا*، (ص: 350، 351).
(٢) *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا*، (ص: 396).
(٣) *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، (ص: 151).
(٤) محمد متولي الشعراوي، *خواطر الشعراوي*، (القاهرة، دار أخبار اليوم المصرية، 1997)، 6/ 3500.
(٥) انظر: *خواطر الشعراوي*، (18/ 11380 وما بعدها)، *والموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 211).

ولو تصورنا أن الأرض تدور على محورٍ عموديٍ تمامًا على مستوي دورانها، لأصبح الليل أبديًا والنهار أبديًا. فلا يمكن أن تتبدل الفصول إلا بمحورٍ ليس عموديًا على مستوي الدوران، ''محور مائل''، وهكذا تدور الأرض، فأشعة الشمس تكون عمودية على قسمها الأعلى.. فإذا انتقلت الأرض إلى الجانب الآخر أصبحت الشمس عمودية على قسم الأرض الأسفل، فكان الصيف في الجنوب؛ هذا شيء ثابت، في أستراليا عندما يكون الصيف عندنا يكون الشتاء عندهم، وعندما يكون الشتاء عندنا يكون الصيف عندهم. فلذلك لولا ميل المحور ثلاثًا وثلاثين درجة إلى سبع وعشرين درجة على مستوي الدوران لما كانت الفصول الأربعة. والفصول الأربعة تحقق حياة الإنسان الرغيدة، هناك صيف فيه شمس فتُنضج الفواكه والثمار والمحاصيل، وهناك شتاء تأتي بالأمطار، وهناك فصول انتقالية كالربيع والخريف، ولولا ميل المحور في أثناء دوران الأرض حول نفسها لما كان فصل شتاء ولا ربيعٍ ولا خريفٍ ولا صيف''[1].

''الشرط الثاني في كون الأرض فراشًا لنا:أن لا تكون في غاية الصلابة كالحجر، فإن النوم والمشي عليه مما يؤلم البدن، وأيضًا فلو كانت الأرض من الذهب مثلًا لتعذرت الزراعة عليها، ولا يمكن اتخاذ الأبنية منه لتعذر حفرها وتركيبها كما يراد.وأن لا تكون في غاية اللين كالماء الذي تغوص فيه الرجل.

تتكون الأرض من عدة طبقات.. ولكن الملاحظ من حكمة الخالق سبحانه أنه جعل فوق الطبقة الصخرية طبقةً رقيقة لا تتجاوز أمتارًا معدودة كي تكون صالحة للحياة وإنبات النبات والكلأ والمرعى للإنسان والحيوان وسائر المخلوقات. ولا يمكن لهذه الطبقة أن تكون عميقة، وإلا لغاص الإنسان فيها ولم يستطع بناء مسكنه عليها لأنها هشة لا تتحمل؛ لذا جاءت الطبقة الصخرية تحتها، وهي طبقة عميقة تزيد عن 40 كم؛ حتى تكون منطقة عازلة شديدة الإحكام والعزل ما بين السطح والأعماق، التي هي سائلة تغلي بالحمم والبراكين[2].

''الشرط الثالث: أن لا تكون في غاية اللطافة والشفافية؛ فإن الشفاف لا يستقر النور عليه، وما كان كذلك فإنه لا يتسخن من الكواكب والشمس، فكان يبرد جدًا، فجعل الله كونه أغبر ليستقر النور عليه فيتسخن فيصلح أن يكون فراشًا للحيوانات[3].

الشرط الرابع: أن تكون بارزة من الماء، لأن طبع الأرض أن يكون غائصًا في الماء فكان يجب أن تكون البحار محيطة بالأرض؛ ولو كانت كذلك لما كانت فراشًا لنا، فقلب الله طبيعة الأرض وأخرج بعض جوانبها من الماء كالجزيرة البارزة حتى صلحت لأن تكون فراشًا لنا[4].

---

[1] محمد راتب النابلسي، سنريهم آياتنا- الندوة 29-5: الليل والنهار، ندوات تلفزيونية- قناة الفجر- بتاريخ: 26/ 8/ 2009م؛ منشور على موقع: موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية : nabulsi.com. بتصرف

[2] انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (6/ 196).

[3] أي: كل ما يحيى على الأرض.

[4] 2/ 103-105.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منافع الأرض

ثم شرع الإمام رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان ما في كوكب الأرض من معادن وتُربات وجبال وأنهار وأشجار وأحجار ودواب؛ على اختلافها كلها في الصفات والمنافع:

"سائر منافع الأرض وصفاتها:

فالمنفعة الأولى: الأشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات والحيوان والآثار العلوية والسفلية [1]، لا يعلم تفاصيلها إلا الله تعالى.

الثانية: أن يتخمر الرطب بها فيحصل التماسك في أبدان المركبات.

الثالثة: اختلاف بقاع الأرض؛ فمنها أرض رخوة وصلبة ورملة وسبخة وحَرَّة [2]، وهي قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾[3]، وقال: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾[4].

الرابعة: اختلاف ألوانها؛ فأحمر وأبيض وأسود ورمادي اللون وأغبر، على ما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ﴾"[5].

يقول علماء الجيولوجيا: إن مترًا مكعبًا من التربة التي نستخدمها للزراعة، فيه ما يزيد على مئتي ألف من الديدان العنكبية، وعلى مائة ألف من الحشرات، وعلى ثلاثمائة من ديدان التربة العادية، وعلى آلاف الملايين من الجراثيم والكائنات المتناهية في الدقة. وأن جرامًا واحدًا يحتوي على عدة مليارات من البكتيريا[6].

"الخامسة: انصداعها بالنبات؛ قال تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾[7].

السادسة: كونها خازنة للماء المنزل من السماء؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[8]، وقوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾[9].

---

[1] المقصود بالآثار العلوية والسفلية ما يحدث في السماء والأرض من أحوال، مثل: المطر والرعد والبرق ونحوه في السماء؛ وإنبات النبات ونحوه في الأرض، والله أعلم.

[2] الحَرّة: أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت. *المعجم الوسيط*، (ص: 165).

[3] الرعد: ٤.

[4] الأعراف: ٥٨. وانظر أيضًا: (19/ 5) في قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِ﴾ الرعد: ٤.

[5] فاطر: ٢٧.

[6] انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (6/ 215).

[7] الطارق: ١٢.

[8] المؤمنون: ١٨.

[9] الملك: ٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السابعة: العيون والأنهار العظام التي فيها؛ وإليه الإشارة بقوله﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾[1].

الثامنة: ما فيها من المعادن والفلزات[2]؛ وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾[3]، ثم بين بعد ذلك تمام البيان فقال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[4].

التاسعة: الحب الذي تخرجه الأرض من الحب والنوى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾[5]، وقال: ﴿يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[6]. ثم إن الأرض لها طبع الكرم؛ لأنك تدفع إليها حبة واحدة، وهي تردها عليك سبعمائة: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾[7].

العاشرة: حياتها بعد موتها؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾[8]، وقال: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾[9].

الحادية عشرة: ما عليها من الدواب المختلفة الألوان والصور والخلق؛ وإليه الإشارة بقوله﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[10].

والثانية عشر: ما فيها من النبات المختلف ألوانه وأنواعه ومنافعه؛ وإليه الإشارة بقوله:

﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[11]، فاختلاف ألوانها دلالة، واختلاف طعومها دلالة، واختلاف روائحها دلالة؛ فمنها قوت البشر، ومنها قوت البهائم، كما قال: ﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾[12]، أما مطعوم البشر : فمنها الطعام، ومنها الإدام، ومنها الدواء، ومنها الفاكهة، ومنها الأنواع المختلفة في الحلاوة والحموضة، قال تعالى:

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾[13]. وأيضًا فمنها كسوة البشر، لأن الكسوة إما نباتية –وهي القطن والكتان– وإما حيوانية –وهي الشعر والصوف والإبريسم والجلود–، وهي من الحيوانات التي بثها الله تعالى في الأرض. فالمطعوم من الأرض، والملبوس من الأرض، ثم قال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[14]؛ وفيه إشارة إلى منافع

---

(1) الرعد: ٣.

(2) الفِلِزّ: عنصر كيماوي يتميز بالبريق المَعْدِني والقابلية لتوصيل الحرارة والكهرباء. *المعجم الوسيط*، (ص: 700).

(3) الحجر: ١٩.

(4) الحجر: ٢١.

(5) الأنعام: ٩٥.

(6) النمل: ٢٥. والمعنى: يخرج المخبوء في السموات والأرض من غيث في السماء، ونبات في الأرض ونحو ذلك. *تفسير الطبري*، (19/ 448).

(7) البقرة: ٢٦١.

(8) السجدة: ٢٧.

(9) يس: ٣٣.

(10) لقمان: ١٠.

(11) ق: ٧.

(12) طه: ٥٤.

(13) فصلت: ١٠.

(14) النحل: ٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كثيرة لا يعلمها إلا الله تعالى. ثم إنه ﷻ جعل الأرض ساترة لقبائحك بعد مماتك فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝٢٦﴾[1]، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾[2]. ثم إنه ﷻ جمع هذه المنافع العظيمة للسماء والأرض، فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[3].

الثالثة عشرة: ما فيها من الأحجار المختلفة؛ ففي صغارها ما يصلح للزينة، فتجعل فصوصها للخواتم، وفي كبارها ما يتخذ للأبنية، فانظر إلى الحجر الذي تخرج النار منه مع كثرته، وانظر إلى الياقوت الأحمر مع عزته، ثم انظر إلى كثرة النفع بذلك الحقير، وقلة النفع بهذا الشريف.

الرابعة عشرة: ما أودع الله تعالى فيها من المعادن الشريفة؛ كالذهب والفضة. ثم تأمل، فإن البشر استخرجوا الحِرَف الدقيقة والصنائع الجليلة، واستخرجوا السمكة من قعر البحر، واستنزلوا الطير من أوج الهواء، ثم عجزوا عن إيجاد الذهب والفضة. والسبب فيه أنه لا فائدة في وجودهما إلا الثمينة[4]. وهذه الفائدة لا تحصل إلا عند العزة؛ فالقادر على إيجادهما يبطل هذه الحكمة. فلذلك ضرب الله دونهما بابًا مسدودًا، إظهارًا لهذه الحكمة وإبقاءً لهذه النعمة. ولذلك فإن ما لا مضرة على الخلق فيه مكنَّهم منه، فصاروا متمكنين من اتخاذ الشبه من النحاس والزجاج من الرمل. وإذا تأمل العاقل في هذه اللطائف والعجائب، اضطر في افتقار هذه التدابير إلى صانعٍ حكيم مقتدر عليم، ﷻ عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا".

في العصور السابقة، لم يفرق العلماء بين العناصر والمركبات (العنصر مادة تتألف من نوع واحد من الذرات، وليس في تكوينها مادة أبسط منها؛ بينما المركب هو مادة تتألف من نوعين أو أكثر من الذرات، وبالتالي يوجد في تكوينها مواد أبسط منها)، فالماء مثلًا مركب، لأنه يتكون من ذرتين هيدروجين وذرة أكسجين، إذًا يمكن استخلاص الهيدروجين والأكسجين من الماء. لكن لا يمكن تركيب الأكسجين من مادة أو أكثر لأنه أبسط المواد. كذلك الذهب والفضة عنصران، لا يمكن تركيبهما من مزج عدة مواد ببعضها. ولكن يمكن استخلاص الذهب والفضة من المركبات التي تحتوي عليهما أو استخراجهما كعناصر مباشرة من الأرض.

"الخامسة عشرة: كثرة ما يوجد على الجبال والأراضي من الأشجار التي تصلح للبناء والسقف، ثم الحطب؛ وما أشد الحاجة إليه في الخبز والطبخ. قد نبه الله تعالى على دلائل الأرض ومنافعها بألفاظ لا يبلغها البلغاء، ويعجز عنها الفصحاء، فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[5]، وأما الأنهار؛ فمنها العظيمة كالنيل وسيحون وجيحون والفرات، ومنها الصغار وهي كثيرة، وكلها تحمل مياهًا عذبة للسقي والزراعة وسائر الفوائد"[6].

---

(١) المرسلات: ٢٥ – ٢٦.
(٢) طه: ٥٥.
(٣) الجاثية: ١٣.
(٤) وهي هكذا في نسخة دار الفكر أيضًا (2/ 115)؛ ولعل الصواب: الثمنية.
(٥) الرعد: ٣.
(٦) 2/ 105-107.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[موضعان]

تكوين الأنهار والعيون

ينقل الإمام هنا كلام الفلاسفة في تكوين الأنهار.

وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ البقرة: ٧٤

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗا الرعد: ٣

قال رحمه الله:

"قالت الحكماء: إن الأنهار إنما تتولد عن أبخرة تجتمع في باطن الأرض، فإن كان ظاهرُ الأرض رخوًا انشقت تلك الأبخرة وانفصلت؛ وإن كان ظاهرُ الأرض صلبًا حجريًا اجتمعت تلك الأبخرة، ولا يزال يتصل تواليها بسوابقها حتى تكثر كثرة عظيمة، فيعرض حينئذ من كثرتها وتواتر مدّها أن تنشق الأرض وتسيل تلك المياه أودية وأنهارًا...

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُ﴾، أي: من الحجارة لما ينصدع فيخرج منه الماء فيكون عينًا لا نهرًا جاريًا. أي أن الحجارة قد تندى بالماء الكثير وبالماء القليل، وفي ذلك دليل تفاوت الرطوبة فيها، وأنها قد تكثر في حال حتى يخرج منها ما يجري منه الأنهار، وقد تقل"

هذا ما كان يعتقده الفلاسفة، كما نقله عنهم الإمام الرازي، وهم المقصودون بقوله: «الحكماء». فكانوا يعتقدون أن النهر يتكون من تجمع أبخرة تحت قعر الأرض واحتباسها عند الجبال، ثم نتيجة لتراكمها الشديد تفجر الصخور الجبلية وتخرج المياه العظيمة. وإن كانت المياه قليلة بحيث تتصدع منها الصخور فقط، فحينئذ تتكون العيون المائية.

والحقيقة أن العلاقة بين الجبال والأنهار والعيون وطيدة؛ لأجل هذا كثر ذكر الأنهار مع الجبال في القرآن، الرعد: ٣، النحل: ١٥، الأنبياء: ٣١، النمل: ٦١، المرسلات: ٢٧. ولكن ليس في الصورة التي ذهب إليها الإمام الرازي. فـ

> "شموخ الجبال له دخل كبير في نزول الماء يسقاه الناس وما لهم من صنوف الزروع والحيوان. ودخلها هذا حق يقرره علماء الجغرافيا الطبيعية والأرصاد، ويعرف بعض وجوهه كل مثقف بين الناس. فمن المعلومات العامة بين المثقفين أن الأنهار مرد منابعها إلى الجبال، والماء الفرات -أي العذب جدًا كما في القاموس- يدل أول ما يدل على ماء المطر... إلى الأمطار في النهاية مرد مياه الأنهار والعيون والعذب من الأنهار"[1].

وقد أكدت الدراسات الجغرافية بأن أكبر شبكات المنابع العليا للأنهار القوية الدائمة الجريان تتركز في مناطق الجبال الشامخات في الأقاليم المناخية الرطبة، فالمناطق الجبلية التي

[1] الغمراوي، *الإسلام في عصر العلم*، (ص: 303).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تسقط عليها كميات كبيرة من الأمطار في الأقاليم المناخية الاستوائية وشبه الاستوائية والمدارية الموسمية والمعتدلة الباردة تعد المنابع العليا الرئيسية لأعلى الأنهار على سطح الكرة الأرضية. وإذا كان العلم قد توصل إلى هذه المعلومات اليوم، فإن القرآن الكريم أشار إلى مثل هذه الحقائق وغيرها منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا مضت[١].

فالمطر الغزير الذي يسيل في شعاب الجبال يصنع لنفسه سبلًا لتتدفق منها الأنهار والعيون والأبار العذبة. و"المراد من الأنهار في آية البقرة: الماء الكثير الذي يجري الأنهار"[٢].

"كما يحدث أن تنشق الجبال وتبتلع بعض الماء الهابط من السحب، فتختزنه في أطباقها، ثم بعد ذلك يسلك الماء من مكان اختزانه سبلًا وفجاجًا تحت الأرض، ثم ينفجر في منطقة من أرض الله حسب علمه تعالى وحكمته"[٣].

"من الاستدلال بأحوال الجبال: أن بسببها تتولد الأنهار على وجه الأرض، وذلك أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض ووصلت إلى الجبل احتبست هناك، فلا تزال تتكامل، فيحصل تحت الجبل مياه عظيمة، ثم إنها لكثرتها وقوتها تثقب وتخرج وتسيل على وجه الأرض، فمنفعة الجبال في تولد الأنهار هو من هذا الوجه، ولهذا السبب ففي أكثر الأمر أينما ذكر الله الجبال قرن بها ذكر الأنهار، مثل ما في هذه الآية، ومثل قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾[٤]"[٥].

---

[١] حسن أبو العينين، *من الإعجاز العلمي في القرآن*، (2/ 168)، نقلًا عن: أشرف أبو سعيفة، حديث القرآن الكريم عن البحار والأنهار، دراسة موضوعية، (رسالة ماجستير غير منشورة، طنطا، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة، قسم التفسير وعلوم القرآن)، ص: 148.

[٢] *روح المعاني*، (1/ 296).

[٣] مصباح مطاوع، *دلائل الإعجاز العلمي في الكونيات من خلال سورة الرعد وأثرها في الدعوة الإسلامية*، (ص: 257). وانظر: *التحرير والتنوير*، (1/ 565) في كلام الطاهر بن عاشور على آية البقرة.

[٤] المرسلات: ٢٧.

[٥] 19/ 4. وانظر أيضًا: (20/ 7) في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحوال الأرض

وهي من أنواع الدلائل التي ذكرها الإمام في هذه الآية.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"اعلم أن لاختلاف أحوال الأرض أسبابًا:

السبب الأول: اختلاف أحوالها بسبب حركة الفلك، وهي أقسام:

القسم الأول: المواضع العديمة العرض، وهي التي على خط الاستواء بموافقتها قطبي العالم، تقاطع معدل النهار على زوايا قائمة، وتقطع جميع المدارات اليومية بنصفين، وتكون حركة الفلك دولابية، ولم يختلف هناك ليل كوكب مع نهاره..

القسم الثاني: المواضع التي لها عرض، فإن قطب الشمال يرتفع فيها من الأفق وقطب الجنوب ينحط عنه ويقطع الأفق معدل النهار فقط على نصفين. فأما سائر المدارات فيقطعها بقسمين مختلفين الظاهر منهما في الشمالية أعظم من الخافي وفي الجنوبية بخلاف ذلك، ولهذا يكون النهار في الشمالية أطول من الليل وفي الجنوبية بالخلاف، وتصير الحركة ههنا حمائلية..

السبب الثالث لاختلاف أحوال الأرض:كون بعضها بريًا وبحريًا وسهليًا وجبليًا وصخريًا ورمليًا وفي غور وعلى نجد، ويتركب بعض هذه الأقسام ببعض، فتختلف أحوالها اختلافًا شديدًا، وما يتعلق بهذا النوع فقد استقصيناه في تفسير قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾[1]...

ومما يتعلق بأحوال الأرض أنها كرة.. وقد عرفت أن امتداد الأرض فيما بين المشرق والمغرب يسمى طولًا وامتدادها بين الشمال والجنوب يسمى عرضًا، فنقول:طول الأرض إما أن يكون مستقيمًا أو مقعرًا أو محدبًا.

والأول باطل؛ وإلا لصار جميع وجه الأرض مضيئًا دفعة واحدة عند طلوع الشمس، ولصار جميعه مظلمًا دفعة واحدة عند غيبتها، لكن ليس الأمر كذلك؛ لأنا لما اعتبرنا من القمر خسوفًا واحدًا بعينه واعتبرنا معه حالًا مضبوطًا من أحواله الأربعة التي هي أول الكسوف وتمامه وأول انجلائه وتمامه لم يوجد ذلك في البلاد المختلفة الطول في وقت واحد، ووجد الماضي من الليل في البلد الشرقي منها أكثر مما في البلد الغربي

والثاني أيضًا باطل؛ وإلا لوجد الماضي من الليل في البلد الغربي أكثر منه في البلد الشرقي، لأن الأول يحصل في غرب المقعر أولًا ثم في شرقه ثانيًا ولما بطل القسمان ثبت أن طول الأرض محدب.

ثم هذا المحدب إما أن يكون كريًا أو عدسيًا، والثاني باطل؛ لأنا نجد التفاوت بين أزمنة الخسوف الواحد بحسب التفاوت في أجزاء الدائرة، حتى أن الخسوف الذي يتفق في أقصى عمارة المشرق في أول الليل يوجد في أقصى عمارة المغرب في أول النهار، فثبت أنها كرة في الطول.

---

[1] البقرة: ٢٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فأما عرض الأرض فإما أن يكون مسطحًا أو مقعرًا أو محدبًا، والأول باطل؛ وإلا لكان السالك من الجنوب على سمت القطب لا يزداد ارتفاع القطب عليه ولا يظهر له من الكواكب الأبدية الظهور ما لم يكن كذلك، لكنا بينا أن أحوالها مختلفة بحسب اختلاف عروضها.

والثاني أيضًا باطل؛ وإلا لصارت الأبدية الظهور خفية عنه على دوام توغله في ذلك المقعر، ولا ننقص ارتفاع القطب والتوالي كاذبة، على ما قطعنا في بيان المراتب السبعة الحاصلة بحسب اختلاف عروض البلدان، وهذه الحجة على حسن تقريرها إقناعية.

الحجة الثانية: ظل الأرض مستدير، فوجب كون الأرض مستديرة.بيان الأول أن: انخساف القمر نفس ظل الأرض، لأنه لا معنى لانخسافه إلا زوال النور عن جوهره عند توسط الأرض بينه وبين الشمس، ثم نقول: وانخساف القمر مستدير، لأنا نحس بالمقدار المنخسف منه مستديرًا، وإذا ثبت ذلك وجب أن تكون الأرض مستديرة، لأن امتداد الظل يكون على شكل الفصل المشترك بين القطعة المستضيئة بإشراق الشمس عليها وبين القطعة المظلمة منها، فإذا كان الظل مستديرًا وجب أن يكون ذلك الفصل المشترك الذي شكل كل الظل مثل شكله مستديرًا، فثبت أن الأرض مستديرة.

ثم إن هذا الكلام غير مختص بجانب واحد من جوانب الأرض، لأن المناظر الموجبة للكسوف تتفق في جميع أجزاء فلك البروج؛ مع أن شكل الخسوف أبدًا على الاستدارة، فإذن الأرض مستديرة الشكل من كل الجوانب[1].

الحجة الثالثة: أن الأرض طالبة للبعد من الفلك، ومتى كان حال جميع أجزائها كذلك وجب أن تكون الأرض مستديرة؛ لأن امتداد الظل كرة.

واحتج من قدح في كرية الأرض بأمرين:

أحدهما: أن الأرض لو كانت كرة لكان مركزها متطبقًا على مركز العالم، ولو كان كذلك لكان الماء محيطًا بها من كل الجوانب؛ لأن طبيعة الماء تقتضي طلب المركز، فيلزم كون الماء محيطًا بكل الأرض[2].

الثاني: ما نشاهد في الأرض من التلال والجبال العظيمة والأغوار المقعرة جدًا.

أجابوا عن الأول بأن: العناية الإلهية اقتضت إخراج جانب من الأرض عن الماء بمنزلة جزيرة في البحر لتكون مستقرًا للحيوانات، وأيضًا لا يبعد سيلان الماء من بعض جوانب الأرض إلى المواضع الغائرة منها، وحينئذ يخرج بعض جوانب الأرض من الماء.

---

[1] وهي حجة قائمة على المشاهدة؛ لأنه "إذا حدث خسوف جزئي للقمر فإن ظل الأرض على سطح القمر لا يرى إلا على شكل مستدير. يقول أرسطو: 'إذا كانت على خسوف القمر ستر الأرض إياه، فمن الضروري إذن أنه ينخسف لاستدارة الأرض، وأن العلة في خسوفه على النحو إنما يكون لاستدارة الأرض'". *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا*، (ص: 364).

[2] هذا ناتج عن فهمهم أن السماء مرادفة للعالم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعن الثاني أن: هذه التضاريس لا تخرج الأرض عن كونها كرة، قالوا: لو اتخذنا كرة من خشب قطرها ذراع مثلًا ثم أثبتنا فيها أشياء بمنزلة جاروسات أو شعيرات وقورنا فيها كأمثالها فإنها لا تخرجها عن الكرية، ونسبة الجبال والغيران إلى الأرض دون نسبة تلك الثابتات إلى الكرة الصغيرة[1].

ذهب الإمام إلى أن الأرض كرة، وقد كان متأثرًا –كعادته– برأي ابن سينا في ذلك، وابن سينا بدوره قد أخذ هذا عن أرسطو الذي ساق حججًا كثيرة على كروية الأرض؛ آخذًا ذلك عن فيثاغورث، الذي يعد أول القائلين بذلك محتجًا بأنها كرية لكي يتحقق التماثل والتوازن، فشكل الكرة أكمل الأشكال. ثم زاد أرسطو حججًا أخرى على ذلك.. فهي كرية لأن حافة الظل في أثناء خسوف القمر مستديرة دائمًا، فإذا سار الإنسان شمالًا أو جنوبًا تغير وضع نجوم السماء، فتظهر نجوم لم يكن يراها قبل ذلك وتختفي نجوم كان يراها...إلخ. يقول الدكتور محمد عاطف العراقي:

> ''وهكذا إلى آخر هذه الحجج التي تسعى لإثبات كروية الأرض، بعضها كما هو بين يقوم على الرصد والملاحظة، وبعضها يقوم على الاستنباط من مباديء العلم الطبيعي. هذه الحجج أخذها مفكرو الإسلام عن أرسطو وأضافوا إليها حججًا أخرى. وإذا كانت بعض هذه الحجج ليس عليها دليل يقيني، فإن إثبات أرسطو لكروية الأرض جاء متفقًا إلى حد كبير مع ما قرره علماء الفلك في العصر الحديث، بمعنى أن الثابت الآن هو أن الأرض ذات شكل شبيه بالكروي''[2].

وقد انتقلت فكرة كروية الأرض من فيثاغورث وأرسطو إلى الفلكيين اليونان الذين أضافوا لها حججًا، وعنهم انتقلت إلى العرب الذين قاموا بمشاهدات تثبت ذلك.

وقد استدل الإمام على كرويتها بعدة حجج، منها ما يتعلق بطول الأرض، وهي:

أن طول الأرض محدب؛ لأن الشمس لا تطلع ولا تغرب على جميع البلاد في وقت واحد، بل جهة المشرق متقدمة على جهة المغرب شروقًا وغروبًا.. وهذا يدل على ''حدبة سطح الأرض فيما بين المشرق والمغرب''[3].

وأنه إذا كان خسوف القمر يحدث لكل البلاد في وقت واحد، فإنه يرصد في بلد شرقي قبل أن يرصد في بلد غربي بمدة تناسب المسافة بينهما إذا كان للبلدين عرض واحد؛ وهذا يدل على انتظام استدارة الأرض فيما بين المشرق والمغرب. يقول الإمام الإيجي: ''لأن البلاد كلما كانت أقرب إلى الغرب كان طلوع الشمس عليها متأخرًا بنسبة واحدة ، ولا يعقل ذلك إلا في الكرة . وإنما قلنا بذلك لأنا لما رصدنا خسوفًا بعينه في وقت من الليل وجدناه في بلاد شرقيه مثلًا آخر الليل ،

---

(١) 4/ 184 - 187.

(٢) *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا* ، (ص: 351) وانظر: (ص: 363).

(٣) *السابق* (ص: 365).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي بلاد غربية عنها بمسافة معينة قبله بساعة ، وفي بلاد غربية عنها بتلك المسافة بعينها قبل الأول بساعتين وقبل الثاني بساعة، وعلى هذا فعلمنا أن طلوعها على الغربية متأخر"[1].

ومنها ما **يتعلق** بعرضها، وهي:

أن السالك من الجنوب إلى الشمال يرى عند إيغاله في الشمال كواكب كان مختفية عنه قبل ذلك. وأن بعض الكواكب الشمالية التي كان لها غروب تصير أبدية الظهور عليه، ثم تخفى عنه من ناحية الجنوب بعض الكواكب التي كانت طالعة قبل ذلك، بحيث تصبح مختفية تمامًا على ترتيب واحد[2].

ومن الحجج العقلية أيضًا أنه يمكن رؤية قمم الأشياء المرتفعة، مثل الجبال والثلوج الشاهقة، من مسافة لا يرى منها أسفلها.. وكذلك أن السفن المقبلة تظهر رؤس سواريها من بعيد قبل أن ترى قلوعها، ثم تظهر القلوع قبل ظهور جرم السفينة، وهكذا؛ فدل هذا على استدارة سطح الماء. السابق.

أما العلم الحديث، فقد أثبت –بما لا يدع مجالًا للشك – كروية الأرض. مع أن القرآن لم يذكر ذلك صراحة، إلا أنه يمكن الاستدلال على ذلك بقوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ الزمر: ٥. لأن التكوير هو اللف والتدوير. وهذا يحدث حقيقة، فالشمس تضيء النصف المواجه لها من سطح الأرض؛ بينما النصف الآخر من الأرض في ظلام دامس، ومع دوران الكرة الأرضية يسطع الضوء على النصف المظلم تدريجيًا. وهذا مصداق كلام الإمام أن وجه الأرض لا يصير مضيئًا دفعة واحدة عند طلوع الشمس، ولا مظلمًا دفعة واحدة عند غيبتها، فدل هذا على كرويتها. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:

> "تعبير عجيب يقسر الناظر فيه قسرًا على الالتفات إلى ما كشف حديثًا عن كروية الأرض... فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض. فالأرض الكروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهارًا. ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور. وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار. وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكورًا والليل يتبعه مكورًا كذلك. وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل. وهكذا في حركة دائبة"[3].

---

[1] *المواقف*، (2/ 476). وانظر: *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا*، (ص: 365).
[2] *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا*، (ص: 365).
[3] *في ظلال القرآن*، (5/ 3038).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول الشيخ الشعراوي رحمه الله:

"لو كان القرآن قال: إن الأرض كرة وتدور حول الشمس، أكان يصدقه أحد؟ إن هناك حتى الآن من ينكر ذلك. ونجد القرآن يشير ويلمح إليها إلماحا خفيفاً إلى أن تتسع العقول لها. فيقول الحق ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ ﴾، وما دام الليل يأتي وراء النهار، والنهار يأتي وراء الليل في شبه كرة؛ فالذي يأتي عليه الليل والنهار شكل الكرة. فكأن كلًا من الليل والنهار دائر وراء الآخر حول كرة، إذن فالحق يعطي اللمحة بميزان حتى تتسع العقول للفهم"[1].

وهي ليست كروية تمامًا، وإنما مفلطحة قليلًا عند القطبين ومنتفخة عند الوسط، يزيد قطرها في خط الاستواء 41 كم عن قطرها القطبي؛ أي بيضاوية الشكل. انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (6/ 217-222، 229-231). ويمكن تفسير ذلك بالرجوع إلى تكوينها الداخلي.. ففى بداية تكوينها كانت جميع مواد الباطن هي عبارة عن مواد ثقيلة ذائبة ؛ حديد ونيكل... ونتيجة لدوران الأرض حول محورها الدائم و نتيجة لكون قوة الطرد المركزية أكبر من قوة الجذب المركزية ، تركزت المواد على الجانبين.

[1] *خواطر الشعراوي*، (6/ 3785). وانظر: عبد الرحيم الشريف، «علماء الإسلام يجمعون على كروية الأرض» بتاريخ: 29/ 6/ 2010م، مقال منشور على موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

البحر والفُلك

ذكر الإمام جغرافيا البحار في هذه الآية.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"ذكر الجبائي وغيره من العلماء بمواضع البحور أن البحور المعروفة خمسة

أحدها: بحر الهند، وهو الذي يقال له أيضًا بحر الصين، والثاني: بحر المغرب، والثالث: بحر الشام والروم ومصر، والرابع: بحر نِيطِش، والخامس بحر جُرجان

فأما بحر الهند، فإنه يمتد طوله من المغرب إلى المشرق من أقصى أرض الحبشة إلى أقصى أرض الهند والصين يكون مقدار ذلك ثمانمائة ألف ميل[1] وعرضه ألفي وسبعمائة ميل، ويجاوز خط الاستواء ألفًا وسبعمائة ميل[2].

وخلجان هذا البحر:

الأول: خليج عند أرض الحبشة، ويمتد إلى ناحية البربر، ويسمى الخليج البربري[3]، طوله مقدار خمسمائة ميل وعرضه مائة ميل

والثاني: خليج بحر أيلة، وهو بحر القلزم[4]، طوله ألف وأربعمائة ميل وعرضه سبعمائة ميل، ومنتهاه إلى البحر الذي يسمى البحر الأخضر[5]، وعلى طرفه القُلزم، فلذلك سمي به، وعلى شرقيه أرض اليمن وعدن وعلى غربيه أرض الحبشة

---

[1] لعلها: ثمانية آلاف ميل، كما في البتاني، *الزيج*، (روما، كارلو نالّينو)، ص: 26.

[2] بحر الهند: يقول عنه صاحب معجم البلدان: " هو أعظم هذه البحار وأوسعها وأكثرها جزائر وأبسطها، على سواحله مُدُن، ولا علم لأحد بموضع اتصاله بالمحيط محدودًا، لعظم اتصاله به وسعته وامتزاجه به" . معجم *البلدان*، (1/ 345).
ولا يعرف الآن بحرٌ بهذا الاسم، والظاهر أنهم كانوا يطلقونه على الجزء العلوي الذي كانوا يعرفونه من المحيط الهندي، وأقرب المناطق التي يمكن أن نُعَرّفها الآن بهذا البحر الهندي هو الحوض العربي (بحر العرب).

[3] وهو خليج عدن.

[4] وهو البحر الأحمر.

[5] وهو المحيط الهندي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثالث: خليج بحر أرض فارس، ويسمى الخليج الفارسي[1]، وهو بحر البصرة وفارس الذي على شرقيه تيز ومكران وعلى غربيه عمان، طوله ألف وأربعمائة ميل وعرضه خمسماية ميل وبين هذين الخليجين –أعني خليج أيلة وخليج فارس– أرض الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب فيما بين مسافة ألف وخمسمائة ميل

الرابع: يخرج منه خليج آخر إلى أقصى بلاد الهند ويسمى الخليج الأخضر، طوله ألف وخمسمائة ميل

قالوا: وفي جزيرة بحر الهند من الجزائر العامرة وغير العامرة ألف وثلثمائة وسبعون جزيرة ، منها جزيرة ضخمة في أقصى البحر مقابل أرض الهند في ناحية المشرق عند بلاد الصين وهي سرنديب؛ يحيط بها ثلاثة آلاف ميل فيها جبال عظيمة وأنهار كثيرة، ومنها يخرج الياقوت الأحمر، وحول هذه الجزيرة تسع عشرة جزيرة عامرة، فيها مدائن عامرة وقرى كثيرة، ومن جزائر هذا البحر جزيرة كله التي يُجلب منها الرصاص القلعي، وجزيرة سريرة التي يجلب منها الكافور.

وأما بحر المغرب، فهو الذي يسمى بالمحيط ؛ وتسميه اليونانيون: أوقيانوس، ويتصل به بحر الهند ، ولا يعرف طرفه إلا في ناحية المغرب والشمال عند محاذاة أرض الروس والصقالبة فيأخذ من أقصى المنتهى في الجنوب محاذيًا لأرض السودان مارًا على حدود السوس الأقصى وطنجة وتاهرت ثم الأندلس والجلالقة والصقالبة ثم يمتد من هناك وراء الجبال غير المسلوكة والأراضي غير المسكونة نحو بحر المشرق

وهذا البحر لا تجري فيه السفن؛ وإنما تسلك بالقرب من سواحله[2].

وفيه ست جزائر مقابل أرض الحبشة، تسمى: جزائر الخالدات، ويخرج من هذا البحر خليج عظيم في شمال الصقالبة، ويمتد هذا الخليج إلى أرض بلغار المسلمين، طوله من المشرق إلى المغرب ثلثمائة ميل وعرضه مائة ميل.

وأما بحر الروم وأفريقية ومصر والشام فطوله مقدار خمسة آلاف ميل وعرضه ستمائة ميل

ويخرج منه خليج إلى ناحية الشمال قريب من الرومية، طوله خمسمائة ميل وعرضه ستمائة، ويخرج منه خليج آخر إلى أرض سرين[3]، طوله مائتا ميل

وفي هذا البحر مائة واثنتان وستون جزيرة عامرة منها خمسون جزيرة عظام[1].

---

[1] وهو الخليج العربي.

[2] بحر المغرب: هو المحيط الأطلسي، وقد ذكر منه ما كان معروفًا وقتئذ. وكانوا يعتبرونه والمحيطَ الهندي شيئًا واحدًا.

يقول صاحب معجم البلدان: " وهو محيط بالدنيا جميعها كإحاطة الهالة بالقمر، ويخرج منه شعبتان إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق. فأما التي بالشرق فهي: بحر الهند والصين وفارس واليمن والزُّنج... والشعبة الأخرى في المغرب تخرج من عند سَلَا، فيمر بالزقاق الذي بين البر الأعظم من بلاد بربر المغرب وجزيرة الأندلس –مضيق جبل طارق– ويمر بإفريقية إلى أرض مصر والشام إلى القسطنطينية... وهذا البحر المحيط لا يُسلَك شرقًا ولا غربًا؛ إنما المسلَكُ في خليجيه فقط". معجم *البلدان*، (1/ 344).

[3] سِرَين: مدينة في طريق مكة من اليمن قرب يلملم؛ ولهذا لعله يقصد أرض نربونة التي تقع شرقي الأندلس، كما في *الزيج*، (ص: 27).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما بحر نِيطِش، فإنه يمتد من اللاذقية[٢] إلى خلف قسطنطينية في أرض الروس والصقالبة طوله ألف وثلثمائة ميل وعرضه ثلثمائة ميل[٣].

وأما بحر جُرجان، فطوله من المغرب إلى المشرق ثلثمائة ميل وعرضه ستمائة ميل

وفيه جزيرتان كانتا عامرتين فيمن مضى من الزمان ، ويعرف هذا البحر ببحر آبسكون ؛ لأنها على فُرْضَته[٤]، ثم يمتد إلى طبرستان والديلم والنهروان وباب الأبواب وناحية أرانوليس يتصل ببحر آخر[٥].

فهذه هي البحور العظام ؛ وأما غيرها فبحيرات وبطائح ، كبحيرة خُوارِزْم[٦] وبحيرة طبرية[٧]. وحكي عن أرسطاطاليس[٨] أن بحر أوقيانوس محيط بالأرض بمنزلة المنطقة لها فهذا هو الكلام المختصر في أمر البحور"[٩].

ذكر الإمام أنه أخذ هذه التقسيمات من أبي علي الجبائي (ت: 303هـ)، وهذا الكلام موجود قريبًا منه جدًا عند ابن جابر البتاني[١٠]؛ ولاشك أن الطبائع الجغرافية لهذه البحار تغيرت بشكل كبير

---

(١) بحر الروم وأفريقة: هو البحر الأبيض المتوسط، وتبلغ مساحته الآن (965,000 ميل^2) أي: حوالي (2,5 مليون كم^2)، وهو أكبر بحار العالم.

(٢) بسوريا.

(٣) بحر نِيطِش (أو بُنْطُس)، هكذا كان معروفًا عند اليونانيين، ومعروف عند العرب ببحر القرم، وهو المعروف الآن بالبحر الأسود. انظر: معجم *البلدان* ، (1/ 342)؛ والآلوسي، *غرائب الاغتراب* ، (نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة)، ص: 51. وهو بحر داخلي يقع بين الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا وآسيا الصغرى، يتصل بالبحر المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة، ويتصل ببحر آزوف عن طريق مضيق كيرتش . تزيد مساحة المسطح المائي للبحر الأسود عن (420,000 كم^2). ويطل عليه ستة دول، هي: أوكرانيا وروسيا وجورجيا وتركيا وبلغاريا ورومانيا.

(٤) الفُرْضَة: من النهر: مشرَب الماء منه، ومن البحر: محَطّ السفن (الميناء). *المعجم الوسيط*، (ص: 683).

(٥) بحر جُرجان (أو الخَزَر أو طبرستان أو آبسكون) انظر: معجم البلدان ، (1/ 342، 343). وهو بحر قزوين حاليًا. يقول الإصطخري: "هذا البحر ليس له اتصال بشيء من البحار على وجه الأرض، فلو أن رجلًا طاف بهذا البحر لرجع إلى مكانه الذي ابتدأ منه، لا يمنعه مانع إلا نهر عذب يقع فيه، وهو بحر ملح لا مد فيه ولا جزر، وهو بحر مظلم، قعره طين". *المسالك والممالك* ، (نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة)، ص: 75. وبحر قزوين هو أكبر بحر مغلق في العالم، يقع في غرب آسيا على مساحة (371,000 كم^2)، وتطل عليه خمسة دول، هي: روسيا وإيران وأذربيجان وتركمانستان وكازاخستان.

(٦) وهي الآن بحر آرال، وهو بحر داخلي يقع في آسيا الوسطى بين كازاخستان شمالًا وأوزبكستان جنوبًا.

(٧) وهي بحيرة حلوة المياه، تقع بين منطقتي الجليل والجولان على الجزء الشمالي من مسار نهر الأردن.

(٨) أرسطاطاليس هو:

أرسطاطاليس ابن بيقوماخوس ، المقدوني الأصل ، اليوناني المنشأ. و معنى أرسطاطاليس هو : الكامل الفاضل . نشأ يتيمًا وتتلمذ على يد الفيلسوف أفلاطون الحكيم فكان يحفظ الحكمه بسرعة شديده .ومن حكمه أخذ الشاعر المعروف أبو الطيب المتنبي وصنع منها شعرًا. http://www.ibnaljabal.com/t2002-topic

(٩) 4/ 189-191.

(١٠) في كتابه «الزيج» (ص: 26 وما بعدها)، توفي (317هـ/ 929م)، وهو: محمد بن جابر بن سنان الحراني الرقي الصابئ، أبو عبد الله المعروف بالبتاني: فلكي مهندس، يسميه الفرنج: Albategni، وكان من أهل (حران) وسكن (الرقة)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منذ ذلك الوقت. فلم تكن الأمريكتان قد اكتُشفتا بعد، وبالتالي المحيط الهادي الذي هو أكبر محيطات العالم لم يكن معلومًا عندهم؛ وقد كانوا قديمًا جدًا يعتقدون أن لا شيء وراء المحيطات سوى حافة تسقط منها السفن إلى المجهول.

وكان مصطلح «بحر» يطلق على أي تجمع للماء الكثير الهالح، "قد سمي البحر بحرًا لاستبحاره، وهو: سعته وانبساطه"[1]. ولم يستخدموا كلمة محيط على معناها المقصود اليوم. فقد كانوا يطلقون على المحيط الأطلسي : «بحر الظلمات». وذكر الإمام هنا أنه معروف باسم المحيط. ونقل عن أرسطاطاليس أنه محيط بالأرض بمنزلة المنطقة لها.

أما الآن فالمشهور أن البحر: مسطح مائي مالح أصغر من المحيط، وينحصر في منطقة جغرافية معينة.. ويتشعب بهذا التعريف إلى: بحار مغلقة (كالبحر الميت)، وبحار صغيرة تطل على بحار كبيرة (مثل الأسود على الأبيض) ، وبحار كبيرة تفتح على محيطات شاسعة (مثل الأحمر مع المحيط الهندي)[2].

ويعتمد الفرق بين البحر والمحيط على عدة عوامل، وهي : الحجم، طبيعة السواحل، عمق القاع، درجة ملوحة المياه . فمساحة البحر أصغر من مساحة المحيط، وعمق البحر لا يزيد عن 2000 متر. ومن الفوارق الأساسية بين البحر والمحيط : أن البحر يكون عبارة عن مساحة محاطة باليابسة بنسب وأشكال مختلفة، كما تتميز البحار عن المحيطات بوجود تنوع بيولوجي فيها أكبر من التنوع المتوفر في المحيطات.

ومقارنةً بأكبر المسطحات المائية في العالم الآن، فلاشك أن المحيطات الخمسة تزيد بكثير جدًا. فمن المعلوم أن المحيطات هي الكتلة المائية الضخمة التي تغطي أكثر من 70% من سطح الأرض، وتحتوي المحيطات على 97% من المياه الموجودة على الأرض.. ولم يتم اكتشاف المحيطات إلا منذ زمن قريب، ويعمل العلماء الأوقيانوغرافيين oceanographers على استكشاف أسرار هذا العالم المائي. وتشكل المحيطات، لأنها مترابطة، كتلة واحدة تسمى المحيط العالمي؛ ولكن اليابسة (القارات) تعمل على تقسيمه إلى ثلاث محيطات رئيسية: الهادي (155,557,000 كم^2)، والأطلسي (76,762,000 كم ^{2})، والهندي (68,556,000 كم ^{2}).. ويتفرع عن هذه المحيطات بحار وخلجان وأجوان العالم، وهي منتشرة على هوامشها. فالبحر المتوسط مثلًا جزء

واشتغل برصد الكواكب من سنة 264 إلى 306هـ، ورحل مع بعض أهل الرقة إلى بغداد، في ظلامات لهم، فلما رجع مات في طريقه بقصر الجص، قرب سامراء. و(الزيج) هو المعروف بزيج الصابئ، طبعت ترجمته إلى اللاتينية في نور مبرج سنة 1537م باسم: Scientia Stellarum، وقالوا إنه أصح من زيج بطليموس. الزركلي، *الأعلام*، (6/ 68).

[1] معجم *البلدان*، (1/ 341).

[2] انظر: فهد عامر الأحمدي، «بحار العالم السبعة»، جريدة الرياض، جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، عدد (15815)، الأربعاء 14 ذي القعدة 1432هـ/ 12 أكتوبر 2011م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من المحيط الأطلسي، وبحر الصين الجنوبي جزء من المحيط الهاديء. يتبقى محيطان، هما: المحيط المتجمد الجنوبي (20,327,000 كم ^{2})، وعنده يتلاقى المحيط الهاديء والهندي والأطلسي؛ والمحيط المتجمد الشمالي (14,056,000 كم ^{2})، شمال آسيا وأوروبا وأميركا الشمالية[1].

"كيفية الاستدلال بجريان الفلك في البحر على وجود الصانع تعالى وتقدس، وهي من وجوه:

أحدها: أن السفن وإن كانت من تركيب الناس؛ إلا أنه تعالى هو الذي خلق الآلات التي بها يمكن تركيب هذه السفن، فلولا خلقه لها لما أمكن ذلك.

وثانيها: لولا الرياح المعينة على تحريكها لما تكامل النفع بها.

وثالثها: لولا هذه الرياح وعدم عصفها لما بقيت ولما سلمت.

ورابعها: لولا تقوية قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض، فصيرها الله تعالى من هذه الوجوه مصلحة للعباد وطريقًا لمنافعهم وتجاراتهم.

وخامسها: أنه خص كل طرف من أطراف العالم بشيء معين وأحوج الكل إلى الكل، فصار ذلك داعيًا يدعوهم إلى اقتحامهم هذه الأخطار في هذه الأسفار؛ ولولا أنه تعالى خص كل طرف بشيء وأحوج الكل إليه لما ارتكبوا هذه السفن، فالحامل ينتفع به لأنه يربح والمحمول إليه ينتفع بما حمل إليه.

وسادسها: تسخير الله البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان البحر إذا هاج وعظم الهول فيه إذا أرسل الله الرياح فاضطربت أمواجه وتقلبت مياهه.

وسابعها: أن الأودية العظام مثل جيحون وسيحون تنصب أبدًا إلى بحيرة خوارزم على صغرها، ثم إن بحيرة خوارزم لا تزداد ألبتة ولا تمتد، فالحق ﷻ هو العالم بكيفية حال هذه المياه العظيمة التي تنصب فيها.

بعض الأودية تصب في البحيرات، ومع هذا لا تزداد مياهها ولا تتسع مساحتها، وهذا راجع إلى الحكمة الباهرة التي جعل الله بها هذا التوازن في الطبيعة؛ حيث سخر الشمس لتبخير مياه البحار والمحيطات، ثم تنزل مرة أخرى –على شكل أمطار– بحيث تسيل على الجبال وتتشعب منها الأودية، وتنبع منها الأنهار والعيون والآبار، وما يتم تبخره يعادل تمامًا نسبة ما ينزل من أمطار.

"وثامنها: ما في البحار من الحيوانات العظيمة، ثم إن الله تعالى يخلص السفن عنها ويوصلها إلى سواحل السلامة.

وتاسعها: ما في البحار من هذا الأمر العجيب ، وهو قوله تعالى: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾[2]، وقال: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[1]، ثم إنه تعالى بقدرته يحفظ البعض عن الاختلاط بالبعض؛ وكل ذلك مما يرشد العقول والألباب إلى افتقارها إلى مدبر يدبرها ومقدر يحفظها[2]".

---

[1] انظر: *أطلس دول العالم الكبير* ، (بيروت، مكتبة الصغار، بدون تاريخ)، ص: 168. والمساحات مأخوذة من موقع: www.worldatlas.com.

[2] الرحمن: ١٩ – ٢٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أمْر البرزخ والحاجز الذي يحول بين اختلاط الماء العذب مع المالح عند التقائهما، وهو حاجز طبيعي وليس جسمًا آخر فاصلًا بينهما، هو من بديع حكمة الباري جل شأنه. يقول الإمام الرازي في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ﴾ النمل: ٦١:

"فالمقصود منه: أن لا يفسد العذب بالاختلاط وأيضًا فلينتفع بذلك الحاجز، وأيضًا المؤمن في قلبه بحران بحر الإيمان والحكمة وبحر الطغيان والشهوة وهو بتوفيقه جعل بينهما حاجزًا لكي لا يفسد أحدهما بالآخر".[٣]

وكما أن البحار والأنهار لها حواجز، هناك أيضًا حواجز بين البحار نفسها، ولكل بحر خواصه وأسماكه ونظامه، لأن الماء –أعظم مذيب على سطح الأرض– يلتقي مع بعضه البعض؛ ولكن لا يختلط اختلاطًا كاملًا. وهي حقيقة لم يتوصل لها العلم الحديث إلا منذ سنوات قليلة؛ لكن القرآن أشار إليها واضحة، كما في سورة الرحمن[٤].

---

[١] فاطر: ١٢.

[٢] 4/ 191. وانظر أيضًا: (20/ 7) في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ ﴾ النحل: ١٤.

[٣] *مفاتيح الغيب*، (24/ 190).

[٤] انظر للمزيد: أشرف أبو سعيفة ، حديث *القرآن الكريم عن البحار والأنهار* ، (ص: 131-133)، *والموسوعة الكونية الكبرى* ، (8/ 261-358).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إحياء الأرض بعد موتها

ذكر الإمام هنا ستة أوجه تدل على أن المطر ونزوله آية من آيات الله العظيمة، ثم انتقل إلى الكلام على تصور كيفية إحياء الأرض بالمطر، والاستدلال بذلك على قدرة الله تعالى.

وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"واعلم أن دلالته على الصانع من وجوه:

أحدها: أن تلك الأجسام وما قام بها من صفات الرقة والرطوبة والعذوبة ولا[1] يقدر أحد على خلقها إلا الله تعالى، قال سبحانه ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ﴾[2].

وثانيها: أنه تعالى جعله سببًا لحياة الإنسان ولأكثر منافعه، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ٦٩﴾[3]، وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ﴾[4].

وثالثها: أنه تعالى كما جعله سببًا لحياة الإنسان جعله سببًا لرزقه، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[5].

ورابعها: أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأودية العظام تبقى معلقة في جو السماء، وذلك من الآيات العظام[6].

وخامسها: أن نزولها عند التضرع واحتياج الخلق إليه مقدرًا بمقدار النفع من الآيات العظام، قال تعالى حكاية عن نوح: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١﴾[7].

---

[1] لا يستقيم معنى الجملتين إلا بحذف الواو من: "ولا يقدر" وجعلها جملة واحدة.

[2] الملك 30.

[3] الواقعة: ٦٨ – ٦٩.

[4] الأنبياء: 30.

[5] الذاريات: ٢٢.

[6] درجة كثافة السحب هي من 10 إلى 100 مرة أقل من درجة كثافة الهواء ، ولذا فهي تطفوا في السماء، أما ما يفسر تحرك السحب عبر الرياح فهو الحركة الدائمة لجزيئات الهواء التي تدفع كل الكتل التي تحتك بها ، بما في ذلك السحب.

[7] نوح: ١٠ – ١١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسادسها: ما قال: ﴿ فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾[1]، وقال: ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾[2]...

أما قوله: ﴿ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾، فاعلم أن هذه الحياة من جهات:

أحدها: ظهور النبات الذي هو الكلأ والعشب وما شاكلها مما لولاه لما عاشت دواب الأرض.

وثانيها: أنه لولاه لما حصلت الأقوات للعباد.

وثالثها: أنه تعالى ينبت كل شيء بقدر الحاجة، لأنه تعالى ضمن أرزاق الحيوانات بقوله:﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[3].

ورابعها: أنه يوجد فيه من الألوان والطعوم والروائح وما يصلح للملابس، لأن ذلك كله مما لا يقدر عليه إلا الله.

وخامسها: يحصل للأرض بسبب النبات حسن ونضرة ورواء ورونق، فذلك هو الحياة...

واعلم أن إحياء الأرض بعد موتها يدل على الصانع من وجوه:

أحدها: نفس الزرع، لأن ذلك ليس في مقدور أحد على الحد الذي يخرج عليه.

وثانيها: اختلاف ألوانها على وجه لا يكاد يحد ويحصى.

وثالثها: اختلاف طعوم ما يظهر على الزرع والشجر.

ورابعها: استمرار العادات بظهور ذلك في أوقاتها المخصوصة[4].

---

[1] فاطر: ٩.
[2] الحج: ٥.
[3] هود: ٦.
[4] 4/ 191، 192.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فلق الحب والنوى

يفصل الإمام عجائب قدرة الخالق في الحبة والنواة.

إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ الأنعام: ٩٥

قال رحمه الله:

"الحب هو: الذي يكون مقصودًا بذاته، مثل حبة الحنطة والشعير وسائر الأنواع، والنوى هو: الشيء الموجود في داخل الثمرة مثل نوى الخوخ والتمر وغيرهما.

إذا عرفت هذا فنقول: إنه إذا وقعت الحبة أو النواة في الأرض الرطبة، ثم مر به قدر من المدة أظهر الله تعالى في تلك الحبة والنواة من أعلاها شقًّا ومن أسفلها شقًّا آخر. أما الشق الذي يظهر في أعلى الحبة والنواة فإنه يخرج منه الشجرة الصاعدة إلى الهواء، وأما الشق الذي يظهر في أسفل تلك الحبة فإنه يخرج منه الشجرة الهابطة في الأرض وهي المسماة بعروق الشجرة، وتصير تلك الحبة والنواة سببًا لاتصال الشجرة الصاعدة في الهواء بالشجرة الهابطة في الأرض".

بعد امتصاص الماء؛ وهي المرحلة الأولى التي تقوم البذور الجافة فيها بامتصاص الماء مما يزيد من المحتوى الرطوبى لها، يعقب ذلك انتفاخ البذور وزيادة أحجامها ، وقد يصاحب هذا الانتفاخ تمزق أغلفة البذرة. وعقب امتصاص الماء وانتفاخ البذور يبدأ نشاط الإنزيمات التى تكونت أثناء تكوين الجنين، وكذلك تخليق بعض الإنزيمات الجديدة. كما تنشط بعض المركبات الكيميائية الخاصة بإنتاج الطاقة اللازمة لعملية الإنبات[1]

وهي في الحقيقة شجرة واحدة، فنتيجة لاستمرار الانقسام الخلوى الذى يحدث فى نقط النمو المختلفة والموجودة على محور الجنين ، وبتقدم مراحل النمو ، تأخذ البادرة الشكل الخاص بها. ويتكون «الجنين» من المحور الذى يحمل واحدة أو أكثر من الأوراق الفلقية، و «الجذير» الذى يظهر من قاعدة محور الجنين (أسفل)، بينما تظهر الريشة من الناحية العلوية لمحور الجنين فوق الأوراق الفلقية. ويقسم ساق البادرة إلى السويقة الجنينية العليا والتى توجد أعلى الفلقات، والسويقة الجنينية السفلى التى توجد أسفل الفلقات[2].

"ثم إن ههنا عجائب: فإحداها: أن طبيعة تلك الشجرة إن كانت تقتضي الهوى في عمق الأرض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة في الهواء؟ وإن كانت تقتضي الصعود في الهواء، فكيف تولدت منها الشجرة الهابطة في الأرض؟ فلما تولد منها هاتان الشجرتان مع أن الحس والعقل يشهد بكون طبيعة إحدى الشجرتين مضادة

---

(1) http://www.smsec.com/ar/encyc/plant/seed.htm وانظر: موضوع: الإنبات في النبات، *الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق*، (ص: 345). وموضوع: عالم النبات، *دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة*، (ص: 213 وما بعدها).

(2) http://www.smsec.com/ar/encyc/plant/seed.htm.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لطبيعة الشجرة الأخرى، علمنا أن ذلك ليس بمقتضى الطبع والخاصية، بل بمقتضى الإيجاد والإبداع والتكوين والاختراع".

يتسم الجذير بالانتحاء الضوئي السالب والانتحاء الأرضي الموجب، وهذا ما يجعله يتمدد في الأرض؛ بينما تتميز الريشة بالانتحاء الضوئي الموجب والانتحاء الأرضي السالب، مما يجعلها تتمدد إلى أعلى. وسبحان الله، تظل هذه السمة موجودة في كل منهما حتى لو تم قلب التربة فإن الجذير سيدور ويتمدد لأسفل، والريشة ستدور وتتمدد لأعلى![1].

"وثانيها: أن باطن الأرض جرم كثيف صلب لا تنفذ المسلة القوية فيه ولا يغوص السكين الحاد القوي فيه، ثم إنا نشاهد أطراف تلك العروق في غاية الدقة واللطافة بحيث لو دلكها الإنسان بأصبعه بأدنى قوة لصارت كالماء، ثم إنها مع غاية اللطافة تقوى على النفوذ في تلك الأرض الصلبة والغوص في بواطن تلك الأجرام الكثيفة، فحصول هذه القوى الشديدة لهذه الأجرام الضعيفة التي هي في غاية اللطافة لابد وأن يكون بتقدير العزيز الحكيم.

وثالثها: أنه يتولد من تلك النواة شجرة ويحصل في تلك الشجرة طبائع مختلفة، فإن قشر الخشبة له طبيعة مخصوصة، وفي داخل ذلك القشر جرم الخشبة وفي وسط تلك الخشبة جسم رخو ضعيف يشبه العهن المنفوش، ثم إنه يتولد من ساق الشجرة أغصانها ، ويتولد على الأغصان الأوراق أولًا، ثم الأزهار والأنوار ثانيًا، ثم الفاكهة ثالثًا، ثم قد يحصل للفاكهة أربعة أنواع من القشر ؛ مثل الجوز، فإن قشره على الأعلى هو ذلك الأخضر، وتحت ذلك القشر الذي يشبه الخشب، وتحته ذلك القشر الذي هو كالغشاء الرقيق المحيط باللب وتحته ذلك اللب، وذلك اللب مشتمل على جرم كثيف هو أيضًا كالقشر، وعلى جرم لطيف وهو الدهن، وهو المقصود الأصلي، فتولد هذه الأجسام المختلفة في طبائعها وصفاتها وألوانها وأشكالها وطعومها مع تساوي تأثيرات الطبائع والنجوم والفصول الأربعة والطبائع الأربع[2]، يدل على أنها إنما حدثت بتدبير الحكيم الرحيم المختار القادر لا بتدبير الطبائع والعناصر"[3].

الاختلاف في الشكل واللون والصفة إلخ، يرجع إلى العوامل الوراثية.

ولكل من الشمس والقمر تأثير كبير على الحياة على الأرض سواء حياة النبات أو الحيوان أو الإنسان. فللقمر بصفة خاصة دور هام فى تحديد مواقيت العمليات الزراعية. ويحتاج النبات إلى الضوء للكي ينمو، ويحصل النبات على هذا الضوء بشكل طبيعى من خلال الشمس. أما عن مواعيد زراعة المحاصيل المختلفة ومواعيد الإزهار وظهور الثمار ومواعيد الحصاد فنعتمد فى ذلك على الأشهر الشمسية والسنة الشمسية والتى يختلف فيها مكان الشمس فى السماء من فصل إلى فصل.[4]

---

[1] للمزيد انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (10/ 431).

[2] الهوائية (البرودة) والنارية (الحرارة) والمائية (الرطوبة) والترابية (اليبوسة).

[3] انظر أيضًا: (19/ 3- 5) في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ الرعد: ٣. وانظر أيضًا: (19/ 194) في قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ١١.

[4] http://mazra3a.blogspot.com/2008/09/blog-post.html.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"ورابعها: أنك قد تجد الطبائع الأربع حاصلة في الفاكهة الواحدة، فالأترنج قشره حار يابس، ولحمه بارد رطب، وحماضه بارد يابس، وبذره حار يابس، وكذلك العنب قشره وعجَمه بارد يابس، وماؤه ولحمه حار رطب، فتولد هذه الطبائع المضادة والخواص المتنافرة عن الحبة الواحدة لابد وأن يكون بإيجاد الفاعل المختار.

وخامسها: أنك تجد أحوال الفواكه مختلفة فبعضها يكون اللب في الداخل والقشر في الخارج كما في الجوز واللوز وبعضها يكون الفاكهة المطلوبة في الخارج، وتكون الخشبة في الداخل كالخوخ والمشمس، وبعضها يكون النواة لها لب كما في نوى المشمش والخوخ، وبعضها لا لب له، كما في نوى التمر وبعض الفواكه لا يكون له من الداخل والخارج قشر، بل يكون كله مطلوبًا كالتين، فهذه أحوال مختلفة في هذه الفواكهوأيضًا هذه الحبوب مختلفة في الأشكال والصور فشكل الحنطة كأنه نصف دائرة، وشكل الشعير كأنه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما، وشكل العدس كأنه دائرة، وشكل الحمص على وجه آخر، فهذه الأشكال المختلفة لابد وأن تكون لأسرار وحكم علم الخالق أن تركيبها لا يكمل إلا على ذلك الشكل وأيضًا فقد أودع الخالق تعالى في كل نوع من أنواع الحبوب خاصية أخرى ومنفعة أخرى وأيضًا فقد تكون الثمرة الواحدة غذاء لحيوان وسمًا لحيوان آخر؛ فاختلاف هذه الصفات والأشكال والأحوال مع اتحاد الطبائع وتأثيرات الكواكب يدل على أن كلها إنما حصلت بتخليق الفاعل المختار الحكيم

الثمرة في علم النبات هي: التركيب الناتج عن نمو الكيس الجنيني في الزهرة وتضخم المبيض بعد عملية الإخصاب.. والمعلوم أن الزهرة عادة تتكون من المحيطات غير الأساسية التي لا تشترك اشتراكًا مباشرًا في عمليتي التلقيح والإخصاب –مثل الكأس والتويج– والمحيطات الأساسية التي تشترك في عملية التلقيح والإخصاب، وهما أعضاء التذكير وما تنتجه من حبوب لقاح وأعضاء التأنيث وما تحتوي عليه من بويضات مؤنثة. ويتكون عضو التأنيث في الزهرة من المبيض (Ovary) بداخله البويضات المؤنثة والقلم (Style) والمتاع (Stigma). ويتكون عضو التذكير في الزهرة من الخيط والمتك (Anther). عندما تسقط حبوب اللقاح الناتجة من متك عضو التذكير على الميسم للنبات الموافق فإن حبة اللقاح تنبت وتعطي أنبوب لقاح يدخل إلى المبيض عبر القلم ويتم التخصيب للبويضات. بعد إتمام عملية الإخصاب يبدأ المبيض في تكوين البذور والحبوب والثمار التي تحمل داخلها الصفات الوراثية الخليطة للنبات والناتجة من الجزيئات الوراثية في حبوب اللقاح و المبيض[1].

"وسادسها: أنك إذا أخذت ورقة واحدة من أوراق الشجرة وجدت خطًا واحدًا مستقيمًا في وسطها، كأنه بالنسبة إلى تلك الورقة كالنخاع بالنسبة إلى بدن الإنسان، وكما أنه ينفصل من النخاع أعصاب كثيرة يمنة ويسرة في بدن الإنسان. ثم لا يزال ينفصل عن كل شعبة شعب أخر، ولا تزال تستدق حتى تخرج عن الحس والأبصار بسبب الصغر، فكذلك في تلك الورقة قد ينفصل عن ذلك الخط الكبير الوسطاني خطوط منفصلة، وعن كل واحد منها خطوط مختلفة أخرى أدق من الأولى، ولا يزال يبقى على هذا المنهج حتى تخرج تلك الخطوط عن الحس والبصر، والخالق تعالى إنما فعل ذلك حتى أن القوى الجاذبة المركوزة في جرم تلك الورقة تقوى على

[1] نظمي خليل أبوالعطا موسى، «انظُرُواْ إِلى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ: نظرة إيمانية»، مقال منشور على: http://www.nazme.net/ar/index.php?p=show_articles&id=867.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية في تلك المجاري الضيقة، فلما وقفت على عناية الخالق في إيجاد تلك الورقة الواحدة علمت أن عنايته في تخليق جملة تلك الشجرة أكمل، وعرفت أن عنايته في تكوين جملة النبات أكمل

الأوراق (Leaves) هى: إحدى الأعضاء الهامة فى النبات . تستخدم فى تكوين الغذاء عن طريق عملية التمثيل الضوئى ، كما تستخدم فى التنفس والنتح اللذ ين يساعدان فى إيجاد قوة شد هائلة داخل الأوعية الناقلة للحاء فى النبات ، وتتسبب فى معظم الأحيان في دخول كميات كبيرة من الماء من التربة إلى الشعيرات الج ذرية، كما تساعد على خفض حرارة الجو حول النباتات نتيجة لعملية النتح.

تتكون الورقة من ثلاثة أجزاء عادة، هي: القاعدة (Base) والعنق (Petiol or Stalk) والنصل (Blade or Lamina) وهو الجزء الأهم، لأنه مختص بعملية البناء الضوئي اللازمة لتصنيع الغذاء العضوي، وتنتشر في أرجاء النصل شبكة معجزة من العروق الورقية تتكون من عرق ظاهر رئيس وكبير في وسط الورقة، وكأنه امتداد لعنق الورقة المعنقة، ويعرف هذا العرق الرئيس بالعرق الوسطي (Midrib) يمتد بطول النصل على امتداد واستقامة العنق، ويبرز العرق الوسطي قليلًا على السطح السفلي للورقة مع تقعر قليل على سطحها العلوي، وتخرج من هذا العرق الوسطي عروقًا جانبية (Lateral Veins) أدق منه وأقل بروزًا ووضوحًا، تتجه نحو حافة الورقة بميل قليلًا إلى أعلى، وقد تتفرع العريقات مرة أخرى أو أكثر من مرة ثم تلتقي في النهاية وتتشابك مكونة جهازًا توصيليًا معجزًا، وظيفته نقل العصارة من مختلف أجزاء الورقة إليها. ويختلف هذا التفرع فى ذات الفلقتين عن نباتات ذات الفلقة الواحدة. ففى الأولى يكون التعريق شبكيًا وفى الثانية يكون التعريق متوازيًا عرضيًا كما فى الموز[1].

"ثم إذا عرفت أنه تعالى إنما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان علمت أن عنايته بتخليق الحيوان أكمل، ولما علمت أن المقصود من تخليق جملة الحيوانات هو الإنسان علمت أن عنايته في تخليق الإنسان أكمل، ثم إنه تعالى إنما خلق النبات والحيوان في هذا العالم ليكونا غذاء ودواء للإنسان بحسب جسده والمقصود من تخليق الإنسان هو المعرفة والمحبة والخدمة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

فانظر أيها المسكين بعين رأسك في تلك الورقة الواحدة من تلك الشجرة، واعرف كيفية خلقة تلك العروق والأوتار فيها، ثم انتقل من مرتبة إلى ما فوقها حتى تعرف أن المقصود الأخير منها حصول المعرفة والمحبة في الأرواح البشرية، فحينئذ ينفتح عليك باب من المكاشفات لا آخر لها"[3].

---

[1] محمد حامد إدريس، موسوعة «فسيولوجيا النبات»، الجزء الأول: مراحل النمو والتطور:
http://www.alhadeeqa.com/vb/gardens/g12080/
نظمي خليل أبوالعطا موسى، «وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا - رؤية علمية»، مقال منشور على:
http://www.quran-m.com/firas/arabicold/print_details.php?page=show_det&id=2078.

[2] الذاريات: ٥٦.

[3] 13/ 75، 76.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مد الأرض

يرجح الإمام هنا أن المقصود بمد الأرض: جعلها بهذا الحجم المخصوص لها.

وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا الرعد: ٣

قال رحمه الله:

"الاستدلال بخلقه الأرض وأحوالها من وجوه:

الأول: أن الشيء إذا تزايد حجمه ومقداره صار كأن ذلك الحجم وذلك المقدار يمتد، فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ إشارة إلى أن الله سبحانه هو الذي جعل الأرض مختصة بذلك المقدار المعين الحاصل له لا أزيد ولا أنقص، والدليل عليه أن كون الأرض أزيد مقدارًا مما هو الآن وأنقص منه أمر جائز ممكن في نفسه، فاختصاصه بذلك المقدار المعين لابد أن يكون بتخصيص وتقدير[1].

الثاني: قال أبو بكر الأصم[2]: المد هو البسط إلى ما لا يدرك منتهاه، فقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ يشعر بأنه تعالى جعل حجم الأرض حجمًا عظيمًا لا يقع البصر على منتهاه، لأن الأرض لو كانت أصغر حجمًا مما هي الآن عليه لما كمل الانتفاع به.

والثالث: قال قوم: كانت الأرض مدورة فمدها ودحا من مكة من تحت البيت فذهبت كذا وكذا، وقال آخرون: كانت مجتمعة عند البيت المقدس فقال لها اذهبي كذا وكذا.

اعلم أن هذا القول إنما يتم إذا قلنا الأرض مسطحة لا كرة، وأصحاب هذا القول احتجوا عليه بقوله: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾[3]. فإن قالوا: وقوله: ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ ينافي كونها كرة، فكيف يمكن مدها؟ قلنا: لا نسلم أن الأرض جسم عظيم، والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح، والتفاوت الحاصل بينه وبين السطح لا يحصل إلا في علم الله، ألا ترى أنه قال: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4]، فجعلها أوتادًا مع أن العالم من الناس يستقرون عليها، فكذلك ههنا.

---

[1] الذي عليه المفسرون أن المقصود من مدّ الأرض: بسطها لتمكّن من السّير عليها والانتفاع بمنافعها. انظر: وهبة الزحيلي، *التفسير المنير*، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2، 1418)، 13/ 102.

[2] أبو بكر الأصم (ت نحو 225هـ/ نحو 840م) هو:

عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الاصم. فقيه معتزلي مفسر، قال ابن المرتضى: كان من أفصح الناس وأفقههم وأورعهم، خلا أنه كان يخطئ عليا عليه السلام في كثير من أفعاله ويصوب معاوية في بعض أفعاله. وقال القاضي عبد الجبار: كان جليل القدر يكاتبه السلطان . وله: (تفسير الأصول)، و(مناظرات مع ابن الهذيل العلاف). الزركلي، *الأعلام*، (3/ 323).

[3] النازعات: ٣٠.

[4] النبأ: ٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والثاني: أن هذه الآية إنما ذكرت ليستدل بها على وجود الصانع، والشرط فيه أن يكون ذلك أمرًا مشاهدًا معلومًا حتى يصح الاستدلال به على وجود الصانع، وكونها مجتمعة تحت البيت أمر غير مشاهد ولا محسوس، فلا يمكن الاستدلال به على وجود الصانع، فثبت أن التأويل الحق هو ما ذكرناه[1].

[1] 19/ 3. وانظر أيضًا: (19/ 141) في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا ﴾ الحجر: ١٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

[ثلاثة مواضع]

الجبال الرواسي

يتكلم الإمام هنا على تكوين الجبال وتصور كونها رواسي.

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ الرعد: ٣

وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ الحجر: ١٩

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ النحل: ١٥

قال رحمه الله:

"﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ من فوقها ثابتة باقية في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها[1]... واعلم أن الاستدلال بوجود الجبال على وجود الصانع القادر الحكيم من وجوه:

الأول: أن طبيعة الأرض واحدة، فحصول الجبل في بعض جوانبها دون البعض لابد وأن يكون بتخليق القادر الحكيم.

قالت الفلاسفة: هذه الجبال إنما تولدت لأن البحار كانت في هذا الجانب من العالم فكانت تتولد في البحر طينًا لزجًا ثم يقوي تأثير الشمس فيها فينقلب حجرًا كما يشاهد في كوز الفقاع، ثم إن الماء كان يغور ويقل فيتحجر البقية، فلهذا السبب تولدت هذه الجبال.

قالوا: وإنما كانت البحار حاصلة في هذا الجانب من العالم لأن أوج الشمس وحضيضها[2] متحركان، ففي الدهر الأقدم كان حضيض الشمس في جانب الشمال، والشمس متى كانت في حضيضها كانت أقرب إلى الأرض، فكان التسخين أقوى وشدة السخونة توجب انجذاب الرطوبات، فحين كان الحضيض في جانب الشمال كانت البحار في جانب الشمال، والآن لما انتقل الأوج إلى جانب الشمال والحضيض إلى جانب الجنوب، انتقلت البحار إلى جانب الجنوب، فبقيت هذه الجبال في جانب الشمال.

حاصل هذا كلام القوم في هذا الباب، وهو ضعيف من وجوه:

---

[1] انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (9/ 69).

[2] الأوج climax, apogee عند أهل الهيئة يطلق على معنيين: أحدهما نقطة مشتركة بين ملتقى السطحين المحدّبين من الفلكين، أحدهما سطح الخارج المركز الذي هو قد يسمّى بفلك الأوج أيضًا، والآخر سطح الفلك الذي هو أي الخارج في ثخنه، وسمّيت به لكونها أبعد على الخارج من مركز الفلك الذي هو في ثخنه.

والحضيض perigee عند أهل الهيئة هو: نقطة مقابلة للأوج، وهي نقطة مشتركة بين ملتقى السطحين المقعّرين من الفلكين أحدهما سطح الخارج المركز والآخر سطح الفلك الذي هو في ثخنه.. وأمّا وجه التسمية بالحضيض مطلقًا فظاهر، لأنّ هذه النقطة أقرب إلينا بالنسبة إلى نقطة الأوج فتكون أسفل منها. *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، (1/ 288، 681).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأول: أن حصول الطين في البحر أمر عام، ووقوع الشمس عليها أمر عام، فلم وصل هذا الجبل في بعض الجوانب دون البعض؟!

والثاني: وهو أنا نشاهد في بعض الجبال كأن تلك الأحجار موضوعة سافا فسافًا[١]، فكأن البناء لبنات كثيرة موضوع بعضها على بعض، ويبعد حصول مثل هذا التركيب من السبب الذي ذكروه".

يقول علماء الجيولوجيا إن تكوين الجبال على سطح الأرض إنما تم بطريقتين: إما بفعل البراكين التي ترفع طبقات الأرض السفلى إلى أعلى، وإما أن تكون بفعل عمليات التعرية التي تسبب الترسبات الصخرية على الشواطئ بواسطة الأنهار. وهناك "نظرية" تقول إن هذا تم بواسطة انهيار مئات الآلاف من النيازك على الأرض وبأحجام كبيرة، وذلك في مرحلة تكوين الأرض[٢].

"والوجه الثاني من الاستدلال بأحوال الجبال على وجود الصانع ذي الجلال: ما يحصل فيها من معادن الفلزات السبعة ومواضع الجواهر النفيسة، وقد يحصل فيها معادن الزاجات والأملاح، وقد يحصل فيها معادن النفط والقير والكبريت، فكون الأرض واحدة في الطبيعة، وكون الجبل واحدًا في الطبع، وكون تأثير الشمس واحدًا في الكل، يدل دليلًا ظاهرًا على أن الكل بتقدير قادر قاهر متعال عن مشابهة المحدثات والممكنات"[٣].

من دلائل القدرة الإلهية هنا: التباين في أحوال الجبال وألوانها وأنواعها، رغم أنها ترجع أصلًا إلى أرض واحدة كانت رتقًا مع السموات[٤].

"ثبت بالدلائل اليقينية أن الأرض كرة وثبت أن هذه الجبال على سطح هذه الكرة جارية مجرى خشونات تحصل على وجه هذه الكرة. إذا ثبت هذا فنقول:

لو فرضنا أن هذه الخشونات ما كانت حاصلة؛ بل كانت الأرض كرة حقيقية خالية عن الخشونات والتضريسات لصارت بحيث تتحرك بالاستدارة بأدنى سبب، لأن الجرم البسيط المستدير إما أن يجب كونه متحركًا بالاستدارة على نفسه، وإن لم يجب ذلك عقلًا إلا أنه بأدنى سبب يتحرك على هذا الوجه [٥]. أما لما حصل على ظاهر سطح كرة الأرض هذه الجبال وكانت كالخشونات الواقعة على وجه الكرة فكل واحد من هذه الجبال إنما يتوجه بطبعه نحو مركز العالم، وتوجه ذلك الجبل نحو مركز العالم بثقله العظيم وقوته الشديدة يكون جاريًا مجرى الوتد الذي يمنع كرة الأرض من الاستدارة، فكان تخليق هذه الجبال على وجه الأرض كالأوتاد المغروزة في الكرة المانعة لها عن الحركة المستديرة، فكانت مانعة للأرض من الميد والميل والاضطراب، بمعنى: أنها منعت الأرض من الحركة المستديرة، فهذا ما وصل إليه بحثي في هذا الباب، والله أعلم بمراده[٦]".

---

[١] السافُ في البناء: كلُّ صَفٍّ من اللَّبِن، يقال: سافٌ من البناء وسافانِ وثلاثة آسُف، وهي السفوف. *لسان العرب*، (9/ 164/ سوف).

[٢] انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (9/ 69، 70).

[٣] 19/ 3، 4.

[٤] انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (9/ 93).

[٥] ثبت أن الأرض متحركة، والجبال لا تمنعها من هذه الحركة، لأن حركتها تكون في فضاء.

[٦] 20/ 9.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جعل الله الجبال أوتادًا في باطن الأرض كي تثبت القشرة الأرضية والقارات وتمنعها من أن تطوف أثناء دوران الأرض [1].والجبال ليست هذه الارتفاعات السطحية فقط، بل لها أجزاء أخرى تعرف باسم جذور الجبال تمتد تحت الأرض حوالي 10 - 15 ضعف ارتفاعها[2].

وباطن الأرض به مواد منصهرة وسائلة، والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس.. فإذا لم يكن هناك جبال رواسي، لتشققت الأرض ومادت واضطربت ولم تكن صالحة للحياة. فكانت هذه الجبال الراسيات موزعة على الأرض كلها توزيعًا محكمًا دقيقًا من لدن حكيم عليم.

[1] انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى*، (9/ 73، 74).
[2] *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، (ص: 255).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اختلاف النباتات والماء واحد

يستدل الإمام بالآية لنفي أن يكون حدوث الحوادث في هذا العالم لأجل الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية؛ الأمر الذي كان يعتقده الفلاسفة.

وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِ الرعد: ٤

قال رحمه الله:

"اعلم أن المقصود من هذه الآية: إقامة الدلالة على أنه لا يجوز أن يكون حدوث الحوادث في هذا العالم لأجل الاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية[1]، وتقريره من وجهين:

الأول: أنه حصل في الأرض قطع مختلفة بالطبيعة والماهية ، وهي مع ذلك متجاورة ، فبعضها تكون سبخية، وبعضها تكون رخوة، وبعضها تكون صلبة، وبعضها تكون منبتة، وبعضها تكون حجرية أو رملية، وبعضها يكون طينًا لزجًا؛ ثم إنها متجاورة، وتأثير الشمس وسائر الكواكب في تلك القطع على السوية، فدل هذا على أن اختلافها في صفاتها بتقدير العليم القدير.

والثاني: أن القطعة الواحدة من الأرض تسقى بماء واحد، فيكون تأثير الشمس فيها متساويًا، ثم إن تلك الثمار تجيء مختلفة في الطعم واللون والطبيعة والخاصية، حتى إنك قد تأخذ عنقودًا من العنب فيكون جميع حباته حلوة نضيجة إلا حبة واحدة؛ فإنها بقيت حامضة يابسة، ونحن نعلم بالضرورة أن نسبة الطباع والأفلاك للكل على السوية، بل نقول ههنا ما هو أعجب منه، وهو: أنه يوجد في بعض أنواع الورد ما يكون أحد وجهيه في غاية الحمرة والوجه الثاني في غاية السواد، مع أن ذلك الورد يكون في غاية الرقة والنعومة، فيستحيل أن يقال وصل تأثير الشمس إلى أحد طرفيه دون الثاني، وهذا يدل دلالة قطعية على أن الكل بتدبير الفاعل المختار لا بسبب الاتصالات الفلكية"[2].

"إن النظرة الشاملة لصفات التربة الطبيعية والكيمائية والحيوية إن دلت على شيء فإنما تدل على قدرة الخالق، وروعة الخلق. فالأرض كما يقول الزارعون بحق تختلف من شبر إلى شبر"[3].

---

[1] تستكمل الآية ذكرَ الآيات الدالة على كمال قدرة الله سبحانه وبديع صنعه.

[2] 19/ 6.

[3] تفسير المنتخب على هذه الآية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انتقال الظلال عن الأيمان والشمائل

يشير الإمام هنا إلى الإعجاز في تدبير الله سبحانه للأضواء والظلال، وخضوعها له سبحانه.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ النحل: ٤٨

قال رحمه الله:

"لما كانت الرؤية ههنا بمعنى النظر وُصلت بـ(إلى)، لأن المراد به الاعتبار ؛ والاعتبار لا يكون بنفس الرؤية حتى يكون معها نظر إلى الشيء وتأمل لأحواله

وقوله: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾، قال أهل المعاني: أراد من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم، ولفظ الآية يشعر بهذا القيد، لأن قوله: ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ يدل على أن ذلك الشيء كثيف يقع له ظل على الأرض".

تكوّن الظل هو أحد نتائج انتشار الضوء في خطوط مستقيمة، ويطلق تعبير الظل على احتجاز النور عن منطقة ما بوجود حاجز معتم يعترض مسار موجات هذا النور (الضوء المرئي) القادم من أحد مصادر الضوء في اتجاه واحد[1].

"وقوله: ﴿يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ﴾، إخبار عن قوله ﴿شَيْءٍ﴾ وليس بوصف له. ويتفيأ: يتفعل، من الفيء. يقال: فاء الظل يفيء فيئًا إذا رجع وعاد بعد ما نسخه ضياء الشمس وأصل الفيء الرجوع[2]...

أما قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾، ففيه بحثان:

البحث الأول: في المراد باليمين والشمائل قولان:

القول الأول: أن يمين الفلك هو المشرق، وشماله هو المغرب. والسبب في تخصيص هذين الاسمين بهذين الجانبين أن أقوى جانبي الإنساني يمينه ومنه تظهر الحركة القوية، فلما كانت الحركة الفلكية اليومية آخذة من المشرق إلى المغرب لا جرم كان المشرق يمين الفلك والمغرب شماله.

إذا عرفت هذا فنقول: إن الشمس عند طلوعها إلى وقت انتهائها إلى وسط الفلك تقع الإظلال إلى الجانب الغربي، فإذا انحدرت الشمس من وسط الفلك إلى الجانب الغربي وقع الإظلال في الجانب الشرقي، فهذا هو المراد من تفيؤ الظلال من اليمين إلى الشمال وبالعكس وعلى هذا التقدير، فالإظلال في أول النهار تبتدىء من يمين الفلك على الربع الغربي من الأرض ومن وقت انحدار الشمس من وسط الفلك تبتدىء الإظلال من شمال الفلك واقعة على الربع الشرقي من الأرض

---

[1] يحيى وزيرى، «إعجاز وصف الظل والظلال في القرآن الكريم»، http://quran-m.com/container.php?fun=artview&id=964.

[2] تفيؤ الظلال: تنقلها من جهات بعد شروق الشمس وبعد زوالها. *التحرير والتنوير*، (14/ 169).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القول الثاني: أن البلدة التي يكون عرضها أقل من مقدار الميل فإن في الصيف تحصل الشمس على يسارها وحينئذ يقع الإظلال على يمينهم، فهذا هو المراد من انتقال الإظلال عن الأيمان إلى الشمائل وبالعكس

يمكن أن تتضح حركة الظلال بصورة عامة، بمراقبة ظل جسم أو شاخص معرض للإشعاع الشمسي، حيث نرى أن الشمس عند طلوعها صباحًا من جهة الشرق وحتى منتصف النهار (الزوال)، فإن ظلال الأجسام تقع جهة الغرب، فإذا اتجهت الشمس من وسط الفلك إلى الجانب الغربي (جهة الغرب) وقعت ظلال الأجسام في الجانب الشرقي.

"البحث الثاني: لقائل أن يقول: ما السبب في أن ذُكر اليمين بلفظ الواحد والشمائل بصيغة الجمع؟... قال الفراء: كأنه إذا وحد ذهب إلى واحدة من ذوات الأظلال وإذا جمع ذهب إلى كلها، وذلك لأن قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ﴾ لفظه واحد ومعناه الجمع، على ما بيناه، فيحتمل كلا الأمرين...

إذا فسرنا اليمين بالمشرق، كانت النقطة التي هي مشرق الشمس واحدة بعينها فكانت اليمين واحدة؛ وأما الشمائل فهي عبارة عن الانحرافات الواقعة في تلك الأظلال بعد وقوعها على الأرض وهي كثيرة، فلذلك عبر الله تعالى عنها بصيغة الجمع، والله أعلم"[1].

[1] 20/ 33 - 36.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث آيات حول الظواهر بين السماء والأرض

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إمكانية وجود عوالم أخرى

يستهلّ الإمام الرازي رحمه الله تفسيره بالحمد والصلاة على النبي ﷺ وآله وصحبه رضي الله عنهم، ثم يقدِّم لسورة الفاتحة، موضحًا سبب كتابته لهذه المقدمة:

"أما بعد، فهذا كتاب مشتمل على شرح بعض مارزقنا الله تعالى من علوم سورة الفاتحة... وهذا الكتاب مرتب على مقدمة وكتب. أما المقدمة ففيها فصول.

الفصل الأول: في التنبيه على علوم هذه السورة على سبيل الإجمال

اعلم أنه مر على لساني في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة؛ فاستبعد هذا بعض الحساد وقوم من أهل الجهل والغي والعناد، وحملوا ذلك على ما ألفوهمن أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعاني والكلمات الخالية عن تحقيق المعاقد والمباني، فلما شرعت في تصنيف هذا الكتاب قدمت هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممكن الحصول قريب الوصول"[1].

وبينما كان يُفصّل في مقدمة سورة الفاتحة العلوم الممكن استنباطها من السورة.. تعرّض لمسألة مهمة، وهي إمكانية وجود عوالم أخرى غير عالمنا:

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الفاتحة: ٢

قال رحمه الله:

"إن العالمين عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى، وهي[2] على ثلاثة أقسام: المتحيزات، والمفارِقات، والصفات.

أما المتحيزات فهي إما بسائط أو مركبات. أما البسائط فهي الأفلاك والكواكب والأمهات، وأما المركبات فهي المواليد الثلاثة[3].

واعلم أنه لم يقم دليل على أنه لا جسم إلا هذه الأقسام الثلاثة، وذلك لأنه ثبت بالدليل أنه حصل خارج العالم خلاء لا نهاية له، وثبت بالدليل أنه تعالى قادر على جميع الممكنات، فهو تعالى قادر على أن يخلق ألف ألف عالم خارج العالم بحيث يكون كل واحد من تلك العوالم أعظم وأجسم من هذا العالم ويحصل في كل واحد منها مثل ما حصل في هذا العالم من العرش والكرسي والسموات والأرضين والشمس والقمر

ودلائل الفلاسفة في إثبات أن العالم واحد دلائل ضعيفة ركيكة مبنية على مقدمات واهية.

ومعلوم أن البحث عن هذه الأقسام التي ذكرناها للمتحيزات مشتمل على ألوف ألوف من المسائل؛ بل الإنسان لو ترك الكل وأراد أن يحيط علمه بعجائب المعادن المتولدة في أرحام الجبال من الفلزات والأحجار الصافية

---

[1] 1/ 17.

[2] أي: هذه الموجودات الحادثة.

[3] أي: الجمادات والحيوانات والنباتات.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأنواع الكباريت والزرانيخ والأملاح، وأن يعرف عجائب أحوال النبات مع ما فيها من الأزهار والأنوار والثمار، وعجائب أقسام الحيوانات من البهائم والوحوش والطيور والحشرات — لنفد عمره في أقل القليل من هذه المطالب ولا ينتهي إلى غورها، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾[1]، وهي بأسرها وأجمعها داخلة تحت قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾"[2].

يثبت علماء الفلك في عصرنا أن المجموعة الشمسية –التي نحن فيها– ليست في هذا العالم شيئًا مذكورًا؛ فهناك بلايين المجرّات الأخرى. يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي، بعد أن أكد أن العالم في آية الفاتحة ليس هو مجرد عالم الإنس والجن أو عالم الحيوان والنبات والجماد، ولكن هو العالم الفلكي الذي يتبادر إلى الذهن من اللفظ

> "فما مبلغ ما وصل إليه العلم الحديث في شأن هذا السر العظيم الذي أشار إليه الخالق سبحانه بكلمة ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، هو سر وجود الحياة في أرض غير أرضنا في عالم كعالمنا؟ كل ما وصل إليه العلم من هذا هو أن وجود الحياة على غير كوكبنا هذا أمر ممكن، بل أمر راجح. ومن يرد الاستزادة من وجهة العلماء في هذا الأمر فليقرأ فصل: (الحياة في العوالم الأخرى) من كتاب «عوالم لا نهاية لها» للفلكي الملكي الإنجليزي هـ. سبنسر جونز"[3].

وعلوم الطبيعة والفلك تدل على أن حجم هذا الكون آخذ في الازدياد، وتندفع أجزاؤه ومكوناته إلى الأمام شيئًا فشيئًا بسرعة مذهلة. مما يدل على صحة تصور الإمام الرازي. والكون كله بعوالمه المختلفة، يدلل على عظمة الخالق وجلال قدرته ﷻ[4].

---

[1] لقمان: ٢٧.

[2] 1/ 20، 21. وانظر أيضًا: (18/ 184) في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ يوسف: 105.

[3] الغمراوي، *الإسلام في عصر العلم* ، (ص: 225)، والكتاب اسمه بالإنجليزية: Life in other Worlds without end فصل: worlds.

[4] انظر: مجدي فتحي السيد، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، (ص: 2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حكمة تعيين القبلة

يذكر الإمام حكمًا رائعة في تعيين القبلة.

سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ البقرة: ١٤٢

قال رحمه الله:

"أما تعيين القبلة في الصلاة فقد ذكروا فيه حكمًا:

أحدها: أن الله تعالى خلق في الإنسان قوة عقلية مدركة للمجردات والمعقولات، وقوة خيالية متصرفة في عالم الأجساد، وقلما تنفك القوة العقلية عن مقارنة القوة الخيالية ومصاحبتها، فإذا أراد الإنسان استحضار أمر عقلي مجرد وجب أن يضع له صورة خيالية يحسبها حتى تكون تلك الصورة الخيالية معينة على إدراك تلك المعاني العقلية، ولذلك فإن المهندس إذا أراد إدراك حكم من أحكام المقادير، وضع له صورة معينة وشكلًا معينًا ليصير الحس والخيال معينين للعقل على إدراك ذلك الحكم الكلي. ولما كان العبد الضعيف إذا وصل إلى مجلس الملك العظيم، فإنه لا بد وأن يستقبله بوجهه، وأن لا يكون معرضًا عنه، وأن يبالغ في الثناء عليه بلسانه، ويبالغ في الخدمة والتضرع له، فاستقبال القبلة في الصلاة يجري مجرى كونه مستقبلًا للملك لا معرضًا عنه، والقراءة والتسبيحات تجري مجرى الثناء عليه والركوع والسجود يجري مجرى الخدمة.

وثانيها: أن المقصود من الصلاة حضور القلب، وهذا الحضور لا يحصل إلا مع السكون وترك الالتفات والحركة، وهذا لا يتأتى إلا إذا بقي في جميع صلاته مستقبلًا لجهة واحدة على التعيين، فإذا اختص بعض الجهات بمزيد شرف في الأوهام، كان استقبال تلك الجهة أولى.

وثالثها: أن الله تعالى يحب الموافقة والألفة بين المؤمنين، وقد ذكر المنة بها عليهم، حيث قال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾ إلى قوله: ﴿إِخۡوَٰنٗا﴾[1]؛ ولو توجه كل واحد في صلاته إلى ناحية أخرى، لكان ذلك يوهم اختلافًا ظاهرًا، فعين الله تعالى لهم جهة معلومة، وأمرهم جميعًا بالتوجه نحوها، ليحصل لهم الموافقة بسبب ذلك. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحب الموافقة بين عباده في أعمال الخير.

ورابعها: أن الله تعالى خص الكعبة بإضافتها إليه في قوله: ﴿بَيۡتِيَ﴾[2]، وخص المؤمنين بإضافتهم بصفة العبودية إليه؛ وكلتا الإضافتين للتخصيص والتكريم، فكأنه تعالى قال: يا مؤمن أنت عبدي والكعبة بيتي والصلاة خدمتي، فأقبل بوجهك في خدمتي إلى بيتي وبقلبك إليّ.

وسادسها: قالوا: الكعبة سرة الأرض ووسطها، فأمر الله تعالى جميع خلقه بالتوجه إلى وسط الأرض في صلاتهم، وهو إشارة إلى أنه يجب العدل في كل شيء، ولأجله جعل وسط الأرض قبلة للخلق...

---

[1] آل عمران: ١٠٣.
[2] البقرة: ١٢٥، الحج: 26.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهذا جملة الوجوه المذكورة في هذا الباب، والتحقيق هو الأول»[1].

يرجح الإمام القول الأول فقط؛ ولا مانع من الأقوال الأخرى وهي ليست متعارضة. والأقوال الثلاثة الأولى تتكلم عن حكمة تعيين قبلة للصلاة، وهي ليست خاصة بتعيين الكعبة أو مكة؛ بل الكلام فيها على "توحيد استقبال وجهة معينة في الصلاة"؛ أما القولان الأخيران فهما عن تعيين الكعبة بذاتها.

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة صحة القول بأن الكعبة "سرة الأرض" أي في وسطها. وهو قول اشتهر عند المتقدمين، جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي: " جاء في الأخبار أن أول ما خلق الله في الأرض مكان الكعبة، ثم دحا الأرض من تحتها، فهي سرة الأرض ووسط الدنيا"[2].

أما الآن فثبت ذلك فعلًا، إذ " تقع الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ، والتي يتحدد موقعها الجغرافي بخط عرض 21 درجة و25 دقيقة شمالًا، وخط طول 39 درجة و49 دقيقة شرقًا"، كما توصلت الدراسات إلى أن مكة المكرمة هي مركز اليابسة للعالمين القديم والجديد[3].

---

(1) 4/ 92-94.
(2) معجم *البلدان*، (4/ 463).
(3) يحيى حسن وزيري ، «الكعبة المشرفة دراسة تحليلية للخصائص التصميمية»، مقال منشور على موقع المهندس: www.almohandes.org. وانظر: *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، (ص: 80-82).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كيفية تحديد القبلة

ثم يتكلم الإمام، في الآية نفسها، هنا على مسألة مهمة جدًا، وهي مسألة تحديد القبلة.

واستقبال القبلة شرط من شروط صحة الصلاة، ولذا اهتم به العلماء قديمًا وحديثًا، واجتهدوا في معرفة طرق تحديدها، حتى إن بعض الفقهاء قد أفردوا فصولًا في كتبهم لكيفية تحديد القبلة، كما فعل ابن قدامة في المغني.

قال رحمه الله:

"دلائل القبلة: اعلم أن الدلائل إما أرضية وهي الاستدلال بالجبال[1]، والقرى، والأنهار؛ أو: هوائية وهي الاستدلال بالرياح[2]؛ أو: سماوية وهي النجوم.

أما الأرضية والهوائية غير مضبوطة ضبطًا كليًا، فرب طريق فيه جبل مرتفع لا يعلم أنه على يمين المستقبل أو شماله أو قدامه أو خلفه، فكذلك الرياح قد تدل في بعض البلاد ولسنا نقدر على استقصاء ذلك، إذ كل بلد بحكم آخر في ذلك.

أما السماوية، فأدلتها منها تقريبية ومنها تحقيقية:

أما التقريبية فقد قالوا: هذه الأدلة إما أن تكون نهارية أو ليلية:

أما النهارية: فالشمس ، فلا بد وأن يراعى قبل الخروج من البلد أن الشمس عند الزوال أهي بين الحاجبين، أم هي على العين اليمنى أم اليسرى، أو تميل إلى الجبين ميلًا أكثر من ذلك. فإن الشمس لا تعدو في البلاد الشمالية هذه المواقع، وكذلك يراعى موقع الشمس وقت العصر، وأما وقت المغرب فإنما يعرف ذلك بموضع الغروب، وهو أن يعرف بأن الشمس تغرب عن يمين المستقبل، أو هي مائلة إلى وجهه أو قفاه، وكذلك يعرف وقت العشاء الآخرة بموضع الشفق، ويعرف وقت الصبح بمشرق الشمس، فكأن الشمس تدل على القبلة في الصلوات الخمس، ولكن يختلف حكم ذلك بالشتاء والصيف، فإن المشارق والمغارب كثيرة، وكذلك يختلف الحكم في هذا الباب بحسب اختلاف البلاد"[3].

النهارية تكون عن طريق الشمس

"وذلك عن طريق معرفة الجهة التي تشرق منها أو تغرب فيها، وبالتالي يمكن تحديد الجهات الأربع كلها (الشرق والغرب، الشمال والجنوب) ثم يتم تحديد اتجاه القبلة. فمن كان يعلم أن قبلته في جهة الشرق استقبل جهة الشرق، ومن كان يعلم أن قبلته في جهة الشمال جعل جهة الشرق على يمينه واستقبل جهة الشمال ... وهكذا.

---

[1] عادة ما تكون الجبال على هيئة سلاسل، تبدأ من الشمال إلى الجنوب أو من الجنوب إلى الشمال أو من الشرق إلى الغرب، وهكذا؛ وكذلك الأنهار.

[2] هناك رياح موسمية ، لها نظام محدد في كل منطقة ، تهب من الشمال إلى الجنوب باستمرار أو من الجنوب إلى الشمال أو من الشرق إلى الغرب...إلخ، يعرفها أهل الخبرة في هذا المجال.

[3] 4/ 115.

ولكن هذه الطريقة لا يستفيد منها إلا من يعلم اتجاه القبلة بالنسبة له، هل تقع في المشرق أو المغرب...إلخ؛ ولكنه فقط يحتاج إلى تحديد الجهات الأربع"[1].

ولأجل هذا عدّها الإمام من الدلائل التقريبية، إذ " يختلف حكم ذلك بالشتاء والصيف، فإن المشارق والمغارب كثيرة، وكذلك يختلف الحكم في هذا الباب بحسب اختلاف البلاد ". أما الآن فيمكن معرفتها تحديدًا عن طريق الشمس بما يعرف بـ"إشارة الظلال"، فقد

"أدى وقوع مكة المكرمة في المنطقة المدارية الاستوائية، أي في المنطقة التي تقع بين مدارى السرطان والجدي، وتحديدًا عند خط عرض 21 درجة و 25 دقيقة شمالًا وخط طول حوالي 39.5 درجة شرق جرينتش، إلى ارتباط مبانيها وبالتالي الكعبة المشرفة بظاهرة فلكية هامة، وهى تعامد الشمس عليها مرتين كل عام وقت صلاة الظهر (الزوال)، وذلك يومي 29 مايو و16 يوليو.

ويمكن الاستفادة من هذه الظاهرة الطبيعية لتحديد أو تصحيح اتجاه القبلة من كل البلاد والأماكن بنصف الكرة الأرضية المضاءة بالشمس في هذين اليومين، وتحديدًا لحظة الزوال الظهر الشرعي في الساعة 12 و 18 دقيقة حسب التوقيت المحلى لمدينة مكة المكرمة يوم 29 مايو، وكذلك في الساعة 12 و27 دقيقة في يوم 16 يوليو من كل عام، حيث تكون الشمس عمودية تمامًا على مكة المكرمة وينعدم ظل الشاخص فيها آنذاك.

وفى هذين التوقيتين بالضبط يمكن لكل بلد مقابلة التوقيت المحلى لها معهما، وعن طريق مراقبة ظل شاخص موضوع عموديًا على الأرض، فإن اتجاه القبلة يكون في الجهة المعاكسة لظل ذلك الشاخص آنذاك، حيث يشير امتداد ظل الشاخص إلى موقع القبلة التي تتعامد عليها الشمس في هذين الوقتين كدليل ومرشد عليها..

إن أسلوب تحديد اتجاه القبلة عن طريق الظلال، يعتبر أدق طريقة معروفة لتحديد اتجاه القبلة من أي مكان أو موقع بالكرة الأرضية، وهو ما يوضح أن اختيار موقع الكعبة المشرفة في مدينة مكة المكرمة، يتناسب تمامًا مع وظيفتها كقبلة يتم التوجه إليها في الصلاة، لأن التوجه للقبلة يستلزم التعرف إلى طرق علمية دقيقة تساعد على التوجه إليها من أي موقع أو مدينة بالكرة الأرضية"[2].

---

[1] *موقع الإسلام سؤال وجواب*، فتوى رقم (95241).
[2] يحيى حسن وزيرى، «الكعبة المشرفة دراسة تحليلية للخصائص التصميمية».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"وأما الليلية: فهو أن يستدل على القبلة بالكوكب الذي يقال له الجدي[1]، فإنه كوكب كالثابت لا تظهر حركته من موضعه، وذلك إما أن يكون على قفا المستقبل أو منكبه الأيمن من ظهره، أو منكبه الأيسر في البلاد الشمالية من مكة، وفي البلاد الجنوبية منها، كاليمن وما وراءها يقع في مقابلة المستقبل، فليعلم ذلك، وما عرفه ببلده فليعول عليه في الطريق كله، إلا إذا طال السفر؛ فإن المسافة إذا بعدت اختلف موقع الشمس، وموقع القُطْر، وموقع المشارق والمغارب إلى أن ينتهي في أثناء سفره إلى بلد، فينبغي أن يسأل أهل البصيرة أو يراقب هذه الكواكب وهو مستقبل محراب جامع البلد حتى يتضح له ذلك، فمها تعلم هذه الأدلة فله أن يعول عليها".

وردت بعض الآثار التي تفسر آية النحل (16) بالجدي خاصة. قال الإمام القرطبي في تفسيره لها:

> "قال ابن العربي: أما جميع النجوم فلا يهتدي بها إلا العارف بمطالعها ومغاربها، والفرق بين الجنوبي والشمالي منها ... وإنما الهدي لكل أحد بالجَدي والفَرْقَدَين؛ لأنها من النجوم المنحصرة المطالع الظاهرة السمت الثابتة في المكان، فإنها تدور على القطب الثابت دورانًا محصلًا، فهي أبدًا هدي الخلق في البَر إذا عميت الطرق، وفي البحر عند مجرى السفن، وفي القبلة إذا جهل السمت، وذلك على الجملة بأن تجعل القطب على ظهر منكبك الأيسر ، فما استقبلت فهو سمت الجهة. قلت: وسأل ابن عباس رسول الله ﷺ عن النجم فقال: "**هو الجدي**" عليه قبلتكم وبه تهتدون في بركم وبحركم"[2].

ونجم الجدي حاليًا هو نجم الشمال، وهو ألمع نجمٍ قريبٍ من أحد قطبي الكرة الأرضية. حيث إنه يَكون قريبًا من محور دوران السماء لدرجة أنه شبه ثابت، وبما أنه يَكون قريبًا قليلًا من الأفق فيُمكن معرفة الاتجاهات بواسطته (إلا في المناطق القريبة من أحد قطبي الكرة الأرضية فيكون نجم القطب عاليًا في السماء). ولذلك فقد كان له أهميّة كبيرة جدًا في العصور القديمة، وما زال أشهر نجوم السماء على الإطلاق بسبب هذا. ويمكن الاستدلال عليه بسهولة:

---

[1] نجم الجدي أو ألفا الدب الأصغر (Polaris) هو ألمع نجوم كوكبة الدب الأصغر ونجم الشمال الحالي، حيث إنه قريب جدًا من القطب السماوي الشمالي. الجدي هو نجم متعدد (ثلاثي) ويبعد عن الأرض مسافة 430 سنة ضوئية، وكتلته تبلغ ستة كتل شمسية . و نجم الجدي هو أكثر نجوم النصف الشمالي للكرة الأرضية شهرة بسبب أهميته لمعرفة الاتجاهات. والجدي هو عملاق عظيم يبلغ ضياؤه 1500 ضعف ضياء الشمس. ونجم الجدي هو نجم متغير.. حيث إن ضوءه يتغير بشكل ضئيل كل مدة قريبة من 4 أيام.

Turner, D. G.; Kovtyukh, V. V.; Usenko, I. A.; Gorlova, N. I. (2013). "The Pulsation Mode of the Cepheid Polaris". The Astrophysical Journal Letters 762: L8.

[2] هذا الأثر ذكره أبو حيان في *البحر المحيط*، (5/ 467)، قال: "ولو صح هذا لم يعدل أحد عنه"، كأنه يشير إلى عدم صحته.

والفرقدان: نجمان في السماء لا يغرُبانِ ، ولكنهما يطوفان بالجدي . *لسان العرب* ، (فرقد). والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به وهو المسمى (النجم القطبي) ، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه. *المعجم الوسيط*، (ص: 686).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إذ توجد كوكبتان لامعتان قريبتان من نجم الجدي حاليًا هما : الدب الأكبر وذات الكرسي، ومّما يجعل الأمر سهلًا أن هاتين الكوكبتين هما من الكوكبات أبدية الظهور. توجد سبع نجوم لامعة في كوكبة الدب الأكبر تُسمى «بنات نعش الكبرى»، اثنان من هذه النجوم السبعة يسميان الدليلين، وهما المراق والدبة. وقد أخذا اسمهما من إمكانيّة الاستدلال على موقع نجم الجدي بواسطتهما. وذلك بمد خط وهمي منهما بحيث يكونان على استقامة واحدة إلى نجم الجدي.

أيضًا يُمكن معرفة موقعه بواسطة كوكبة ذات الكرسي والتي تُشكل حرف (W). فإذا أخذنا الجهة اليُمنى من الكوكبة والتي تُشكل حرف (V) أكثر انتظامًا من الذي تشكله الجهة اليُسرى، ومددنا خطًا وهميًا من وسطها بحيث يكون على مسافة واحدة من كلا ضلعي حرف (V) فإنه سوف يَصل إلى نجم الجدي أيضًا[1].

والجدي دائمًا في جهة الشمال مع انحراف يسير إلى جهة الشرق، ولهذا يستدل به على اتجاه الشمال؛ وحينئذ يمكن أن تعرف جهة القبلة في أي موضع كنت.. فإذا كنت مثلًا في جهة الشرق عن الكعبة فإنك ستجعل الجدي على اليمين، وإذا كنت في الجنوب –في اليمن مثلًا– وقبلتك جهة الشمال ، تكون مواجهًا له أو مع انحراف إلى جهة اليمين ، وهكذا في أي موقع من الأرض يعرف اتجاه الجدي سيعرف اتجاه الشمال، ومنه تعرف اتجاه القبلة[2].

"وأما الطريقة اليقينية، وهي الوجوه المذكورة في كتب الهيئة:

قالوا: سمت القبلة نقطة التقاطع بين دائرة الأفق، وبين دائرة عظيمة تمر بسمت رؤسنا[3] ورؤوس أهل مكة، وانحراف القبلة قوس من دائرة الأفق ما بين سمت القبلة دائرة نصف النهار في بلدنا، وما بين سمت القبلة ومغرب الاعتدال تمام الانحراف.

قالوا: ويحتاج في معرفة سمت القبلة إلى معرفة طول مكة وعرضها، فإن كان طول البلد مساويًا لطول مكة وعرضها مخالف لعرض مكة، كان سمت قبلتها على خط نصف النهار، فإن كان البلد شماليًا فإلى الجنوب وإن كان جنوبيًا فإلى الشمالي، وأما إذا كان عرض البلد مساويًا لعرض مكة وطوله مخالفًا لطولها فقد يظن أن سمت قبلة ذلك البلد على خط الاعتدال؛ وهو ظن خطأ، وقد يمكن أيضًا في البلاد التي أطوالها وعروضها مخالفة لطول مكة وعرضها أن يكون سمت قبلتها مطلع الاعتدال وم غربه، وإذا كان كذلك فلا بد من استخراج قدر الانحراف ،

---

(1) Evans, N. R.; Schaefer, G.; Bond, H.; Bono, G.; Karovska, M.; Nelan, E.; Sasselov, D.(January 9, 2006). "Direct detection of the close companion of Polaris with the Hubble Space."

(2) مستفاد من: عبدالله العمار، (الفقه- المستوى الأول- درس: استقبال القبلة في الصلاة)، الأكاديمية الإسلامية المفتوحة: islamacademy.net.

(3) سمت الرأس (Zenith) في علم الفلك، هو: نقطة من الفلك ينتهي إليها الخط الخارج من مركز الأرض على استقامة قامة الشخص وتقابلها في آخر القطر الممتد في اتجاه القدمين إلى أسفل نقطة – النظير، ويتوقف موقع سمت الرأس والنظير على موضع الراصد على سطح الأرض، فإذا كان الراصد عند قطب الأرض الشمالي كان قطب السماء الشمالي في سمت رأسه، ويتعين النظير دائمًا باتجاه جاذبية الأرض. Dictionary.com, and Merriam-Webster

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولذلك طرق؛ أسهلها: أن يعرف الجزء الذي يسامت رؤس أهل مكة من فلك البروج[1] –وهو (زيج) من الجوزاء (وكج ح) من السرطان–، فيضع ذلك الجزء على خط وسط السماء في الاسطرلاب[2] المعمول لعرض البلد، ويعلم على المرئي علامة، ثم يدير العنكبوت[3] إلى ناحية المغرب إن كان البلد شرقيًا عن مكة –كما في بلاد خراسان والعراق– بقدر ما بين الطولين من أجزاء الخجرة[4]، ثم ينظر أين وقع ذلك الجزء من مقنطرات الارتفاع؛ فما كان فهو الارتفاع الذي عنده يسامت ذلك الجزء رؤوس أهل مكة، ثم يرصد مسامتة الشمس ذلك الجزء، فإذا انتهى ارتفاع الشمس إلى ذلك الارتفاع فقد سامتت الشمس رؤس أهل مكة، فينصب مقياسًا ويخط على ظل المقياس خطًّا من مركز العمود إلى طرف الظل، فذلك الخط خط الظل، فيبني عليه المحراب؛ فهذا هو الكلام في دلائل القبلة"[5].

وهذه هي الطريقة اليقينية التي اعتمدها الإمام الرازي، عن طريق استخدام الأسطرلاب. وقد اشتهرت هذه الأداة قديمًا في الملاحة العربية، إذ كانوا يستفيدون بها نهارًا مع الشمس وليلًا مع النجوم، ويمكن القول بأنها كانت بمثابة جهاز (GPS) الآن. تعددت أنواع الأسطرلاب، وكان كل نوع يسمى باسم من قام بتطويره. ويمكن الآن الاستفادة بالوسائل الحديثة في تحديد القبلة كالبوصلة والجوالات وغيرها من الأدوات التي تساعد في تحديد الاتجاهات.

---

[1] يعني: دائرة البروج (Zodiac).

[2] الأَسطُرلاب: جهاز استعمله المتقدمون في تعيين ارتفاعات الأجرام السماوية ومعرفة الوقت والجهات الأصلية. *المعجم الوسيط*، (ص: 17).

[3] العنكبوت: إحدى القطع الموجودة داخل الأسطرلاب، وهى قطعة كانت تمثل مدار الشمس في دائرة البروج.

[4] لعله جزء آخر من أجزاء الأسطرلاب، ولكني لم أجده.

[5] 4/ 115، 116.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اختلاف الليل والنهار

وهي من أنواع الدلائل التي ذكرها الإمام في هذه الآية.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"ذكروا للاختلاف تفسيرين:

أحدها: أنه افتعال من قولهم خلفه يخلفه إذا ذهب الأول وجاء الثاني، فاختلاف الليل والنهار تعاقبهما في الذهاب والمجيء، ومنه يقال: فلان يختلف إلى فلان ، إذا كان يذهب إليه ويجيء من عنده ، فذهابه يخلف مجيئه ومجيئه يخلف ذهابه، وكل شيء يجيء بعد شيء آخر فهو خلفه ؛ وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً ﴾[1].

والثاني: أراد اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والنور والظلمة والزيادة والنقصانقال الكسائي[2]: يقال لكل شيئين اختلفا هما خلفان.

وعندي فيه وجه ثالث ، وهو: أن الليل والنهار كما يختلفان بالطول والقصر في الأزمنة فهما يختلفان بالأمكنة، فإن عند من يقول الأرض كرة، فكل ساعة عينتها فتلك الساعة في موضع من الأرض صبح، وفي موضع آخر ظهر، وفي موضع ثالث عصر، وفي رابع مغرب، وفي خامس عشاء، وهلم جرا.

هذا إذا اعتبرنا البلاد المخالفة في الأطوال أما البلاد المختلفة بالعرض: فكل بلد تكون عرضه الشمالي أكثر كانت أيامه الصيفية أطول، ولياليه الصيفية أقصر، وأيامه الشتوية بالضد من ذلك. فهذه الأحوال المختلفة في الأيام والليالي بحسب اختلاف أطوال البلدان وعرضها أمر مختلف عجيب"[3].

أبدع الإمام في الكلام على معنى "اختلاف" الليل والنهار، حيث ذكر فيها معاني: تعاقب المجيء والذهاب، الزيادة والنقصان الزمني، وزاد: الاختلاف المكاني لليل والنهار؛ وهي حقًا آية عظيمة من آيات الله سبحانه في هذا الكون. وأشار إلى منافع هذا الاختلاف..

---

[1] الفرقان: ٦٢.

[2] الكسائي (ت 189هـ = 000 - 805 م)

علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، الكوفي، أبو الحسن الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. من أهل الكوفة. ولد في إحدى قراها. وتعلم بها. وقرأ النحو بعد الكبر، وتنقل في البادية، وسكن بغداد، وتوفي بالري، عن سبعين عامًا. وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين. له تصانيف، منها: (معاني القرآن)، و(المصادر)، و(الحروف)، و(القراءات)، و(المتشابه في القرآن)، و(ما يلحن فيه العوام). الزركلي، *الأعلام*، (4/ 283).

[3] 4 / 187- 189.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

منها: اختلاف مواقيت الصلاة.. وهذا من نعم الله تعالى، فما من وقت إلا وتجد صلاةً في موضع من مواضع الأرض. ومنها: طول النهار وقصر الليل صيفًا، والعكس شتاء؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾. القصص: ٧٣.

"والسبب فى اختلاف طول الليل والنهار هو: ميل المحور التى تدور حوله الأرض خلال اليوم على المحور التى تدور حوله خلال العام بالنسبة للشمس. ولقد قدرت هذه الزاوية بحوالى 23,5°. وينشأ عن ذلك اختلاف فى الفترة الزمنية بين شروق الشمس وغروبها عند خطوط العرض المختلفة على سطح الأرض. وبصفة عامة يتزايد طول الليل والنهار كلما اتجهنا إلى قطبى الأرض الشمالى والجنوبى، حيث يصل طول كل من الليل والنهار بالتبادل عند القطبين إلى ستة شهور. فإذا ما أشرقت الشمس على أحد القطبين فإنها تستمر مشرقة لمدة نصف عام، بينما تغرب وتختفى عن القطب الآخر خلال الفترة نفسها، وهلم جرا"[1].

[1] عبد الفتاح عبد العال جلال، *اختلاف الليل والنهار*، *موسوعة علوم الفلك والفضاء* www.smsec.com/ar/encyc/astronomy.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السنة والشهر واليوم، التكوين والفوائد

يتكلم الإمام هنا عن تقسيم الزمان وكيفيته، ثم عرّج بذكر المنافع الدينية والدنيوية لتقدير الزمان بالشهور.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ البقرة: ١٨٩

قال رحمه الله:

"اعلم أنه ﷻ جعل الزمان مقدرًا من أربعة أوجه السنة والشهر واليوم والساعة

أما السنة، فهي عبارة عن الزمان الحاصل من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك بحركتها الحاصلة عن خلاف حركة الفلك إلى أن تعود إلى تلك النقطة بعينها ؛ إلا أن القوم اصطلحوا على أن تلك النقطة نقطة الاعتدال الربيعي، وهو أول الحمل[1].

وأما الشهر، فهو عبارة عن حركة القمر من نقطة معينة من فلكه الخاص به إلى أن يعود إلى تلك النقطة ولما كان أشهر أحوال القمر وضعه مع الشمس ، وأشهر أوضاعه من الشمس هو الهلال العربي ؛ مع أن القمر في هذا الوقت يشبه الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم لاجرم جعلوا هذا الوقت منتهى للشهر.

وأما اليوم بليلته، فهو عبارة عن مفارقة نقطة من دائرة معدل النهار نقطة من دائرة الأفق ، أو نقطة من دائرة نصف النهار وعودها إليها، فالزمان المقدر عبارة عن اليوم بليلتها. ثم أن المنجمين اصطلحوا على تعيين دائرة نصف النهار مبتدأ لليوم بليلته؛ أما أكثر الأمم فإنهم جعلوا مبادىء الأيام بلياليها من مفارقة الشمس أفق المشرق وعودها إليه من الغداة، واحتج من نصر مذهبهم بأن الشمس عند طلوعها كالموجود بعد العدم فجعله أولًا أولى ، فزمان النهار عبارة عن مدة كون الشمس فوق الأرض وزمان الليل عبارة عن كونها تحت الأرض

وفي شريعة الإسلام يفتتحون النهار من أول وقت طلوع الفجر في وجوب الصلاة والصوم وغيرهما من الأحكام.

وعند المنجمين مدة الصوم في الشرع هي زمان النهار كله مع زيادة من زمان الليل معلومة المقدار محدودة المبدأ.

وأما الساعة، فهي على قسمين مستوية جزء من أربعة وعشرين من يوم وليلة ، فهذا كلام مختصر في تعريف السنة والشهر واليوم والساعة

فنقول: أما السنة، فهي عبارة عن دورة الشمس فتحدث بسببها الفصول الأربعة وذلك لأن الشمس إذا حصلت في الحمل فإذا تركت من هذا الموضع إلى جانب الشمال أخذ الهواء في جانب الشمال شيئًا من السخونة لقربها من مسامتة الرؤوس، ويتواتر الإسخان إلى أن تصل أول السرطان، وتشتد الحرارة ويزداد الحر ما دامت في السرطان والأسد لقربها من سمت الرؤوس ويتواتر الإسخان ثم ينعكس إلى أن يصل الميزان وحينئذ يطيب الهواء

[1] تدور الأرض حول الشمس دورة كاملة كل 365 يوم، وهذه هي أيام السنة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويعتدل، ثم يأخذ الحر في النقصان والبرد في الزيادة ، ولا يزال يزداد البرد إلى أن تصل الشمس إلى أول الجدي ويشتد البرد حينئذ لبعدها عن سمت الرؤوس ويتواتر البرد ثم إن الشمس تأخذ في الصعود إلى ناحية الشمال وما دامت في الجدي والدلو فالبرد أشد ما يكون إلى أن تنتهي إلى الحمل فحينئذ يطيب الهواء ويعتدل وعادت الشمس إلى مبدأ حركتها، وانتهى زمان السنة نهايته وحصلت الفصول الأربعة التي هي: الربيع والصيف والخريف والشتاء

ومنافع الفصول الأربعة وتعاقبها ظاهرة مشهورة في الكتب

وأما الشهر، فهو عبارة عن دورة القمر في فلكه الخاص، وزعموا أن نوره مستفاد من الشمس[1]، وأبدًا يكون أحد نصفيه مضيئًا بالتمام؛ إلا أنه عند الاجتماع يكون النصف المضيء هو النصف الفوقاني، فلاجرم نحن لا نرى من نوره شيئًا، وعند الاستقبال يكون نصفه المضيء مواجهًا لنا فلاجرم نراه مستنيرًا بالتمام، وكلما كان القمر أقرب إلى الشمس كان المرئي من نصفه المضيء أقل، وكلما كان أبعد كان المرئي من نصفه المضيء أكثر. ثم أنه من وقت الاجتماع إلى وقت الانفصال يكون كل ليلة أبعد من الشمس ، ويرى كل ليلة ضوءه أكثر من وقت الاستقبال إلى وقت الاجتماع، ويكون كل ليلة أقرب إلى الشمس، فلاجرم يرى كل ليلة ضوءه أقل ولا يزال يقل ويقل ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[2]، فهذا ما قاله أصحاب الطبائع والنجوم..

تقدير الزمان بالشهور فيه منافع بعضها متصل بالدين وبعضها بالدنيا

أما ما يتصل منها بالدين فكثيرة ، منها: الصوم، قال الله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[3]، وثانيها: الحج، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[4]، وثالثها: عدة المتوفى عنها زوجها، قال الله تعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[5]، ورابعها: النذور التي تتعلق بالأوقات؛ ولفضائل الصوم في أيام لا تعلم إلا بالأهلة

وأما ما يتصل منها بالدنيا، فهو كالمداينات والإجارات والمواعيد ولمدة الحمل والرضاع كما قال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[6] وغيرها ، فكل ذلك مما لا يسهل ضبط أوقاتها إلا عند وقوع الاختلاف في شكل القمر"[7].

---

(1) رغم أن القمر غير مضيء بذاته، فهو ألمع جرم في سماء الليل لأنه يعكس ضوء الشمس جيدًا، وخلال دورانه حول الأرض نشاهد أجزاء متفاوتة القدر من وجهه المُنار بالشمس تتراوح بين الهلال والبدر. فعندما يكون القمر في المحاق لا يعكس جانبه المواجه للأرض نورًا من الشمس فلا نراه. ويقاس الشهر القمري بالفترة بين محافتين متتاليين، وتبلغ عدة أيامه 29,5 يومًا. *الموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 228).

(2) يس: ٣٩.

(3) البقرة: ١٨٥.

(4) البقرة: ١٩٧.

(5) البقرة: ٢٣٤.

(6) الأحقاف: ١٥.

(7) 5/ 110- 113.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحكمة من التفكر في الخلق

يفصل الإمام الحكمة من الأمر بالتفكر في خلق السموات والأرض.

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ آل عمران: ١٩١

قال رحمه الله:

"اعلم أن الشيء الذي لا يمكن معرفته بحقيقته المخصوصة إنما يمكن معرفته بآثاره وأفعاله فكلما كانت أفعاله أشرف وأعلى، كان وقوف العقل على كمال ذلك الفاعل أكمل . ولذلك إن العاميّ يعظم اعتقاده في القرآن ، ولكنه يكون اعتقادًا تقليديًا إجماليًا؛ أما المفسر المحقق الذي لا يزال يطلع في كل آية على أسرار عجيبة ودقائق لطيفة فإنه يكون اعتقاده في عظمة القرآن أكمل

إذا عرفت هذا فنقول: دلائل التوحيد محصورة في قسمين: دلائل الآفاق، ودلائل الأنفس، ولا شك أن دلائل الآفاق أجل وأعظم كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾[1]. ولما كان كذلك، لاجرم أمر في هذه الآية بالفكر في خلق السموات والأرض لأن دلالتها أعجب وشواهدها أعظم.

وكيف لا نقول ذلك؛ ولو أن الإنسان نظر إلى ورقة صغيرة من أوراق شجرة، رأى في تلك الورقة عرقًا واحدًا ممتدًا في وسطها، ثم يتشعب من ذلك العرق عروق كثيرة إلى الجانبين، ثم يتشعب منها عروق دقيقة، ولا يزال يتشعب من كل عرق عروق أخر حتى تصير في الدقة بحيث لا يراها البصر، وعند هذا يعلم أن للخالق في تدبير تلك الورقة على هذه الخلقة حكمًا بالغة وأسرارًا عجيبة، وأن الله تعالى أودع فيها قوى جاذبة لغذائها من قعر الأرض. ثم أن ذلك الغذاء يجري في تلك العروق حتى يتوزع على كل جزءٍ من أجزاء تلك الورقة جزءٌ من أجزاء ذلك الغذاء بتقدير العزيز العليم. ولو أراد الإنسان أن يعرف كيفية خلقة تلك الورقة، وكيفية التدبير في إيجادها وإيداع القوى الغاذية والنامية فيها لعجز عنه.

فإذا عرف أن عقله قاصر عن الوقوف على كيفية خلقة تلك الورقة الصغيرة، فحينئذ يقيس تلك الورقة إلى السموات مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وإلى الأرض مع ما فيها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان، عرف أن تلك الورقة بالنسبة إلى هذه الأشياء كالعدم. فإذا عرف قصور عقله عن معرفة ذلك الشيء الحقير عرف أنه لا سبيل له البتة إلى الاطلاع على عجائب حكمة الله في خلق السموات والأرض"[2].

ورق النبات هو الجزء الرئيسي لتصنيع الغذاء في الغالبية العظمى من النباتات. فكثير من الأزهار والشجيرات والأشجار الكبيرة والسراخس والخضراوات والنباتات المعترشة والأعشاب الضارة، وأنواع عديدة أخرى من النباتات، تعتمد على أوراقها لتصنيع الغذاء لبقية أجزاء النبات.

---

[1] غافر: ٥٧.

[2] 9/ 117، 118.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تعمل الأوراق كأنها مصنع صغير للغذاء. وتحصل على الطاقة اللازمة من ضوء الشمس وتستعملها في تصنيع الغذاء من الماء الذي تحصل عليه من التربة وثاني أكسيد الكربون الذي هو غاز من مكونات الهواء. يمد هذا الغذاء النبات بالطاقة اللازمة للنمو ولإنتاج الأزهار وتكوين البذور[١].

قال الإمام الزمخشري رحمه الله: "ويتفكرون في خلق السموات والأرض ، وما يدل عليه اختراع هذه الأجرام العظام وإبداع صنعتها وما دبر فيها بما تكلّ الأفهام عن إدراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه"[٢].

وقال الإمام الغزاليّ رحمه الله: "لا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ، ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم، ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتبته ؛ لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره"[٣].

---

[١] http://www.marefa.org/index.php/ ورقة_نبات.
[٢] *الكشاف*، (1/ 482).
[٣] *الإحياء*، (4/ 423).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع آيات حول الإنسان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإعجاز في خلق القلب والجهاز التنفسي

أفرد الإمام للإستعاذة جزءًا في المقدمة، تجاوز السبعين صفحة[١].

قال رحمه الله:

"اعلم أن العلوم المستنبطة من هذه الكلمة نوعان: أحدهما: المباحث المتعلقة باللغة والإعراب، والثاني: المباحث المتعلقة بعلم الأصول والفروع. القسم الأول من هذا الكتاب: في المباحث الأدبية المتعلقة بهذه الكلمة، وفيه أبواب: الباب الأول: في المباحث المتعلقة بالكلمة وما يجري مجراها، وفيه مسائل[٢]".

ويتكلم رحمه الله على الإعجاز في تركيب الكلمات على اختلاف حروفها، ويجعل للقلب أثرًا في إصدار الحروف.

قال رحمه الله:

"كمال الإنسان في أن يعرف الحقَّ لذاته والخيرَ لأجل العمل به وجوهر النفس[٣] في أصل الخلقة عارٍ عن هذين الكمالين، ولا يمكنها اكتساب هذه الكمالات إلا بواسطة هذا البدن ، فصار تخليق هذا البدن مطلوبًا لهذه الحكمة. ثم إن مصالح هذا البدن ما كانت تتم إلا إذا كان القلب ينبوعًا للحرارة الغريزية[٤]".

يجمع الأطباء على أن القلب عضلة تضخ الدم المحمل بثاني أكسيد الكربون إلى الرئتين ليتأكسد، وتتلقى الدم المؤكسد من الرئتين وضخه مرة أخرى إلى باقي أجزاء الجسم[٥].

---

(١) 1/ 26-105.

(٢) 1/ 26.

(٣) كثيرًا ما يذكر كلمة جوهر، والمقصود بها: ما عند الفلاسفة، فالجوهر: ما قام بنفسه (ذات)، يقابله: العرض، وهو ما يقوم بغيره. انظر: *المعجم الوسيط*، (تركيا، المكتبة الإسلامية، بدون تاريخ)، ص: 149. مثال: أنت جالس، جلوسك هذا عرض لأنه متعلق بك. مثال آخر: «الجسم» جوهر، «لون الجسم» عرض. أي أن الأعراض هي الصفات أو الأفعال التي تعرض للذات، والذات أو النفس هي الجوهر. انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، (ص: 118).

(٤) الحرارة الغريزية: نسبةً إلى الغريزة، وهي: الطبيعة والقريحة والسجية، و(في الفلسفة): صورة من صور النشاط النفسي، وطراز من السلوك يعتمد على الفطرة والوراثة البيولوجية. *المعجم الوسيط*، (ص: 649). ويرى الفلاسفة أن هذه الحرارة الغريزية هي قوام حياة الإنسان، يقول الرازي: " الأطباء قالوا: المتعلق الأول للنفس هو: القلب والروح، وهما في غاية السخونة. وقال جالينوس: إني بقرت مرة بطن قرد فأدخلت يدي في بطنه وأدخلت أصبعي في قلبه فوجدته في غاية السخونة بل تزيد. ونقول: أطبق الأطباء على أن الحياة لا تحصل إلا بسبب الحرارة الغريزية" (1/ 88). وعندهم: "الحرارة الغريزية محصورة داخل القلب" (18/ 50)، وهي "آلة للقوى كلها" *المباحث المشرقية*، (1/ 386).

(٥) وهناك دراسات حديثة تقول: إن القلب هو مركز الذاكرة ومركز الشعور والإحساس والانفعال والعواطف والملكات، كما في كتابي: The Heart's Code، The Remembering Heart وغيرهما. حلقة مسجلة للدكتور زغلول النجار على قناة الرحمة الفضائية. وعلى هذا جاء التعبير في القرآن (البقرة: 204، آل عمران: 159، الشعراء: 89، غافر: 35، ق: 33، 37)، وكذلك كان القلب عند الإمام الرازي. ينظر مثلًا: المطالب العالية، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1987م)، 3/ 61، 69. محمد صالح الزركان، *الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية* ، (بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ)، ص: 493. وأيضًا (ص: 32): The teleological ethics of fakhr al-dĐn al-RÁzi.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

"ولما كانت هذه الحرارة قويةً احتاجت إلى الترويح لأجل التعديل فدبر الخالق الرحيم الحكيم هذا المقصود بأن جعل للقلب قوة انبساط، بها يجذب الهواء البارد من خارج البدن إلى نفسه ثم إذا بقي ذلك الهواء في القلب لحظة تسَخَّن واحتدَّ وقويت حرارته، فاحتاج القلب إلى دفعه مرة أخرى؛ وذلك هو الانقباض، فإن القلب إذا انقبض، انعصر ما فيه من الهواء وخرج إلى الخارج فهذا هو الحكمة في جعل الحيوان متنفسًا".

نلحظ أن هناك خلطًا بين وظائف القلب ووظائف الرئتين. ومعلوم أن ابن النفيس (607-687هـ/ 1215-1288م) هو أول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية، وُلِد بعد وفاة الرازي بسنة.

"كان علماء الطب القدامى (اليونان والعرب) يعتقدون بأن الدم يتشكل في الكبد، حيث يَنقل إليه الوريد البابي الأغذية من الأمعاء بعد هضمها وتحضيرها، فتتحول فيه إلى دم، ومن الكبد يتوزع الدم بواسطة الأوردة على أجهزة الجسم وأعضائه.

وكان قسم من الدم يصل إلى القلب الأيمن بواسطة الوريد الأجوف، وفي البطين الأيمن يتخلص هذا الدم مما يكون قد علق به من شوائب ويسخن ويترقق، ثم يعود مُطَهَّرًا بعد هذه العملية التحضيرية إلى الأوردة ومنها إلى الأعضاء. ويمر قسم من الدم المسخن المرقق إلى البطين الأيسر عبر منافذ غير مرئية كائنة في الحجاب الحاجز بين البطينين.

وفي البطين الأيسر يختلط الدم مع الهواء الآتي من الرئتين بواسطة الشرايين الوريدية (أي الأوردة الرئوية) ومن هذا الخليط (الدم المسخن والهواء) تتولد الروح في البطين الأيسر الذي يوزعها بدوره على الجسم كله بواسطة الأبهر.

وتبعًا لهذه النظرية فالأوردة تحمل الدم فقط، في حين تنقل الشرايين الهواء والروح، كما أن فكرة دوران الدم واتجاهه لم تكن معلومة أصلًا، وإنما توجد هناك حركة متواصلة للدم بين مد وجزر ورواح ومجيء، وأما الرئة فلم يكن لها من وظيفة سوى تبريد الدم المرتفع الحرارة. تلك هي النظرية التي كانت سائدة قبل ابن النفيس، وتلك هي مفاهيم أساطين الطب القدماء أمثال: أبقراط وجالينوس وابن سينا"[1].

ولو رجعنا إلى علم الفسيولوجيا، أي: علم وظائف الأعضاء أو –باصطلاح القدماء– منافع الأعضاء، لعلمنا أن:

---

(1) عبد الكريم شحادة، «ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية»، مقال منشور على موقع: أرض الحضارات www.landcivi.com. وانظر: سلمان قطاية، *في التراث الطبي العربي*، الفصل الخامس.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

1- انقباض القلب وانبساطه يعملان على استقبال الدم وإرساله؛ وليس الهواء. بينما الجهاز التنفسي هو الذي يعمل على جذب الهواء الطيب (الأوكسجين) من الجو في مرحلة الشهيق، ودفع الهواء المحترق (ثاني أكسيد الكربون) إلى الجو في مرحلة الزفير.

2- المهمة الأساسية للقلب هي : ضخ الدم المفيد إلى أجزاء الجسم المختلفة، أي : الدم المحتوي على الأوكسجين والعناصر الغذائية. وأجزاء الجسم كافة تحتاج هذه الأشياء كي تعيش وتعمل[١].

فالعلاقة بين القلب والرئتين وثيقة، غير أن القلب لا علاقة له بالهواء، إنما يتعامل مع الدم، والرئتان تتعاملان مع الهواء والدم.

"والمقصود بالقصد الأول هو: تكميل جوهر النفس بالعلم والعمل[٢]، فوقع تخليق البدن في المرتبة الثانية من المطلوبية. ووقع تخليق القلب وجعله منبعًا للحرارة الغريزية في المرتبة الثالثة. ووقع إقدار القلب على الانبساط الموجب لانجذاب الهواء الطيب من الخارج لأجل الترويح في المرتبة الرابعة. ووقع إقدار القلب على الانقباض الموجب لخروج ذلك الهواء المحترق في المرتبة الخامسة. ووقع صرف ذلك الهواء الخارج عند انقباض القلب إلى مادة الصوت في المرتبة السادسة. ثم إن المقدر الحكيم والمدبر الرحيم جعل هذا الأمر المطلوب على سبيل الغرض الواقع في المرتبة السابعة مادة للصوت، وخلق محابس ومقاطع للصوت في الحلق واللسان والأسنان والشفتين، وحينئذ يحدث بذلك السبب هذه الحروف المختلفة، ويحدث من تركيباتها الكلمات التي لا نهاية لها"[٣].

ثبت علميًا أن الهواء يخرج من الجهاز التنفسي وليس من القلب، ثُم بالفعل هذا الهواء هو مادة الصوت. وللصوت عضو محدد، وهو: الحنجرة (وتشتهر بأنها: صندوق الصوت: voice box)، تبرز أعلى القصبة الهوائية وتحت البلعوم، وتشتمل على: الأحبال الصوتية، هذه الأحبال عبارة عن: خيوط مرنة elastic fibers. تتكون الحنجرة من عضلات وغضاريف ، و تعمل على تقريب أو إبعاد الأحبال الصوتية أثناء الشهيق أو الزفير، وكذلك أثناء البلع أو الكلام، وتهتز هذه الأحبال بتأثير الهواء الصاعد من الرئتين فتنشأ عنهما الأصوات. وتتشكل هذه الأصوات في صورة حروف وكلمات عن طريق تغيير شكل البلعوم وفتحة الفم مع استخدام اللسان والشفتين[٤].

---

[١] للمزيد انظر: حسن محمد صندقجي ، «نظام كهرباء القلب.. أحد أسرار سلامته» ، مقال بتاريخ: الأحد 5 شوال 1429هـ/ 5 أكتوبر 2008م، العدد: 10904، موقع جريدة الشرق الأوسط الإلكتروني. وانظر أيضًا: هارون يحيى، «القلب، أهم عنصر من عناصر جهاز الدورة الدموية» : www.harunyahya.com. و(ص: 59-107): Paul A. (2009). Handbook of cardiac anatomy, physiology, and devices. Springer sciences+Business Media, LLC, 2nd ed.

[٢] بالعلم: أي: الذي هو معرفة الحق والخير. والعمل: أي: بهذا الخير.

[٣] 1/ 37، 38.

[٤] انظر: (ص: 240): Anatomy coloring workbook, I. Edward Alcamo, Princeton review publishing, New York, 2003, 2nd ed، و (ص: 153-155): Human biology, Danial D. Chiras, Johnes & Bartlett learning, LLC, London, 2012, 7th ed.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المفاضلة بين السمع والبصر

[موضعان]

يذكر الإمام رحمه الله الاختلاف في المفاضلة بين السمع والبصر، والقاريء يلحظ قوة حجة القائلين بتفضيل السمع على البصر وميل الرازي له.

خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ البقرة: 7

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ يونس: 42- 43

قال رحمه الله:

"من الناس[1] من قال: السمع أفضل من البصر؛ لأن الله تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر، والتقديم دليل على التفضيل.

ولأن السمع شرط النبوة بخلاف البصر، ولذلك ما بعث الله رسولًا أصم، وقد كان فيهم من كان مبتلى بالعمى. ولأن بالسمع تصل نتائج عقول البعض إلى البعض، فالسمع كأنه سبب لاستكمال العقل بالمعارف؛ والبصر لا يوقفك إلا على المحسوسات.ولأن السمع متصرف في الجهات الست بخلاف البصر.ولأن السمع متى بطل بطل النطق؛ والبصر إذا بطل لم يبطل النطق[2]".

"الإنسان إنما يستفيد العلم بالتعلم من الأستاذ، وذلك لا يمكن إلا بقوة السمع، فاستكمال النفس بالكمالات العلمية لا يحصل إلا بقوة السمع؛ ولا يتوقف على قوة البصر، فكان السمع أفضل من البصر.

المعنى الذي يمتاز به الإنسان من سائر الحيوانات هو النطق والكلام، وإنما ينتفع بذلك القوة السامعة. فمتعلق السمع النطق الذي به حصل شرف الإنسان، ومتعلق البصر إدراك الألوان والأشكال؛ وذلك أمر مشترك فيه بين الناس وبين سائر الحيوانات، فوجب أن يكون السمع أفضل من البصر.

ومن الناس من قال: البصر أفضل من السمع، ويدل عليه وجوه:

---

[1] كثيرًا ما يسكت الإمام الرازي عن نسبة الرأي لصاحبه، ويعبر عنه بـ(الناس)؛ ويكتفي بذكر دليله، وفي مثل هذا يقول الدكتور فتح الله خليف: "وكأني به يستحثنا بذلك على مزيد من البحث والدرس في هذه المسألة، وما احتدم حولها من خلاف بين فرق المتكلمين". فتح الله خليف، *فخر الدين الرازي*، (ص: 46).

وكلمة (الناس) في اللغة قد تحمل على معنى أخص مما يتناوله عموم الجنس، وهو: الأماثل والأخيار منهم، الجامعون لمعاني الإنسانية الفاضلة، وهذا المعنى تعرفه العرب، فإنهم كثيرًا ما يطلقون اسم الجنس على الفرد، أو الأفراد الكاملين في حقيقته، وإن كان هذا من المجاز في كلامهم؛ وقد حملوا على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ البقرة: ١٣. انظر: ابن باديس (ت: 1359هـ)، *مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير*، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1995)، ص: 383.

[2] 2/ 56، 57.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحجة الأولى: أنهم قالوا في المثل المشهور: 'ليس وراء العيان بيان' ، وذلك يدل على أن أكمل وجوه الإدراكات هو الأبصار.

الحجة الثانية: أن آلة القوة الباصرة هو النور، وآلة القوة السامعة هي الهواء؛ والنور أشرف من الهواء، فالقوة الباصرة أشرف من القوة السامعة[١].

الحجة الثالثة: أن عجائب حكمة الله تعالى في تخليق العين التي هي محل الأبصار أكثر من عجائب خلقته في الأذن التي هي محل السماع؛ فإنه تعالى جعل تمام روح واحد من الأرواح السبعة الدماغية من العصب آلة للأبصار، وركب العين من سبع طبقات وثلاث رطوبات، وخلق لتحريكات العين عضلات كثيرة على صورة مختلفة؛ والأذن ليس كذلك، وكثرة العناية في تخليق الشيء تدل على كونه أفضل من غيره[٢].

الحجة الرابعة: أن البصر يرى ماحصل فوق سبع سموات [٣]؛ والسمع لا يدرك ما بعد منه على فرسخ، فكان البصر أقوى وأفضل. وبهذا البيان يدفع قولهم إن السمع يدرك من كل الجوانب، والبصر لا يدرك إلا من الجانب الواحد.

الحجة الخامسة: أن كثيرًا من الأنبياء سمع كلام الله في الدنيا واختلفوا في أنه هل رآه أحد في الدنيا أم لا، وأيضًا فإن موسى عليه السلام سمع كلامه من غير سبق سؤال والتماس، ولما سأل الرؤية ﴿قَالَ لَن تَرَانِي﴾[٤]، وذلك يدل على أن حال الرؤية أعلى من حال السماع.

الحجة السادسة: قال ابن الأنباري: كيف يكون السمع أفضل من البصر، وبالبصر يحصل جمالُ الوجه، وبذهابه عيبُه، وذهاب السمع لا يورث الإنسان عيبًا[٥]، العرب تسمي العينين: «الكريمتين»، ولا تصف السمع بمثل هذا؟، ومنه الحديث: «يقول الله تعالى: 'من أذهبت كريمته فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة'»[٦][٧].

ذكر هذا النقاش حول التفضيل غير واحدٍ من المفسرين [٨]. يقول الإمام الآلوسي: ''والحقّ أن كلًّا من الحواس ضروري في موضعه، ومن فقدَ حسًّا فقدَ علمًا، وتفضيل البعض على البعض تطويل من غير طائل''[٩]. وهو كلام جيد له وجهته؛ لكننا ''لا نظلم البصر، أو نغض من قدره حين

---

[١] عند الفلاسفة: النور (والنار) أفضل من الهواء.

[٢] على اعتقاده أن السموات السبع هي الكواكب السبعة التي كانت ترى بالعين المجردة.

[٣] كلٌّ خلق لوظيفة محددة، وبالطريقة التي تمكنه من أداء هذه الوظيفة، والكلام ليس على الأداة (العين والأذن)، بل على الحاسة نفسها (السمع والبصر).

[٤] الأعراف: ١٤٣.

[٥] أيضًا الكلام ليس في ذهاب جارحة العين، بل في ذهاب الحاسة نفسها؛ وكم رأينا عميانًا وأعينهم في مقاليها وكأنَّها مبصرة!

[٦] قال محققه: صحيح: أخرجه البخاري (5653/ المرضى/ باب: فضل من ذهب بصره) من حديث أنس بنحوه، وهو عند الترمذي (2401/ الزهد/ باب: ما جاء في ذهاب البصر) من حديث أبي هريرة بلفظ المصنف، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

[٧] 17/ 86، 87.

[٨] انظر مثلًا: *تفسير القرطبي* ، خرج أحاديثه: محمود حامد عثمان، ضبطه وعلق عليه: محمد إبراهيم الحفناوي، (القاهرة، دار الحديث، 2007)، 1/ 186.

[٩] روح المعاني، (1/ 136).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نقول: إن السمع خير منه عاقبة، وأكبر نفعًا، وأحمد صنعًا، فالتفاضل من سنن الطبيعة، والله تعالى يقدر الأشياء بقدرها، وينزل كلاً منها بمنزلته، ففاضل ومفضول، ومقدم ومؤخر، كل على حسب ما خلق له، ووكل إليه"[١].

يلحظ في القرآن أن السمع يتقدم ذكره على البصر، وهي حوالي 20 موضعًا(٢). ولم يتقدم البصر على السمع إلا في مواضع قليلة(٣). بينما يتقدم ذكر العين على الأذن، وهذا في كل المواضع(٤). وفي هذا يقول الدكتور حسين رضوان اللبيدي:

"فإذا كان السمع يتقدم البصر في الآيات السابقة فإن العين تتقدم الأذن في هذه الآيات، فلو كان التقديم للتشريف لتقدمت الأذن على العين كما تقدم السمع على البصر لأن الأذن أداة السمع والعين أداة البصر. إذن فالقضية ليست قضية شرف عضو على عضو بل هي شيء آخر ؛ بل قل إنها معجزة علمية بكل المقاييس ، فلقد وجد العلماء أن هناك مراكز للسمع داخل المخ البشري يتم فيها إدراك المسموعات وعقلها ، وهناك مراكز للبصر داخل المخ البشري يتم فيها إدراك المبصرات وعقلها ، وأداة مركز السمع هي: الأذن التي تجلب إليها الأصوات ، وأداة مركز البصر : العين والتي تجلب إليها الصور. ومع أن العين تتقدم الأذن في رأس الإنسان فإن مركز السمع يتقدم مركز الإبصار في مخ الإنسان تشريحيًا. وهنا ظهرت المعجزة العلمية الباهرة فالترتيب المكاني للسمع والبصر في الآيات يأتي وفقًا للترتيب المكاني لمراكز السمع والبصر في مخ الإنسان"[٥].

ومن المفارقات بين حاستي السمع والبصر:

- "يتمكن الإنسان من سماع الأصوات التي تصل إلى أذنيه من كل الاتجاهات والارتفاعات ، فيمكن القول بأن الساحة السمعية هي 360، بينما لو ثبت الإنسان رأسه في موضع واحد فلن يتمكن من رؤية الأجسام إلا في ساحة بصرية محدودة تقارب الـ 180 في المستوى الأفقي و 145 في الاتجاه العمودي، أما ساحة إبصاره للألوان فهي أقل من ذلك كثيرًا، كما أن أشعة الضوء تسير بخط مستقيم دائمًا، فإذا اعترضها جسم غير شفاف فلن تتمكن من عبوره أو المرور حوله ؛ ولكن الموجات

---

[١] مع القرآن الكريم في دراسة مستلهمة، نقلًا عن: علي النجدي ناصف، «بين السمع والبصر في القرآن الكريم»، مقال منشور على موقع الألوكة (المجلس العلمي)، بتاريخ: 1/ 7/ 1429هـ- 5/ 7/ 2008م.
[٢] انظر مثلًا: البقرة: 7، 20؛ الأنعام: 46؛ القصص: 71- 72.
[٣] هي: هود: 24، الكهف: 26، السجدة: 12.
[٤] انظر مثلًا: المائدة: 45؛ الأعراف: 179، 195.
[٥] «تركيب المخ البشري في ضوء القرآن»، مقال منشور على موقع: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة www.quran-m.com.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصوتية تسير في كل الاتجاهات ، ويمكنها أن تلف حول الزوايا وعبر الأجسام التي تصادفها ، فهي تنتقل عبر السوائل والأجسام بسهولة فيسمعها الإنسان حتى عبر الجدران"[١].

- أن حاسة السمع تعمل خلال الأربع والعشرين ساعة، حتى في حالة النوم؛ ولذا يستطيع الإنسان الاستيقاظ عندما يناديه شخص أو يرن المنبه أو الهاتف. بينما حاسة البصر لا تعمل إلا عند اليقظة، وحين تكونا مفتحتين، ولا يمكنها الإدراك إلا في الضوء. ولذا قال الله في أهل الكهف: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ الكهف: ١١، "قال المفسرون: معناه أنمناهم، وتقدير الكلام: أنه تعالى ضرب على آذانهم حجابًا يمنع من أن تصل إلى أسماعهم الأصوات الموقظة"[٢]. "قال الزجاج: أي منعناهم عن أن يسمعوا؛ لأن النائم إذا سمع انتبه. وقال ابن عباس: ضربنا على آذانهم بالنوم؛ أي سددنا آذانهم عن نفوذ الأصوات إليها"[٣]. وقال أبو حيان: " استعارة بديعة للإنامة المستثقلة التي لا يكاد يسمع معها"[٤]. بل ثبت أن الأذن تظل تعمل أثناء الغيبوبة، وأن المخ يتأثر بالمعنى الذي يسمعه، فيستيقظ من النوم أو يفيق من الغيبوبة، حسب أهمية المعنى المسموع[٥].

- يخبرنا علم الأجنة أن الأذن هي الحاسة الأولى في ابتداء الخلق وفي كمال الخلق، حيث تصل إلى كمالها في منتصف فترة الحمل تقريبًا. "ومن هنا يكون عالَم الأجنة عالمًا صاخبًا، يسمع فيه الجنين دقات قلب أمه وسريان الدم في عروقها ومرور الطعام في أمعائها، بل يتعرف على الأصوات الخارجية، وإذا تعودت الأم سماع القرآن الكريم أثناء فترة حملها، فإن ابنها يستكين وينصت لسماعه بعد ولادته"[٦].

> "أما حاسة البصر فهي ضعيفة جدًا عند الولاة ، إذ تكاد تكون معدومة، ويصعب على الوليد تمييز الضوء من الظلام، ولا يرى إلا صورًا مشوشة للمرئيات، وتتحرك عيناه دون أن يتمكن من تركيز بصره وتثبيته على الجسم المنظور، ولكنه يبدأ في الشهر الثالث أو الرابع تمييز شكل أمه أو قنينة حليبه وتتبع حركاتهما، وعند الشهر السادس يتمكن من تفريق وجوه الأشخاص، إلا أن الوليد في هذا السن يكون بعيد البصر، ثم يستمر بصره على النمو والتطور حتى السنة العاشرة من عمره"[٧].

---

(١) عادل الصعيدي، «الإعجاز العلمي في تقدم السمع على البصر»، مقال منشور على موقع جامعة الإيمان: www.jameataleman.org. وانظر: *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، (ص: 206).
(٢) *مفاتيح الغيب*، (21/ 76).
(٣) *تفسير القرطبي*، (5/ 687).
(٤) أبو حيان، *تفسير البحر المحيط*، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1993)، (6/ 99).
(٥) محمود محمد الشورى، حاسة *السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث* ، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.eajaz.org، ص: 9.
(٦) السابق (ص: 6، 7).
(٧) عادل الصعيدي، *الإعجاز العلمي في تقدم السمع على البصر*.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإعجاز في خلق الإنسان

حاول الإمام في هذه المسألة أن يرد على الطبائعيين الذين ينسبون كل شيء إلى الطبيعة وينفون قدرة الله وتدبيره. وأطال رحمه الله في الجانب الفلسفي لإثبات أن الله تعالى هو المدبر لشأن تلك النُّطَف.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ البقرة: ١٦٤

قال رحمه الله:

"من الآيات: قوله تعالى: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾[1]، ونظيره جميع الآيات الدالة على خلقة الإنسان وسائر الحيوانات، كقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[2].

واعلم أن حدوث الحيوانات قد يكون بالتوليد وقد يكون بالتوالد[3]، وعلى التقديرين فلابد فيها من الصانع الحكيم. فلنبين ذلك في الناس ثم في سائر الحيوانات.

أما الإنسان، فالذي يدل على افتقاره في حدوثه إلى الصانع وجوه:

أحدها: يروي أن واحدًا قال عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إني أتعجب من أمر الشطرنج، فإن رقعته ذراع في ذراع ولو لعب الإنسان ألف ألف مرة فإنه لا يتفق مرتان على وجه واحد". فقال عمر بن الخطاب: "ههنا ما هو أعجب منه، وهو أن مقدار الوجه شبر في شبر، ثم إن موضع الأعضاء التي فيها كالحاجبين والعينين والأنف والفم لا يتغير البتة، ثم إنك لا ترى شخصين في الشرق والغرب يشتبهان"؛ فما أعظم تلك القدرة والحكمة التي أظهرت في هذه الرقعة الصغيرة هذه الاختلافات التي لا حد لها.

وثانيها: أن الإنسان متولد من النطفة، فالمؤثر في تصوير النطفة وتشكيلها قوة موجودة في النطفة أو غير موجودة فيها. فإن كانت القوة المصوِّرة فيها، فتلك القوة إما أن يكون لها شعور وإدراك وعلم وحكمة حتى تمكنت من هذا التصوير العجيب؛ وإما أن لا تكون تلك القوة كذلك، بل يكون تأثيرها بمجرد الطبع والعلية.. والأول ظاهر

---

[1] البقرة: ١٦٤.
[2] النساء: ١.
[3] التوالد reproduction في علم الحياة: هو الفعل الذي يتم به إنسال أفراد جدد يستمر بهم بقاء النوع. والتوليد (عند المعتزلة): هو الفعل الصادر من الفاعل بوسط، ويقابله: المباشرة. معجم صليبا (1/ 359)، (1/ 368).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفساد؛ لأن الإنسان حال استكماله أكثر علمًا وقدرة، ثم إنه حال كماله لو أراد أن يغير شعرة عن كيفيتها لا يقدر على ذلك، فحال ما كان في نهاية الضعف كيف يقدر على ذلك؟!

وأما إن كانت تلك القوة مؤثرة بالطبع، فهذا المعنى إما أن يكون جسمًا متشابه الأجزاء في نفسه أو يكون مختلف الأجزاء.. فإن كان متشابه الأجزاء، فالقوة الطبيعية إذا عملت في المادة البسيطة لابد وأن يصدر منه فعل متشابه، وهذا هو الكُرَة، فكان ينبغي أن يكون الإنسان على صورة كُرَة، وتكون جميع الأجزاء المفترضة في تلك الكُرَة متشابهة في الطبع، وهذا هو الذي يستدلون به على أن البسائط لابد وأن تكون كرات. فثبت أنه لابد للنطفة في انقلابها لحمًا ودمًا وإنسانًا من مدبر ومقدر لأعضائها وقواها وتراكيبها؛ وما ذاك إلا الصانع تعالى.

وثالثها: الاستدلال بأحوال تشريح أبدان الحيوانات والعجائب الواقعة في تركيبها وتأليفها؛ وإيراد ذلك في هذا الموضع كالمتعذر لكثرتها، واستقصاء الناس في شرحها في الكتب المعمولة في هذا الفن.

وخامسها: انظر إلى الطفل بعد انفصاله من الأم: فإنك لو وضعت على فمه وأنفه ثوبًا يقطع نفسه لمات في الحال، ثم إنه بقي في الرحم الضيق مدة مديدة مع تعذر النفس هناك ولم يمت، ثم إنه بعد الانفصال يكون من أضعف الأشياء وأبعدها عن الفهم بحيث لا يميز بين الماء والنار وبين المؤذي والملذ وبين الأم وبين غيرها. ثم إن الإنسان وإن كان في أول أمره من أبعد الأشياء عن الفهم فإنه بعد استكماله أكمل الحيوانات في الفهم والعقل والإدراك، ليعلم أن ذلك من عطية القادر الحكيم؛ فإنه لو كان الأمر بالطبع لكان كل من كان أذكى في أول الخلقة كان أكثر فهمًا وقت الاستكمال، فلما لم يكن الأمر كذلك بل كان على الضد منه علمنا أن كل ذلك من عطية الله الخالق الحكيم"[1].

وسادسها: اختلاف الألسنة واختلاف طبائعهم واختلاف أمزجتهم من أقوى الدلائل، ونرى الحيوانات البرية والجبلية شديدة المشابهة بعضها بالبعض، ونرى الناس مختلفين جدًا في الصورة؛ ولولا ذلك لاختلت المعيشة ولاشتبه كل أحد بأحد فما كان يتميز البعض عن البعض، وفيه فساد المعيشة. واستقصاء الكلام في هذا النوع لا مطمع فيه لأنه بحر لا ساحل له"[2].

---

[1] وانظر أيضًا: (19/ 186) في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾النحل: ٤.

[2] 4/ 192-194. وانظر أيضًا: 2/ 123، 19/ 185، 20/ 61-63.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مضارّ الخمر ومنافعها

يتكلم الإمام أولًا على مضار الخمر، ويذكر أعظم مفسدتين للخمر، وهما: المفسدة العقلية، والمفسدة الدينية. ثم يذكر منافعها.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا البقرة: ٢١٩

قال رحمه الله:

"الإثم الكبير فيه أمور:

أحدها: أن عقل الإنسان أشرف صفاته، والخمر عدو العقل، وكل ما كان عدو الأشرف فهو أخس، فيلزم أن يكون شرب الخمر أخس الأمور، وتقريره: أن العقل إنما سمي عقلًا لأنه يجري مجرى عقال الناقة، فإن الإنسان إذا دعاه طبعه إلى فعل قبيح كان عقله مانعًا له من الإقدام عليه، فإذا شرب الخمر بقي الطبع الداعي إلى فعل القبائح خاليًا عن العقل المانع منها، والتقريب بعد ذلك معلوم. ذكر ابن أبي الدنيا[1] أنه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضىء ويقول: 'الحمد لله الذي جعل الإسلام نورًا والماء طهورًا' وعن العباس بن مرداس[2] أنه قيل له في الجاهلية: 'لم لا تشرب الخمر فإنها تزيد في جراءتك؟' فقال: 'ما أنا بآخذ جهلي بيدي فأدخله جوفي، ولا أرضى أن أصبح سيد قوم وأمسي سفيههم'.

وثانيها: ما ذكره الله تعالى من إيقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.

وثالثها: أن هذه المعصية من خواصها أن الإنسان كلما كان اشتغاله بها أكثر ومواظبته عليها أتم كان الميل إليها أكثر وقوة النفس عليها أقوى؛ بخلاف سائر المعاصي، مثل الزاني إذا فعل مرة واحدة فترت رغبته في ذلك العمل وكلما كان فعله لذلك العمل أكثر كان فتوره أكثر ونفرته أتم؛ بخلاف الشرب فإنه كلما كان إقدامه عليه أكثر كان نشاطه أكثر ورغبته فيه أتم. فإذا واظب الإنسان عليه صار الإنسان غرقًا في اللذات البدنية معرضًا عن تذكر

---

[1] ابن أبي الدنيا (208 - 281 هـ = 823 - 894 م) هو:
عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر: حافظ للحديث، مكثر من التصنيف. أدب الخليفة المعتضد العباسي في حداثته، ثم أدب ابنه المكتفي. وكان من الوعاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس، إن شاء أضحك جليسه، وإن شاء أبكاه. مولده ووفاته ببغداد . له مصنفات بلغت 164 كتابًا، منها: (الفرج بعد الشدة)، و(مكارم الأخلاق)، و(ذم الملاهي). الزركلي، *الأعلام*، (4/ 118).

[2] العباس بن مرداس (ت 18هـ/ 639م) هو:
العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفة قلوبهم. ويدعى فارس العبيد –بالتصغير– وهو فرسه. وكان بدويًا قحًا، لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي ﷺ لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ممن ذم الخمر وحرمها في الجاهلية. مات في خلافة عمر. الزركلي، *الأعلام*، (3/ 267).

الآخرة والمعاد حتى يصير من الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم.وبالجملة فالخمر يزيل العقل، وإذا زال العقل حصلت القبائح بأسرها، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «الخمر أم الخبائث»[1]

يحتوي الخمر على مادة الكحول الإيثيلي. وجميع المشروبات المختلفة: كالعرق، والشمبانيا، والويسكي، والبراندي، والكونياك، والفودكا، والبيرة، تحتوى على مادة الكحول الإيثيلي، ولكن بنسب مختلفة. ويتم امتصاص الدم للكحول بسرعة فائقة [2]. فالخمر سبب للسكر وذهاب العقل وفقدان الوعي، مما يعرضه إلى أخطار عديدة.

والمواظبة على تناول الخمر هي الظاهرة المعروفة علميًا بـ«الإدمان». ويرجع تفسير هذه الظاهرة إلى أن الخمر تطلق تريليونات من الجزيئات التى تغير من كيمياء المخ، وتؤثر على الموصلات العصبية الهامة اللازمة من أجل أن يظل الإنسان فى حالة مزاجية وسلوكية مستقرة، وذلك بمجرد دخولها إلى الدم، فالخالق ﷻ قد خلق بداخلنا الحشيش، والأفيون، والأفيتامينات والإندورفين، والسيروتونين، والدوبامين، والمهدئات، والمطمئنات، وتناول أ يٍّ من هذه المواد من خارج الجسم يجعل الجسم يتوقف عن إفرازها، وتنخفض نسبة هذه الموصلات العصبية فى الجسم اعتمادًا على ما يتناوله المدمن من الخارج، وإذا لم يأخذ المدمن احتياجه من هذه المواد، فإن خللًا عضويًا ونفسيًا يحدث فى جسمه فيسبب ما يسمى بأعراض الانسحاب، التى قد تؤدى فى بعض الأحيان إلى الموت إذا لم يستعن المدمن بالطبيب المتخصص لكى يساعده على التخلص من إدمانه[3].

ولم يتعرض الإمام إلى المفاسد الصحية للخمر.. وتثبت الدراسات الطبية الحديثة ما يلي:

1. **تأثير الخمر على الجهاز العصبي:**

يصيب المرء بضعف عضلي وهزال، واضطراب حسي وحركي مع شلل مؤقت، والتهاب العصب البصري، وضمور الدماغ.

2. **تأثير الخمر على الجهاز الهضمي:** يؤدي إلى التهاب الأغشية المخاطية، وتقرحات شديدة قد تتطور إلى سرطانات، وضمور الحليمات الذوقية في اللسان، والتهاب المريء وسرطانه، والتهاب المعدة وسرطانها، وسوء الامتصاص المعوي، وتشمع الكبد، والتهاب البنكرياس.

3. **تأثير الخمر على الجهاز التناسلي:** لا تبعث على النشاط؛ بل ينتهي أمر شارب الخمر عادة إلى الاسترخاء التام، كما تؤدي إلى ضمور الخصية، واسترخاء الصفن، كما أن إدمانها يجعل الحيوانات المنوية نادرة جدًا، كما تتأثر النطفة بفعل الكحول فتفسد. كما يوقع الخمر صاحبه في الزنا عادة، مما يؤدي به إلى أمراض عديدة، كالسيلان والزهري والإيدز.

---

(1) قال محققه: صحيح موقوف: أخرجه النسائي (5666/ الأشربة/ باب: ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر) من حديث عثمان موقوفًا عليه، وهو صحيح موقوفًا.

(2) مجدي فتحي السيد، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، (ص: 122، 123).

(3) عبدالهادى مصباح، «الإدمان: كيف يحدث؟»، مقال منشور على موقع: جريدة المصري اليوم، بتاريخ 19/ 8/ 2010م.

4. **تأثير الخمر على الجهاز الدوري والقلب:** إدمانها يؤدي إلى تصلب الشرايين، وتلف القلب واستهلاك الكلى، وربما نزيف المخ.

5. **تأثير الخمر على المناعة:** يضعف المناعة، ويكون مدمنها عرضة دائمًا للالتهابات والأمراض.

6. **تأثير الخمر على الإحساس:** يستولي الخمول والجمود على المخ، فيتبلد الإحساس والشعور. كما أن الخمر لا تدفيء الجسم كما يظن الكثيرون؛ بل توسع الأوعية الدموية تحت الجلد فيشعر بالدفء ويفقد حرارة جسمه، والشعور بالدفء هو شعور وقتي كاذب.

7. **تأثير الخمر على الاقتصاد:** يضعف قدرة شاربيه على الانتاج، ويرهق الأسرة في الحصول على أنواعه المختلفة، ويستهلك كميات من الأعناب والتمور والحبوب، ويرهق نفقات المستشفيات في معالجة لهذه السموم؛ حتى قال أحد كبار الأطباء: "أغلقوا لي حانات الخمور، أضمن لكم إغلاق نصف المستشفيات"، كما يمتص قدرًا كبيرًا من موارد الحكومات في مكافحة الجرائم الناجمة عن تعاطيه. يقول سشلدريك: "هناك مسألة أخرى لفتت نظري وزادتني علمًا بمكانة الدين الإسلامي، وهي انفراده بتحريم الخمور، وهي مزية لا نجدها في كتب الديانات الأخرى"[1].

"وأما المنافع المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾، فمنافع الخمر: أنهم كانوا يتغالون بها إذا جلبوها من النواحي، وكان المشتري إذا ترك المماكسة في الثمن كانوا يعدون ذلك فضيلة ومكرمة، فكان تكثر أرباحهم بذلك السبب. ومنها: أنه يقوي الضعيف، ويهضم الطعام، ويعين على الباه، ويسلي المحزون، ويشجع الجبان، ويسخي البخيل، ويصفي اللون، وينعش الحرارة الغريزية، ويزيد في الهمة والاستعلاء"[2].

أما عن منافعها التجارية، فقد اتفق المفسرون على ما قاله الإمام الرازي، يقول الإمام القرطبي: " إنهم كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها في الحجاز بربح، وكانوا لا يرون المماكسة –أي: محاولة نقص الثمن– فيها، فيشترى طالب الخمر الخمر بالثمن الغالى. هذا أصح ما قيل في منفعتها"[3].

وهذه هي المنفعة التي لأجلها الآن يبيحون التعامل في الخمر، ويزعمون أنها تجتذب السائحين، فيكسبون من ورائهم عملات صعبة.. ولكن الشرع الحنيف أهدر هذه المنافع ولم يُقم لها اعتبارًا في مقابلة الإثم الكبير والأضرار العظيمة التي في الخمر.. أضرارها على الفرد، وأضرارها على الأسرة وأضرارها على المجتمع[4].

---

[1] للتعرف على تفاصيل هذه الأضرار، انظر: *الله والعلم الحديث* ، (ص: 181-184)، *الإعجاز العلمي في الإسلام* ، (ص: 263-269)، *الإعجاز العلمي في القرآن* ، (ص: 122-131)، السيد الجميلي، *الإعجاز الطبي في القرآن* ، (بيروت، دار الهلال، 1990)، ص: 117-133.

[2] 42/6، 43.

[3] *تفسير القرطبي*، (2/ 53).

[4] فتوى القرضاوي، منشورة على موقعه تحت عنوان: «هل للخمر منافع وما هي؟».

أما ما ذكر من منافع أخرى، فقد اختلفت أقوال المفسرين فيه، فبعضهم –كالقرطبي والآلوسي– يكتفي بنقله كما فعل الرازي، وبعضهم لا ينقله، وآخرون يفندون هذه المنافع.

وما ذكره الإمام الرازي هو ما كان سائدًا آنذاك، فإن من الأطباء المسلمين من اتجه إلى أن

"شرب الخمر باعتدال مُعينٌ على الصحة، وأنها تهضم الطعام، وتشحذ الأذهان، وتقوّي الضعيف، وتزيد في الباءة، وتخصّب البدن، وتحسّن اللون ...إلخ، واتفقوا جميعًا على أن إدمان شربها والاكثار منها ضار بالصحة ، وأنها تؤدي إلى الرعشة والرجفة والفالج (الشلل)، وتبلّد الذهن، وترخي العصب، وتفسد مزاج الدماغ والكبد.. وكانوا ينصحون بتناولها ممزوجةً بالماء، ويفصلون في أنواعها ... وقد سطر ذلك الوهم الفاسد عن منافع الخمر الجسدية كلٌّ من : أبي بكر الرازي في كتابه «منافع الأغذية ودفع مضارها »، وأبي الحسين بن علي بن سينا في منافع الخمر في كتابه «القانون» من الجزء الأول والثالث في تدبير الماء والشراب ، وداود الأنطاكي المتوفى سنة (1008هـ) تحت باب: الخمر في «تذكرته» الشهيرة. ومع ذلك نجد بعض الأطباء المسلمين يعارضون هذا الاتجاه ، كابن النفيس القرشي "[1]. وقد فند صاحب المنار هذه المنافع، فقال:

"ومنها: أنها تسلي الحزين، على أن ما يكون بعدها من رد الفعل يزيد في الحزن والكآبة. ومنها: أنها تسخي البخيل، ولكن هذا السخاء قد صار ضررًا كله؛ لأنه يذهب بثروة البلاد فيضعها في أيدي شرار الأجانب؛ وقد كان في الجاهلية نافعًا، لأن الرجل كان يبذل ماله في قومه. ومنها: أنها تثير النخوة وتشجع الجبان، وربما كان هذا أعظم منافعها عند العرب في الجاهلية، وهو من أكبر مضراتها في هذا الزمان، ومثل هذه البلاد؛ لأن هذه الحميّة هي السبب فيما يكون بين السكارى من التنازع والتخاصم والاعتداء، ولا حاجة إليها في الحرب الآن بل هي ضارة فيها؛ لأن الحرب صارت صناعة دقيقة وفنًّا من العلم لابد فيها من حضور العقل وجودة النظر؛ فرب غلطةٍ من قائدٍ تذهب بجيشه وتُظفر به عدوه"[2].

قال الإمام ابن العربي في أحكامه: "والصحيح أن المنفعة هي الربح؛ لأنهم كانوا يجلبونها من الشام برخص فيبيعونها في الحجاز بربح كثير. وأما اللذة: فهي مضرة عند العقلاء؛ لأن ما تجلبه من اللذة لا يفي بما تذهبه من التحصيل والعقل، حتى إن العبيد الأدنياء وأهل النقص كانوا يتنزهون عن شربها لما فيها من إذهاب شريف العقل، وإعدامها فائدة التحصيل والتمييز"[3].

---

[1] محمد علي البار، «الإعجاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر»، بحث منشور على: www.eajaz.org.
[2] *تفسير المنار*، (2/ 263).
[3] أبو بكر بن العربي، *أحكام القرآن*، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003)، 1/ 210، 211.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لكننا نلتمس العذر للإمام، لأنه كان ناقلًا لعلم الفلاسفة والأطباء آنذاك؛ لكن العلم الحديث يثبت خطرها على جميع أجهزة الجسم كما سبق ذكره. يقول **الدكتور** محمد علي البار بعد أن نقل ما قاله الإمام الرازي:

"ولعمري لو كان في الخمر هذه الصفات لكان ذلك من دواعي شربها، بل هذا كله باطل ... وهو من الأوهام المتعلقة بالخمر ، فهي لا تقوي الضعيف بل تزيده ضعفًا وهزالًا . ولا تهضم الطعام بل تسبب التهاب الجهاز الهضمي ابتداء من الفم وانتهاء بالأمعاء مرورًا بالبلعوم والمريء والمعدة والبنكرياس والكبد. ولا تعين على الباه بل تفقد المرء عقله، فيقدم على الجرائم الجنسية ويعتدي على أمه وأخته، ونصف جرائم الاغتصاب على الأقل في العالم تقع تحت تأثير الخمر. وهي لا تسلي المحزون إذ إن تسليتها إذا حدثت وقتية سريعة الزوال وتعقبها الحسرات ، وتكثر المعارك والعداوات والبغضاء بين من يشربونها. وأما تشجيعها الجبان فهو ناتج عن فقدان العقل وحدوث التهور، وتقول الإحصائيات الحديثة إن 86% من جرائم القتل تمَّت تحت تأثير الخمور، فأي شجاعة هذه؟ ! وإن ما لا يقل عن 50% من حوادث المرور ناتجة عن شربها. وأما أنها تسخّي البخيل فعند فقده عقله يصرف ماله في غير موضعه، وهذا إسراف منهي عنه، وإضاعة للمال. وهؤلاء السكارى ينفقون أموالهم في الباطل والحرام ولا ينفقونها في سبيل الله، ولا لإغاثة ملهوف، وإنقاذ المنكوب، وإعانة الفقراء والأرامل واليتامى والمساكين. وأما تصفيتها اللون فهو ما يحدث من الحمرة في وجه شارب الخمر وذلك بسبب تمدد الأوعية الدموية تحت الجلد، وبسبب إصابة الكبد وتليفها، فيحدث ذلك الاحتقان، وهو علامة المرض لا علامة الصحة ، ويصحبه عادة ارتفاع في ضغط الدم فيزداد الخطر على الصحة على عكس ما توهمه القدماء.. وأما قوله: «وينعش الحرارة الغريزية » فعبارة يستخدمها القدماء ولا محل لها في الطب الحديث. وأما قوله: «ويزيد في الهمة والاستعلاء » فأي همة لدى هؤلاء السكارى سوى مزيد من السكر والعربدة؟! وهم أذل خلق الله.. ولا يستعلون إلا على الضعفاء والمساكين. وأما الأقوياء فيستخذون أمامهم ويتذللون لهم"[1].

[1] *الإعجاز العلمي في أحاديث منع التداوي بالخمر* . وانظر كتابه: *الخمر بين الطب والفقه* ، فصل: (هل للخمر منافع)، (السعودية، الدار السعودية، ط6، 1984)، ص: 39-48.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإعجاز في اختلاف الأشكال والطبائع

يفسر الإمام العلاقة بين الأمر بالتقوى والاستدلال بخلق الناس من نفس واحدة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ النساء: ١

قال رحمه الله:

"اعلم أنه تعالى أمرنا بالتقوى وذكر عقيبه أنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، وهذا مشعر بأن الأمر بالتقوى معللٌ بأنه تعالى خلقنا من نفس واحدة، ولابدّ من بيان المناسبة بين هذا الحكم وبين ذلك الوصف، فنقول:

قولنا: 'إنه تعالى خلقنا من نفس واحدة'، مشتمل على قيدين: أحدهما: أنه تعالى خلقنا، والثاني: كيفية ذلك التخليق، وهو أنه تعالي إنما خلقنا من نفس واحدة؛ ولكل واحد من هذين القيدين أثر في وجوب التقوى.

أما القيد الأول : وهو أنه تعالى خلقنا، فلا شك أن هذا المعنى علة لأن يجب علينا الانقياد لتكاليف الله تعالى والخضوع لأوامره ونواهيه...

وأما القيد الثاني: وهو أن خصوص كونه خالقًا لنا من نفس واحدة يوجب علينا الطاعة والاحتراز عن المعصية، فبيانه من وجوه:

الأول: أن خلق جميع الأشخاص الإنسانية من الإنسان الواحد أدل على كمال القدرة، من حيث إنه لو كان الأمر بالطبيعة والخاصية لكان المتولد من الإنسان الواحد، لم يكن إلا أشياء متشاكلة في الصفة متشابهة في الخلقة والطبيعة، فلما رأينا في أشخاص الناس الأبيض والأسود والأحمر والأسمر والحسن والقبيح والطويل والقصير، دل ذلك على أن مدبرها وخالقها فاعل مختار، لا طبيعة مؤثرة، ولا علة موجبة، ولما دلت هذه الدقيقة على أن مدبر العالم فاعل مختار قادر على كل الممكنات عالم بكل المعلومات، فحينئذ يجب الانقياد لتكاليفه وأوامره ونواهيه، فكان ارتباط قوله: ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ بقوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ في غاية الحسن والانتظام"[1].

مجيء الجنس البشري من نفس واحدة، ثم مجيء نسله على مختلِف الأشكال والطباع يدل على قدرة الواحد القهار؛ وإلا فالنتيجة الطبيعية تقضي بأن الفرع يأتي تابع للأصل ومشابه له في كل شيء. وهذا يرجع في الأصل إلى خلق آدم عليه السلام: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمرُ والأبيضُ والأسودُ وبين ذلك، والسهلُ والحزنُ والخبيثُ والطيبُ وبين ذلك»[2].

---

(1) 9/ 135، 136.

(2) صحيح: أخرجه أبو داود (4693)، والترمذي (2955)، وأحمد (19582)، وصححه الألباني وشعيب الأرناؤوط، ونقل الأخير عن السندي: "قوله: على قدر الأرض، أي: على لونها وصفاتها من الخبيث والطيب. والخبيث والطيب: هما الكافر والمؤمن، والسهل: هو الذي فيه رفق، والحزن: هو الذي فيه شدة في الخلق".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فولدُ آدم الأولون لم يكونوا على صفات واحدة؛ إنما وَلَد ولدًا أبيض وآخرَ أسود، وولد ولدًا سهلًا وآخر حزنًا، كقابيل وهابيل؛ فلما حصل التزاوج بين هذه الذرية، بدأ يتوسع الاختلاف والتنوع في الصفات الوراثية.

وأما تفسيرها العلمي: فتعطى الجينات تعليمات أولًا لصنع الخلايا ثم لتكوين الأنسجة بصورة سوية ثم تعديلها حتى يتم خلق الجنين ويخرج مولودًا على صورة فريدة يحمل صفات مقدرة كالطول والشكل ولون الشعر والعين وآلاف الصفات.. وهكذا فإنه بعد الخلق مباشرة، قدر الله تعالى لهذا المخلوق صفاته الوراثية وطوله ولونه وهيئته وقدراته العملية والعلمية والجسدية وربما الأمراض الوراثية التى قد يحملها واستعداده للإصابة بالأمراض المختلفة. وهكذا، فإن عملية التقدير يتم فيها التآلف بين الكروموسومات في النطفة الأمشاج المخصبة لتصبح 23 زوجًا نصفها من الأب والنصف الآخر من الأم، ويتم التآلف بين الجينات الموجودة على الكروموسومات بطريقة دقيقة مذهلة، وتحتوى الكروموسومات على حوالي 30 ألف جين وراثي يحدد إجمالى الشفرة الوراثية لإنسان واحد، والتي يبلغ عددها 3 آلاف مليون حرف وراثي[1].

[1] مجاهد أبو المجد وسامي عبدالفتاح، *إعجاز القرآن في إنجاب الذرية* ، (المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.eajaz.org)، ص: 152. وللتوسع ينظر: محمود عبدالله إبراهيم نجا ، *الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة*، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.eajaz.org.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نشأة الإنسان من طين

يذكر الإمام وجهًا آخر في خلق الإنسان من طين غير المشهور، ويرجحه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾

الأنعام: ٢

قال رحمه الله:

"المشهور أن المراد منه: أنه تعالى خلقهم من آدم، وآدم كان مخلوقًا من طين، فلهذا السبب قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾.

وعندي فيه وجه آخر، وهو: أن الإنسان مخلوق من المني ومن دم الطمث، وهما يتوالدان من الدم، والدم إنما يتولد من الأغذية، والأغذية إما حيوانية وإما نباتية، فإن كانت حيوانية كان الحال في كيفية تولد ذلك الحيوان كالحال في كيفية تولد الإنسان، فبقي أن تكون نباتية، فثبت أن الإنسان مخلوق من الأغذية النباتية، ولا شك أنها متولدة من الطين، فثبت أن كل إنسان متولد من الطين وهذا الوجه عندي أقرب إلى الصواب.

إذا عرفت هذا فنقول: هذا الطين قد تولدت النطفة منه بهذا الطريق المذكور، ثم تولد من النطفة أنواع الأعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل مثل القلب والدماغ والكبد، وأنواع الأعضاء البسيطة كالعظام والغضاريف والرباطات والأوتار وغيرها، وتولد الصفات المختلفة في المادة المتشابهة لا يمكن إلا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم، وذلك هو المطلوب"[1].

يتكون الجنين عن طريق اتحاد خلية الذكر «الحيوان المنوي» مع خلية الأنثى «البويضة» فتتكون خلية كاملة «بويضة ملقحة» قادرة على النمو. أما إذا لم يتم تلقيح هذه البويضة فإنها تتكسر وتتحول إلى دم الطمث. فدم الطمث لا دخل له بتكوين الجنين نهائيًا.. وقد كان المشهور عند المتقدمين –حتى الفقهاء، وهو منتشر في كتبهم– تعليل انقطاع الدورة الشهرية في وقت الحمل بأن الجنين يتغذى عليه؛ وهذا خطأ بيّن. وأصبح من المعلوم الآن أن دم الحيض إنما يتكون نتيجة لتكسر البويضة التي لا تجد تلقيحًا.. أما في فترة الحمل فلا تتكون بويضات أصلًا.

وقولُه "**إن المني يتولد من الدم، والدم يتولد من الأغذية**" قد يعني أن الغذاء يتحول في إحدى مراحل هضمه وبمروره في عضوٍ ما إلى دم، ويدخل عضوًا آخر دمًا ليخرج منه منيًا؛ بينما الصورة العلمية ليست كذلك تمامًا.. بل إن البروتينات والفيتامينات التي في الغذاء هي التي يحملها الدم ويتزود بها، وأما المني فهناك غدد محددة لإنتاجه.

وقد رجح الإمام أن المقصود من "الإنشاء من الأرض" هو: الغذاء النباتي الذي يتغذى عليه الخلق، وهذا النبات ناشيءٌ من الأرض. "عندما قام العلماء بتحليل الطين وجدوه يحتوي على

---

(1) 12/ 131، 132. وانظر أيضًا: (18/ 14) في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ هود: ٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العديد من العناصر، وأكبر كمية من هذه العناصر: الأوكسجين، والكربون، والهيدروجين، والفلور، والكلور، والصوديوم، والمغنسيوم، والبوتاسيوم، والحديد، والسيلوز، والمنجنيز.. وغيرها"[1].

ويقول صاحب المنار:

"بنية الإنسان مكونة من الغذاء، ومنه ما في رحم الأنثى من جراثيم النسل وما يلقحه من ماء الذكر، فهو متولد من الدم، والدم من الغذاء، والغذاء من نبات الأرض أو من لحوم الحيوان المتولد من الأرض، فمرجع كل إلى النبات من الطين، ومن تفكر في هذا ظهر له ظهورًا جليًا أن القادر عليه لا يعجزه أن يعيد هذا الخلق كما بدأه، إذا هو أمات هذه الأحياء بعد انقضاء آجالها التي قضاها لها في أجل آخر يضربه لهذه الإعادة بحسب علمه وحكمته"[2].

---

[1] *خواطر الشعراوي*، (6/ 3496). بتصرف

[2] *تفسير المنار*، (7/ 247). وانظر: *في ظلال القرآن*، (4/ 1907).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أضرار الشذوذ الجنسي

يذكر الإمام هنا طرفًا من الأضرار الناتجة عن الشذوذ الجنسي عقلًا وخلُقًا وطبًّا.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ الأعراف: ٨١

قال رحمه الله:

"بيان الوجوه الموجبة لقبح هذا العمل:

اعلم أن قبح هذا العمل كالأمر المقرر في الطباع، فلا حاجة فيه إلى تعديد الوجوه على التفصيل. ثم نقول: موجبات القبح فيه كثيرة:

أولها: أن أكثر الناس يحترزون عن حصول الولد، لأن حصوله يحمل الإنسان على طلب المال وإتعاب النفس في الكسب، إلا أنه تعالى جعل الوقاع سببًا لحصول اللذة العظيمة، حتى إن الإنسان بطلب تلك اللذة يقدم على الوقاع، وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى، وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع، فوضع اللذة في الوقاع، كشبه الإنسان الذي وضع الفخ لبعض الحيوانات، فإنه لابد وأن يضع في ذلك الفخ شيئًا يشتهيه ذلك الحيوان حتى يصير سببًا لوقوعه في ذلك الفخ، فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الفخ، والمقصود منه إبقاء النوع الإنساني الذي هو أشرف الأنواع.

إذا ثبت هذا فنقول: لو تمكن الإنسان من تحصيل تلك اللذة بطريق لا تفضي إلى الولد، لم تحصل الحكمة المطلوبة، ولأدى ذلك إلى انقطاع النسل، وذلك على خلاف حكم الله، فوجب الحكم بتحريمه قطعًا، حتى تحصل تلك اللذة بالطريق المفضي إلى الولد"

من شأن هذا الفعل أن يصرف الرجل عن المرأة، وقد يبلغ به الأمر إلى حد العجز عن مباشرتها، وبذلك تتعطل أهم وظيفة من وظائف الزواج، وهي إيجاد النسل. ولو قدر لمثل هذا الرجل أن يتزوج، فإن زوجته تكون ضحية من الضحايا، فلا تظفر بالسكن، ولا بالمودة، ولا بالرحمة التي هي دستور الحياة الزوجية، فتقضي حياتها معذبة معلقة، لاهي متزوجة ولا مطلقة[1].

"والوجه الثاني: وهو أن الذكورة مظنة الفعل، والأنوثة مظنة الانفعال، فإذا صار الذكر منفعلًا، والأنثى فاعلًا، كان ذلك على خلاف مقتضى الطبيعة، وعلى عكس الحكمة الإلهية"

إذا نظرنا إلى فسيولوجيا الجماع والوظيفة الطبيعية التي تؤديها الأعضاء التناسلية وقت المباشرة، ثم قارنا ذلك بما يحدث في هذا الفعل، وجدنا الفرق بعيدًا والبون بين الحالتين شاسعًا، ناهيك بعدم صلاحية الموضع وفقد ملاءمته للوضع الشاذ[2].

"والوجه الثالث: الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهيمة، وإذا كان الاشتغال بالشهوة يفيد فائدة أخرى سوى قضاء الشهوة، فليكن قضاء الشهوة من المرأة يفيد فائدة أخرى سوى قضاء الشهوة، وهو حصول الولد وإبقاء النوع

---

[1] سيد سابق، *فقه السنة*، (بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ)، 2/ 429.
[2] *السابق* (2/ 431).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإنساني الذي هو أشرف الأنواع. فأما قضاء الشهوة من الذكر فإنه لا يفيد إلا مجرد قضاء الشهوة، فكان ذلك تشبهًا بالبهائم، وخروجًا عن الغريزة الإنسانية، فكان في غاية القبح.

والوجه الرابع: هب أن الفاعل يلتذ بذلك العمل، إلا أنه يبقى في إيجاب العار العظيم، والعيب الكامل بالمفعول على وجه لا يزول ذلك العيب عنه أبد الدهر، والعاقل لا يرضى لأجل لذة خسيسة منقضية في الحال، إيجاب العيب الدائم الباقي بالغير"

الشذوذ الجنسي لوثة أخلاقية ومرض نفسي خطير، فتجد جميع من يتصفون به سيئي الخلق فاسدي الطباع، لا يكادون يميزون بين الفضائل والرذائل، ضعيفي الإرادة ليس لهم وجدان يؤنبهم، ولا ضمير يردعهم، لا يتحرج أحدهم، ولا يردعه رادع نفسي، عن السطو على الأطفال والصغار واستعمال العنف والشدة لاشباع عاطفته الفاسدة، والتجرؤ على ارتكاب الجرائم التي نسمع عنها كثيرًا، ونطالع أخبارها في الجرائد السيارة وفي غيرها، ونجد تفاصيل حوادثها في المحاكم وفي كتب الطب [١].

والوجه الخامس: أنه عمل يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول، وربما يؤدي ذلك إلى إقدام المفعول على قتل الفاعل لأجل أنه ينفر طبعه عند رؤيته، أو على إيجاب إنكائه بكل طريق يقدر عليه. أما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة، فإنه يوجب استحكام الألفة والمودة وحصول المصالح الكبيرة، كما قال تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾" [٢].

هذه العادة تغزو النفس، وتؤثر في الأعصاب تأثيرًا خاصًا، أحد نتائجه الإصابة بالانعكاس النفسي في خلق الفرد، فيشعر في صميم فؤاده بأنه ما خلق ليكون رجلًا، وينقلب الشعور إلى شذوذ، به ينعكس شعور اللائط انعكاسًا غريبًا، فيشعر بميل إلى بني جنسه، وتتجه أفكاره الخبيثة إلى أعضائهم التناسلية. ومن هذا تستطيع أن تتبين العلة الحقيقية في إسراف بعض الشبان الساقطين في التزين وتقليدهم النساء في وضع المساحيق المختلفة على وجوههم، ومحاولتهم الظهور بمظهر الجمال بتحمير أصداغهم، وتزجيج حواجبهم، وتثنيهم في مشيتهم، إلى غيرذلك [٣].

"والوجه السادس: أنه تعالى أودع في الرحم قوة شديدة الجذب للمني فإذا واقع الرجل المرأة قوي الجذب، فلم يبق شيء من المني في المجاري إلا وينفصل. أما إذا واقع الرجل فلم يحصل في ذلك العضو المعين من المفعول قوة جاذبة للمني، وحينئذ لا يكمل الجذب، فيبقى شيء من أجزأ المني في تلك المجاري ولا ينفصل، ويعفن ويفسد ويتولد منه الأورام الشديدة والأسقام العظيمة وهذه فائدة لا يمكن معرفتها إلا بالقوانين الطبية[٤]".

يضعف هذا الفعل مراكز الإنزال الرئيسية في الجسم ويعمل على القضاء على الحيوية المنوية فيه، ويؤثر على تركيب مواد المني ثم ينتهي الأمر بعد قليل من الزمن بعدم القدرة على إيجاد النسل، والإصابة بالعقم مما يَحكم على اللائطين بالانقراض والزوال [٥].

---

[١] *السابق* (2/ 431).
[٢] الروم: ٢١.
[٣] *فقه السنة*، (2/ 429).
[٤] 14/ 149، 150.
[٥] *السابق* (2/ 431). للمزيد: انظر: كتاب الحدود من فقه السنة، باب: عمل قوم لوط. وقد نقل فيه أضرارًا كثيرة للواط عن كتاب محمد وصفي، *الإسلام والطب*.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مراحل الإنسان العمرية

يرجح الإمام قولَ ابن عباس رضي الله عنهما إن نبوة يوسف عليه السلام كانت عند بلوغه ثلاثًا وثلاثين سنة. ويستدل على ترجيحه بقاعدة طبية.

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا يوسف: ٢٢

قال رحمه الله:

"روى ابن جرير[١] عن مجاهد عن ابن عباس: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾، قال: "ثلاثًا وثلاثين سنة".

وأقول: هذه الرواية شديدة الانطباق على القوانين الطبية[٢]، وذلك لأن الأطباء قالوا: إن الإنسان يحدث في أول الأمر ويتزايد كل يوم شيئًا فشيئًا إلى أن ينتهي إلى غاية الكمال، ثم يأخذ في التراجع والانتقاص إلى أن لا يبقى منه شيء، فكانت حالته شبيهة بحال القمر؛ فإنه يظهر هلالًا ضعيفًا ثم لا يزال يزداد إلى أن يصير بدرًا تامًا ثم يتراجع إلى أن ينتهي إلى العدم والمحاق.

إذا عرفت هذا فنقول: مدة دور القمر ثمانية وعشرون يومًا وكسر، فإذا جعلت هذه الدورة أربعة أقسام كان كل قسم منها سبعة أيام، فلاجرم رتبوا أحوال الأبدان على الأسابيع[٣]:

فالإنسان إذا ولد كان ضعيف الخلقة نحيف التركيب إلى أن يتم له سبع سنين، ثم إذا دخل في السبعة الثانية حصل فيه آثار الفهم والذكاء والقوة، ثم لا يزال في الترقي إلى أن يتم له أربع عشرة سنة، فإذا دخل في السنة الخامسة عشرة دخل في الأسبوع الثالث، وهناك يكمل العقل ويبلغ إلى حد التكليف وتتحرك فيه الشهوة، ثم لا يزال يرتقي على هذه الحالة إلى أن يتم السنة الحادية والعشرين، وهناك يتم الأسبوع الثالث ويدخل في السنة

---

[١] ابن جرير الطبري (224- 310هـ/ 839- 923م) هو:

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهدا في أحكام الدين لا يقلد أحدا، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً.

له: (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري، و(جامع البيان في تفسير القرآن) يعرف بتفسير الطبري، و(اختلاف الفقهاء)، و(المسترشد) في علوم الدين، و(جزء في الاعتقاد). الزركلي، *الأعلام*، (6/ 69).

[٢] وأما أهل الأثر، كابن جرير، فيتوقفون في ذلك.. يقول:

"إن الله أخبر أنه آتى يوسف لما بلغ أشدهُ حكمًا وعلمًا، و(الأشُدّ): هو انتهاء قوته وشبابه، وجائز أن يكون آتاه ذلك وهو ابن ثماني عشرة سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن عشرين سنة، وجائز أن يكون آتاه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة؛ ولا دلالة له في كتاب الله، ولا أثر عن الرسول ﷺ ولا في إجماع الأمة على أيّ ذلك كان. وإذا لم يكن ذلك موجودًا من الوجه الذي ذكرت، فالصوابُ أن يقال فيه كما قال ﷻ، حتى تثبت حجة بصحة ما قيل في ذلك من الوجه الذي يجب التسليم له، فيسلم لها حينئذ". *تفسير الطبري*، (15/ 23).

[٣] يعني: أسباع- جمع: سَبْع، والمقصود: سبع سنين.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثانية والعشرين، وهذا الأسبوع آخر أسابيع النشوء والنماء، فإذا تمت السنة الثامنة والعشرون فقد تمت مدة النشوء والنماء، وينتقل الإنسان منه إلى زمان الوقوف، وهو الزمان الذي يبلغ الإنسان فيه أشده، وبتمام هذا الأسبوع الخامس يحصل للإنسان خمسة وثلاثون سنة، ثم إن هذه المراتب مختلفة في الزيادة والنقصان؛ فهذا الأسبوع الخامس الذي هو أسبوع الشدة والكمال يبتدأ من السنة التاسعة والعشرين إلى الثالثة والثلاثين، وقد يمتد إلى الخامسة والثلاثين، فهذا هو الطريق المعقول في هذا الباب، والله أعلم بحقائق الأشياء"[1].

يعتبر علم نفس النمو (Developmental Psychology) فرعًا من فروع علم النفس، ويعرف بأنه: العلم الذي يهتم بدراسة مراحل النمو المختلفة للإنسان بمظاهرها الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية. و يعرف النمو بأنه : مجموع التغيرات التي تحدث في جوانب شخصية الإنسان الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية ، والتي تظهر من خلالها إمكانيات الإنسان واستعداداته الكامنة على شكل قدرات أو مهارات أو خصائص [2]. وقد ظهرت أولى المحاولات لهذا العلم عند الفيلسوف اليوناني أفلاطون.

و«القاعدة الطبية» التي ذكرها الإمام لها نظريات متعددة، وتختلف تقسيمات المراحل العمرية في كل نظرية طبقًا لعدة أسس – ك التربوية أو العضوية– ونتيجةً للتعدد النظرى في دراسة الشخصية؛ ويمكن القول إجمالًا بأن الكائن البشرى يمر خلال مراحل نموه المختلفة –ابتداءً من لحظة الإخصاب حتى مماته– بمراحل أساسية عامة ، ه ي: 1- مرحلة ما قبل الميلاد (الجنينية). 2- مرحلة الطفولة. 3- مرحلة المراهقة. 4- مرحلة الرشد والنضج. 5- مرحلة وسط العمر. 6- مرحلة الشيخوخة[3].

ومن المتفق عليه أن النمو العقلي في الإنسان يبلغ أقصاه في سن الأشد، يقول صاحب المنار: ''ثبت عن علماء النفس والاجتماع أن الإنسان يظهر استعداده العقلي والعلمي بالتدريج، حتى إذا بلغ خمسًا وثلاثين سنة لا يظهر فيه شيء جديد من العلم الكسبي غير ما يظهر من بدء سن التمييز إلى هذه السن''[4].

---

(1) 18/ 91. وانظر أيضًا: (20/ 61) في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ النحل: ٧٠.

(2) إبراهيم بن عبدالله المحيسن، «خصائص النمو.. مفهومها، أهميتها.. لجميع المراحل»، مقال منشور على موقع: www.mohyssin.com

(3) فالح العمره، «نمو الشخصية»، مقال منشور في قسم الدراسات والبحوث العلمية، على موقع: مجالس العجمان الرسمي: www.alajman.ws.

(4) (12/ 226).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما تغيض الأرحام وما تزداد

ينقل الإمام هنا أقوالًا متعددة في كيفية غيض الأرحام وازديادها.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ الرعد: ٨

قال رحمه الله:

"والغيض هو النقصان.. ثم اختلفوا فيما تغيضه الرحم وتزداده، على وجوه:

الأول: عدد الولد، فإن الرحم قد يشتمل على واحد واثنين وعلى ثلاثة وأربعة، يروي أن شريكًا كان رابع أربعة في بطن أمه.

الثاني: الولد قد يكون مُخْدَجًا[1] وقد يكون تامًا.

الثالث: مدة ولادته، قد تكون تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين، عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وإلى أربعة عند الشافعي، وإلى خمس عند مالك، وقيل: إن الضحاك[2] ولد لسنتين، وهرم بن حيان[3] بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرمًا[4].

الرابع: الدم، فإنه تارة يقل وتارة يكثر.

الخامس: ما ينقص بالسقط من غير أن يتم[5]، وما يزداد بالتمام.

---

[1] أي: ناقصًا.

[2] الضحاك (ت 11هـ/ 632م) هو:

الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي، أبو سعيد: شجاع، صحابي. كان نازلًا بنجد، وولاه رسول الله ﷺ على من أسلم هناك من قومه. ثم اتخذه سيافًا، فكان يقوم على رأس النبي ﷺ متوشحًا بسيفه. وكانوا يعدونه بمائة فارس. وله شعر. قيل: استشهد في قتال أهل الردة من بني سليم. الزركلي، *الأعلام*، (3/ 214).

[3] هرم بن حيان (ت بعد 26هـ/ بعد 647م) هو:

هرم بن حيان العبدي الأزدي، من بني عبد القيس: قائد فاتح، من كبار النساك. من التابعين. كان أمير بني عبد القيس في الفتوح. وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان، بأرض فارس. وحاصر بوشهر سنة 18 ودخلها. وكان من سكان البصرة. عده ابن أبي حاتم في الزهاد الثمانية، من كبار التابعين. وسماه الجاحظ في النساك الزهاد من أهل البيان. من كلامه: "إياكم والعالم الفاسق!" سأله عمر عما أراد به، فكتب إليه: "ما أردت إلا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم ويعمل بالفسق فيشبه على الناس فيضلون". وبعثه عثمان بن أبي العاص (أمير البحرين) إلى قلعة (بجرة) ويقال لها: (قلعة الشيوخ) فافتتحها عنوة (سنة 26)، ومات في إحدى غزواته. الزركلي، *الأعلام*، (8/ 82).

[4] نقل الإمام هذا الكلام عن الزمخشري. انظر: *الكشاف*، (2/ 486).

[5] قال الشيخ السعدي: "أي تنقص مما فيها؛ إما أن يهلك الحمل (السقط الذي يلفظه الرحم)، أو يتضاءل (الإجهاض المخفي حيث ينكمش الجنين ويتضاءل)، أو يضمحل (الأجنة التي تتلاشى في الرحم)". تفسير السعدي، (ص: 414).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السادس: ما ينقص بظهور دم الحيض، وذلك لأنه إذا سال الدم في وقت الحمل ضعف الولد ونقص، وبمقدار حصول ذلك النقصان يزداد أيام الحمل لتصير هذه الزيادة جابرة لذلك النقصان، قالابن عباس ﷺ: كلما سال الحيض في وقت الحمل يومًا زاد في مدة الحمل يومًا ليحصل به الجبر ويعتدل الأمر.

السابع: أن دم الحيض فضلة تجتمع في بطن المرأة، فإذا امتلأت عروقها من تلك الفضلات فاضت وخرجت وسالت من دواخل تلك العروق، ثم إذا سالت تلك المواد امتلأت تلك العروق مرة أخرى.

هذا كله إذا قلنا إن كلمة (ما) موصولة؛ أما إذا قلنا إنها مصدرية، فالمعنى: أنه تعالى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا من أوقاته وأحواله[1].

وقد قرر الأطباء في العصر الحديث أن أكثر مدة يمكن أن يوجد فيها الجنين في بطن الأم هي (280) يومًا، أي تسعة أشهر وعشرة أيام، لا أكثر. بل أكد الأطباء على أن هناك مدة إذا بقي فيها الحمل في بطن الأم فإنه لا يمكن أن يولد حيًّا، ويختلفون في تلك المدة . فمنهم من قال: عشرة أشهر؛ لأن المشيمة التي تغذي الجنين تصاب بالشيخوخة بعد الشهر التاسع، وتقل كمية الأكسجين والغذاء المارَّيْن من المشيمة إلى الجنين، فيموت الجنين. وقال البعض: (310) يومًا، وقيل: أحد عشر شهرًا، ويقولون: إن مدة الحمل مائتان وثمانون يومًا، فإذا تأخرت الولادة فإن في المشيمة بقيةَ رصيدٍ يخدم الجنين بكفاءة لمدة أسبوعين فقط آخرين، ثم يعاني الجنين من المجاعة بعد ذلك، التي تؤدي إلى موته في الأسبوع الثالث على الأكثر، ومن النادر طبِّيًّا أن ينجو أحد من الموت . وإتمامًا لاستيعاب هذا النادر، فإنه تمد المدة إلى أسبوعين آخرين، لتكون المدة ثلاثمائة وثلاثين يومًا، أي أحد عشر شهرًا.

وقد أجاب الأطباء عما ذكره الفقهاء من مدد طويلة للحمل بعدة أمور:

- فإما أنها حمل وهميٌّ كاذب، وغالبًا ما يحدث الحمل الوهمي أو الكاذب عند النساء في نهاية العقد الثالث من عمرهن، سيما مع التشوف والشغف الشديدين للحمل، والسبب هو اضطراب هرموني مؤقت يسبِّب أعراضَ ذلك الحملِ الكاذبِ.

- الخطأ في الحساب، كحساب مدة انقطاع الدورة الشهرية ضمن مدة الحمل، وقد أشار ابن الهمام الحنفي إلى وجود حالات كهذه في عهده.

- موت الحمل في البطن، ومكثه مدة طويلة، والحمل طبيًا قد يموت في بطن الأم، وبمرور الوقت يتكلس ويترسب إلى أملاح الكالسيوم حتى يصبح مثل الجير، إلى أن ينزل أو يقذفه الرحم[2].

والدم الذي ينزل من المرأة الحامل مبكرًا لا يعدو إلا أن يكون راجعًا لأحد احتمالات خمسة: دم بسيط يعرف بإدماء الانغراس، أو دماء تسبق الإسقاط وتسمى إسقاطًا منذرًا، أو دماء

---

(١) 19/ 13، 14.

(٢) محمد بن موسى الدالي، «الطب الحديث ينفي أن يعيش الجنين في بطن أمه أكثر من سنة»، مقال منشور على:
http://www.islamfeqh.com/News/NewsItem.aspx?NewsItemID=3856

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تصاحب الإسقاط التلقائي للجنين المبكر-وهذا يختلط عند المرأة مع الحيض- أو دماء تنزل في حالات الحمل الكاذب، ومتلازمة التوأم المتلاشي.

فالدم الذي تراه المرأة مصحوبًا ببقاء الحمل لا يمكن أن يكون دم حيض، ولا علاقة له ببقاء الجنين فترة أطول في الرحم، بل ربما يؤثر في نقص عمر الجنين أو وزنه، فالجنين الذي يبقى عادة مع الإجهاض المنذر ينزل دون التسعة أشهر، أو ينزل دون الوزن الطبيعي. وعليه فكل الآراء التي ربطت بين ضعف الولد ورقته بحدوث هذه الدماء وازدياد مدة الحمل أكثر من المدة المعهودة آراء غير صحيحة وليس عليها أي دليل علمي، بناء على هذا يمكن أن نقرر أن تعريف بعض السلف للغيض بأنه الدماء التي تراها الحامل في حملها يصب في بوتقة السقط، ويعتبر تعريفًا له بأحد لوازمه، فالدماء هي الشيء الملازم غالبًا والمصاحب للسقط[1].

[1] عبدالجواد الصاوي، «الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في دلالة غيض الأرحام»، مقال منشور على: http://www.eajaz.org/index.php/component/content/article/63-Fifth-Issue/573

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كون الولد ذكرًا أو أنثى

يورد الإمام هنا تفسير الفلاسفة لكون المولود ذكرًا أو أنثى، ثم يردّه –على اعتبار أنهم يرجعون الأمر إلى الطبيعة فقط دون قدرة الخالق سبحانه–؛ ولا يذكر شيئًا غيره.

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ النحل: ٧٢

قال رحمه الله:

"قال الأطباء وأهل الطبيعة[1]: التفاوت بين الذكر والأنثى إنما كان لأجل أن كل من كان أسخن مزاجًا فهو الذكر، وكل من كان أكثر بردًا ورطوبة فهو المرأة. ثم قالوا: المني إذا انصب إلى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منه إلى الجانب الأيمن من الرحم كان الولد ذكرًا تامًا في الذكورة؛ وإن انصب إلى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها إلى الجانب الأيسر من الرحم كان الولد أنثى تامًا في الأنوثة؛ وإن انصب إلى الخصية اليمنى ثم انصب منها إلى الجانب الأيسر من الرحم كان الولد ذكرًا في طبيعة الإناث؛ وإن انصب إلى الخصية اليسرى من الرجل ثم انصب منها إلى الجانب الأيمن من الرحم كان هذا الولد أنثى في طبيعة الذكور"

المرأة لديها مبيضان، يقعان منفردان في التجويف البطني مقابلان لقناتي فالوب . وهذان المبيضان يتبادلان إخراج البويضات دورة شهرية الواحدة تلو الأخرى . فيكون التخصيب لبويضة واحدة في رحم المرأة، وهي التي أتى دورها الشهري؛ ربما تكون من المبيض الأيمن، وربما تكون من المبيض الأيسر. ولكن لا علاقة أبدًا لجهة الخصية أو جهة البويضة بعملية التلقيح. فالثابت علميًا أن الحيوان المنوي يحتوي 22 كروموسومًا جسديًا، بالإضافة إلى كروموسوم جنسي، هذا الأخير يمكن أن يكون X أو Y؛ في حين أن البويضة تحتوي على عدد موحد منفرد (22+X) فقط. فإن اتحد XX كان الولد أنثى، وإن اتحد XY كان الولد ذكرًا[2].

"واعلم أن حاصل هذا الكلام أن الذكورة علتها الحرارة واليبوسة، والأنوثة علتها البرودة والرطوبة، وهذه العلة في غاية الضعف؛ فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة، وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة، ولو كان الموجب للذكورة والأنوثة ذلك لامتنع ذلك. فثبت أن خالق الذكر والأنثى هو الإله القديم الحكيم"[3].

---

[1] الطبيعة عند قدماء الأطباء هي: المزاج والحرارة الغريزية وهيئات الأعضاء والحركات والنفس النباتية . معجم *صليبا*، (2/ 14).

[2] عنايات عزت عثمان، *المساواة بين الرجل والمرأة أكنوبة بيولوجية* ، (المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.eajaz.org)، ص: 339- العلوم الطبية.

[3] 20/ 66، 67. وقد كان مفهوم الرطوبة واليبوسة هذا سائدًا عند الفلاسفة، على اعتبار العناصر الأربعة وطبائعها.. حتى أن الإمام الرازي في موضع آخر لا ينقل غيره ولا يردّه، انظر: (20/ 54) من تفسيره.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويسألونك عن الروح

يُعتبر الإمام مِن أكثر مَن توسع في تفصيل مسألة الروح[1]. وقد لخص هنا معضلة الروح في عدة أسئلة تشمل جوانبها المتعددة. واختار عدم امتناع معرفة الروح، ورجح القول بأنها أجسام نورانية سماوية لطيفة تَنفُذ في البدن ما دام قابلًا لها.

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا الإسراء: ٨٥

قال رحمه الله:

"للمفسرين في الروح المذكورة في هذه الآية أقوال، أظهرها: أن المراد منه الروح الذي هو سبب الحياة".

جاء في كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : "اختلفت الأقوال في الروح. فقال كثير من أرباب علم المعاني وعلم الباطن والمتكلّمين : لا نعلم حقيقته ، ولا يصحّ وصفه، وهو مما جهل العباد بعلمه ، مع التيقّن بوجوده "[2]. ويقول الأستاذ العقاد: "مسألة الروح أعضل مسائل العلم والفلسفة ومذاهب التفكير على التعميم منذ فكر الإنسان في حقائق الأشياء، بين جميع أصحاب النحل والآراء، في جميع العصور"[3].

"روي أن اليهود قالوا لقريش: اسألوا محمدًا عن ثلاث فإن أخبركم باثنتين وأمسك عن الثالثة فهو نبي، اسألوه عن أصحاب الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح. فسألوا رسول الله ﷺ عن هذه الثلاثة. فقال عليه السلام: «غدًا أخبركم»، ولم يقل إن شاء الله، فانقطع عنه الوحي أربعين يومًا، ثم نزل الوحي بعده: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[4]، ثم فسر لهم قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وأبهم قصة الروح، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾، وبين أن عقول الخلق قاصرة عن معرفة حقيقة الروح، فقال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[5].

ومن الناس من طعن في هذه الرواية من وجوه:

---

[1] ومن بعده ابن القيم في كتابه «الروح»، ومن بعده الآلوسي في تفسيره.

[2] (1/ 875).

[3] عباس محمود العقاد، *الفلسفة القرآنية*، (بيروت، المكتبة العصرية، بدون تاريخ)، ص: 120.

[4] الكهف: ٢٣ – ٢٤.

[5] أخرجه ابن إسحاق والطبري وابن المنذر وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل. انظر: الدر المنثور (5/ 357)، ابن كثير (3/ 72)، أسباب النزول (ص: 338)؛ نقلًا عن تحقيق تفسير البغوي (5/ 125)، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع- 1417هـ/ 1997م. والذي في الصحيحين عن عبد الله قال: بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه فقمت، فلما انجلى عنه الوحي قال: {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}. أخرجه البخاري (التفسير/ سورة الإسراء/ باب ويسألونك عن الروح)، ومسلم (صفات المنافقين وأحكامهم/ باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أولها: أن الروح ليس أعظم شأنًا ولا أعلى مكانًا من الله تعالى، فإذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فأي مانع يمنع من معرفة الروح؟!

وثانيها: أن اليهود قالوا إن أجاب عن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ولم يجب عن الروح فهو نبي؛ وهذا كلام بعيد عن العقل، لأن قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين ليست إلا حكاية من الحكايات، وذكر الحكاية يمتنع أن يكون دليلًا على النبوة. وأيضًا فالحكاية التي يذكرها إما أن تعتبر قبل العلم بنبوته أو بعد العلم بنبوته، فإن كان قبل العلم بنبوته كذبوه فيها، وإن كان بعد العلم بنبوته فحينئذ صارت نبوته معلومة قبل ذلك، فلا فائدة في ذكر هذه الحكاية، وأما عدم الجواب عن حقيقة الروح فهذا يبعد جعله دليلًا على صحة النبوة.

وثالثها: أن مسألة الروح يعرفها أصاغر الفلاسفة وأراذل المتكلمين، فلو قال الرسول ﷺ إني لا أعرفها، لأورث ذلك ما يوجب التحقير والتنفير، فإن الجهل بمثل هذه المسألة يفيد تحقير أي إنسان كان، فكيف الرسول الذي هو أعلم العلماء وأفضل الفضلاء؟!

ورابعها: أنه تعالى قال في حقه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾[1]، وقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[2]، وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[3]، وقال في صفة القرآن: ﴿وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[4]، وكان عليه السلام يقول: «اللهم أرنا الأشياء كما هي»[5]، فمن كان هذا حاله وصفته كيف يليق به أن يقول أنا لا أعرف هذه المسألة مع أنها من المسائل المشهورة المذكورة بين جمهور الخلق؟!

بل المختار عندنا أنهم سألوه عن الروح، وأنه ﷺ أجاب عنه على أحسن الوجوه[6]، وتقريره أن المذكور في الآية أنهم سألوه عن الروح، والسؤال عن الروح يقع على وجوه كثيرة:

أحدها: أن يقال ماهية الروح، أهو متحيز أو حال في المتحيز أو موجود غير متحيز ولا حال في التحيز؟ وثانيها: أن يقال الروح قديمة أو حادثة؟ وثالثها: أن يقال الأرواح هل تبقى بعد موت الأجسام أو تفنى؟ ورابعها: أن يقال ما حقيقة سعادة الأرواح وشقاوتها؟ وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة، وقوله: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ ليس فيه ما يدل على أنهم عن هذه المسائل سألوا أو عن غيرها، إلا أنه تعالى ذكر له في الجواب عن هذا

---

(١) الرحمن: ١ – ٢.
(٢) النساء: ١١٣
(٣) طه: ١١٤.
(٤) الأنعام: ٥٩. ولكن المقصود بالكتاب المبين هنا: اللوح المحفوظ، وليس القرآن . انظر تفاسير: الطبري، البغوي، السعدي.
وقد رجح الإمام في تفسيره لها أن المراد: علم الله تعالى لا غير.
(٥) جاء في فتوى رقم: (193117) من فتاوى شبكة الإسلام حين سئلوا عن هذا الحديث: "لم نقف على حديث مرفوع إلى النبي ﷺ باللفظ المذكور، وورد في صيد الخاطر لابن الجوزي، قال: قد جاء في الأثر: اللهم أرنا الأشياء كما هي، وهذا كلام حسن غاية، وأكثر الناس لا يرون الأشياء بعينها، فإنهم يرون الفاني كأنه باق، ولا يكادون يتخايلون زوال ما هم فيه، وإن علموا ذلك؛ إلا أن عين الحس مشغولة بالنظر إلى الحاضر، ألا ترى زوال اللذة وبقاء إثمها؟! ولو رأى اللص قطع يده، هان عنده المسروق. اهـ".
http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=193117
(٦) هذه محاولة من الإمام أن يفسر الرد «من أمر ربي»، وأحسن الوجوه هو ما رد به ﷺ من نسبة علمها إلى الله سبحانه؛ والروايات التي وردت في هذا الخبر تؤكد على أنه ﷺ لم يزد على بيان أنها من أمر الله ﷻ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السؤال قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾؛ وهذا الجواب لا يليق إلا بمسألتين من المسائل التي ذكرناها، إحداهما: السؤال عن ماهية الروح، والثانية: عن قدمها وحدوثها".

يقول الأستاذ العقاد:

"فمن معجزات القرآن أنه وضعها هذا الموضع الصحيح من الفلسفة والعلم، وجعلها أعضل المعضلات التي يتساءل عنها الناس بغير استثناء. ويزيد في تقدير هذه المعجزة أن القرآن لم يستكثر على الفكر الإنساني أن يخوض في المسألة الإلهية، وأن يصل إلى الإيمان بالله من طريق البحث والاستدلال والنظر في آيات الخلق وعجائب الطبيعة. فالعقل يهتدي إلى وجود الله من النظر في وجود الأشياء ووجود الأحياء؛ ولكنه لا يهتدي إلى حقيقة الروح من هذا الطريق، ولا يذهب فيها مذهبًا أبعد ولا أعمق من الإحالة إلى مصدر الموجودات جميعًا، وهي إرادة الله أو أمر الله. وقد عجب بعض المفسرين لذلك، وراحوا يتساءلون: أتكون مسألة الروح أكبر من المسألة الإلهية، وهي غاية الغايات في سبح العقول؟! ولكنهم في الواقع يرجعون بالعجب إلى غير مرجعه الأصيل، لأن المعضلة الفكرية لا تبلغ مبلغ الإعضال بمقدار عظمتها واتساعها؛ بل بمقدار دقتها وخفائها"[1].

"أما البحث الأول فهم قالوا: ما حقيقة الروح وماهيته؟ أهو عبارة عن أجسام موجودة في داخل هذا البدن متولدة من امتزاج الطبائع والأخلاط، أو عبارة عن نفس هذا المزاج والتركيب، أو هو عبارة عن عرض آخر قائم بهذه الأجسام، أو هو عبارة عن موجود يغاير هذه الأجسام والأعراض؟

فأجاب الله عنه[2] بأنه موجود مغاير لهذه الأجسام ولهذه الأعراض؛ وذلك لأن هذه الأجسام أشياء تحدث من امتزاج الأخلاط والعناصر، وأما الروح فإنه ليس كذلك؛ بل هو جوهر بسيط مجرد[3] لا يحدث إلا بمحدث، قوله: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[4]".

فالروح على هذا القول ليست مادة، ولا تتكون من أيٍّ من عناصرها. قال الإمام الغزالي:

"أما سؤالك: ما حقيقة القلب؟ فلم يجئ في الشريعة أكثر من قول الله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، لأن الروح من جملة القدرة الإلهية، وهو من عالم الأمر، قال الله ﷻ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ الأعراف: ٥٤. فالإنسان من عالم الخلق من جانب، ومن عالم الأمر من جانب؛ فكل شيء يجوز عليه المساحة والمقدار

---

[1] *الفلسفة القرآنية*، (ص: 120، 121).

[2] يُحمل هذا على أن الجواب المذكور في القرآن يتضمن هذا التفصيل الذي يوضحه الإمام!

[3] المجرد Abstarct: هو ما عزل عزلًا ذهنيًا، والذهن هو الذي يأخذ الصورة مجردة عن المادة ولواحقها، وهي الكم والكيف والأين. *المعجم الفلسفي*، (ص: 171).

[4] البقرة: ١١٧، آل عمران: 47، 59، الأنعام: 73، النحل: 40، مريم: 35، يس: 82، غافر: 68.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والكيفية فهو من عالم الخلق. وليس للقلب مساحة ولا مقدار؛ ولهذا لا يقبل القسمة، ولو قبل القسمة لكان من عالم الخلق، وكان من جانب الجهل جاهلًا ومن جانب العلم عالمًا، وكل شيء يكون فيه علم وجهل فهو محال. وفي معنى آخر هو من عالم الأمر؛ لأن عالم الأمر عبارة عن شيء من الأشياء لا يكون للمساحة والتقدير طريق إليه"[1].

ويقول الأستاذ العقاد: "وسواء أفهمنا من الروح أنها جوهر مجرد تقوم به حياة الأجساد، أم فهمنا كما يفهم الماديون أنها ظاهرة الحياة في تركيبة من تراكيب المادة — فلا يزال العلم بحقيقتها قليلًا أو أقل من القليل"[2].

"فقالوا: لم كان شيئًا مغايرًا لهذه الأجسام ولهذه الأعراض؟

فأجاب الله عنه بأنه موجود يحدث بأمر الله وتكوينه وتأثيره في إفادة الحياة لهذا الجسد، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه؛ فإن أكثر حقائق الأشياء وماهياتها مجهولة. فإنا نعلم أن السكنجبين له خاصية تقتضي قطع الصفراء، فأما إذا أردنا أن نعرف ماهية تلك الخاصية وحقيقتها المخصوصة فذاك غير معلوم[3]، فثبت أن أكثر الماهيات والحقائق مجهولة، ولم يلزم من كونها مجهولة نفيها؛ فكذلك ها هنا، وهذا هو المراد من قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

وأما المبحث الثاني ، فهو : أن لفظ الأمر قد جاء بمعنى الفعل ، قال تعالى : ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾[4]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾[5]، أي: فعلنا، فقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من فعل ربي، وهذا الجواب يدل على أنهم سألوه أن الروح قديمة أو حادثة فقال: بل هي حادثة؛ وإنما حصلت بفعل الله وتكوينه وإيجاده، ثم احتج على حدوث الروح بقوله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، يعني: أن الأرواح في مبدأ الفطرة تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل فيها العلوم والمعارف، فهي لا تزال تكون في التغيير من حال إلى حال وفي التبديل من نقصان إلى كمال؛ والتغيير والتبديل من أمارات الحدوث فقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ يدل على أنهم سألوه أن الروح هل هي حادثة ، فأجاب بأنها حادثة واقعة بتخليق الله وتكوينه ، وهو المراد من قوله :

---

[1] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، *كيمياء السعادة*، (نسخة إلكترونية، المكتبة الشاملة)، (فصل: ما حقيقة القلب)، ص: 126. والقلب عنده هو الروح.

[2] *الفلسفة القرآنية*، (ص: 120).

[3] السَّكَنجَبِين: شراب مركب من حامض وحلو . *المعجم الوسيط*، (ص: 440)، وهو دواء يعرف الأطباء تركيبه؛ بينما أثبت الإمام أن الروح لا تتركب من امتزاج العناصر والأخلاط.

[4] هود: ٩٧. وقد فسرها الإمام في موضعها بـ"طريق فرعون".

[5] هود: ٦٦، 82. وقد فسر الإمام الأمر في مثل هذه المواضع بـ"الإذن أو العذاب".

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، ثم استدل على حدوث الأرواح بتغيرها من حال إلى حال ، وهو المراد من قوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾، فهذا ما نقوله في هذا الباب والله أعلم"[1].

"اعلم أن الأجسام الموجودة في هذا العالم السفلي إما أن تكون أحد العناصر الأربعة أو ما يكون متولدًا من امتزاجها، ويمتنع أن يحصل في البدن الإنساني جسم عنصري خالص؛ بل لابد وأن يكون الحاصل جسمًا متولدًا من امتزاجات هذه الأربعة.

فنقول: أما الجسم الذي تغلب عليه الأرضية فهو الأعضاء الصلبة الكثيفة، كالعظم والغضروف والعصب والوتر والرباط والشحم واللحم والجلد؛ ولم يقل أحد من العقلاء الذين قالوا الإنسان شيء مغاير لهذا الجسد بأنه عبارة عن عضو معين من هذه الأعضاء، وذلك لأن هذه الأعضاء كثيفة ثقيلة ظلمانية، فلا جرم لم يقل أحد من العقلاء بأن الإنسان عبارة عن أحد هذه الأعضاء.

وأما الجسم الذي تغلب عليه المائية فهو الأخلاط الأربعة، ولم يقل أحد في شيء منها إنه الإنسان؛ إلا في الدم، فإن منهم من قال إنه هو الروح، بدليل أنه إذا خرج لزم الموت.

أما الجسم الذي تغلب عليه الهوائية والنارية فهو الأرواح، وهي نوعان: أحدهما: أجسام هوائية مخلوطة بالحرارة الغريزية متولدة إما في القلب أو في الدماغ، وقالوا إنها هي الروح وإنها هي الإنسان؛ ثم اختلفوا: فمنهم من يقول الإنسان هو الروح الذي في القلب، ومنهم من يقول إنه جزء لا يتجزأ في الدماغ، ومنهم من يقول الروح عبارة عن أجزاء نارية مختلطة بهذه الأرواح القلبية والدماغية وتلك الأجزاء النارية، وهي المسماة بالحرارة الغريزية، وهي الإنسان.

ومن الناس من يقول: الروح عبارة عن أجسام نورانية سماوية لطيفة، والجوهر على طبيعة ضوء الشمس، وهي لا تقبل التحلل والتبدل ولا التفرق ولا التمزق، فإذا تكون البدن وتم استعداده –وهو المراد بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾[2]– نفذت تلك الأجسام الشريفة السماوية الإلهية في داخل أعضاء البدن نفاذ النار في الفحم، ونفاذ دهن السمسم في السمسم، ونفاذ ماء الورد في جسم الورد[3]، ونفاذ تلك الأجسام السماوية في جوهر البدن هو المراد بقوله: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[4]. ثم إن البدن ما دام يبقى سليمًا قابلًا لنفاذ تلك الأجسام الشريفة بقي حيًّا، فإذا تولدت في البدن أخلاط غليظة منعت تلك الأخلاط الغليظة من سريان تلك الأجسام الشريفة فيها فانفصلت عن هذا البدن، فحينئذ يعرض الموت. فهذا مذهب قوي شريف يجب التأمل فيه، فإنه شديد المطابقة لما ورد في الكتب الإلهية من أحوال الحياة والموت"[5].

---

[1] 21/ 33 - 35. "وتلخيص الإمام الرازي للمعضلة شامل لجوانبها المتعددة كما بدت للمفكرين من الفلاسفة الأقدمين، وبخاصة علماء الكلام. ولا نظن أن المحدثين جاءوا بفرض من الفروض في تفسير الروح لم يسبقهم إليه الأقدمون، مع ملاحظة الفارق في بحوث علم الحياة ووظائف الأعضاء بين علماء اليوم وعلماء الزمن القديم". *الفلسفة القرآنية*، (ص: 122).

[2] الحجر: ٢٩، ص: 72.

[3] حتى إذا قطع عضو من البدن، انقبض ما فيه من تلك الأجزاء إلى سائر الأعضاء. محمد بن علي الفاروقي، *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، (1/ 877).

[1] الحجر: ٢٩، ص: 72.

[5] 21/ 40، 41.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكذلك المحدثون يقولون إن الجسم لا يُنشِئ الحياة، ولا طاقة للمادة بتوليد القوة الحيوية؛ ولكنها إذا بلغت مبلغًا معلومًا من الاستعداد صلحت لحلول الروح فيها وتهيأت لخدمتها[1].

والخلاصة أن الروح كانت وستظل سرًّا من أسرار هذا الكون الفسيح، استأثر الله بعلمه.

[1] الفلسفة القرآنية، (ص: 123). للمزيد انظر: عيسى عبده وأحمد إسماعيل يحيى، *حقيقة الإنسان*- الكتاب الثاني الخاص بالروح وما يتعلق بها، (بيروت، دار المعارف بدون تاريخ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الخامس آيات حول الحيوان والطير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإعجاز في خلق البعوضة

ينقل الإمام رحمه الله عن الزمخشري العجائب في خلق البعوضة، ثم يذكر الخلاف في كلمة {فما فوقها} مرجحًا أن المعنى: فوقها في الصغر.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا البقرة: ٢٦

قال رحمه الله:

"قال صاحب «الكشاف»[1]: وهو من عجائب خلق الله تعالى ، فإنه صغير جدًا ، وخرطومه في غاية الصغر، ثم إنه مع ذلك مجوف ، ثم ذلك الخرطوم مع فرط صغره وكونه جوفًا يغوص في جلد الفيل والجاموس على ثخانته، كما يضرب الرجل إصبعه في الخبيص[2]، وذلك لما ركب الله في رأس خرطومه من السم."[3].

البعوضة: هي حشرة طائرة مشتهرة في كل العالم، يوجد منها حوالي 2700 نوع. يبلغ طول البعوضة البالغة: 10 مم (0.4 بوصة)؛ وبها ملايين الأجزاء الصغيرة (خلايا)[4].

ينقل الرازي رحمه الله عن الزمخشري العلةَ في ضرب المثل بالبعوضة، وذلك لأنه: صغير جدًا، خرطومه في غاية الصغر، مجوف، يغوص في أثخن أنواع الجلد، لأنه فيه سم.. والإمام الزمخشري هو الذي أنشد لبعضهم[5]:

يا من يرى مد البعوض جناحها *** في ظلمة الليل البهيم الأليل

ويرى عروق نياطها في نحره‌ـا *** والمخ في تلك العظام النحل

اغفـر لعبد تاب من فرطـاته *** ما كان منه في الزمان الأول

---

[1] صاحب الكشاف (467- 538هـ/ 1075- 1144م) هو:

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنًا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. وكان معتزلي المذهب، مجاهرًا، شديد الإنكار على المتصوفة، أكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. أشهر كتبه: (الكشاف) في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة)، و(المفصل). ومن كتبه: (المقامات)، و(الجبال والأمكنة والمياه)، و(المقدمة) معجم عربي فارسي، و(الفائق) في غريب الحديث، و(المستقصى) في الأمثال، و (نوابغ الكلم)، و(ربيع الأبرار)، و(الأنموذج)، و(أطواق الذهب)، و(أعجب العجب في شرح لامية العرب). الزركلي، *الأعلام*، (7/ 178).

[2] الخَبِيص: الحلواء المخبوصة (المخلوطة) من التمر والسمن. *المعجم الوسيط*، (ص: 216).

[3] 2/ 135.

[4] انظر: هارون يحيى، The miracle in the mosquito، www.harunyahya.com، (ص: 15، 80)، www.enchantedlearning.com/subjects/insects/mosquito.

[5] *الكشاف*، (1/ 145).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتكون جسم البعوضة من ثلاثة أجزاء: الرأس والصدر والمؤخرة:

الرأس:

بها حوالي مائة عين على شكل قُرْص العسل [رأس البعوضة تقريبًا كله عيون، تتكون من عدسات دقيقة جدًا، كل عدسة ترى صورة مختلفة، وهذه الرؤية تمكنها من ملاحظة كل حركة صغيرة بدقة وعمل مسح شامل لكل ما حولها] [(١)]، بها قرنان استشعار، وبينهما عند الأنثى أنبوب ماص، به ستة أجزاء: أربعة سكاكين حادة للغاية، حيث يمكنها اختراق جلد ضفدع أو حراشف ثعبان، ويلتقي الجزءان الباقيان ليكونا الأنبوب الفارغ الذي تُدخله البعوض في الجلد المنشق بالسكاكين لتمتص الدم.

تقوم أحد هذه السكاكين بتخدير الأنسجة عن طريق سائل تدفعه البعوض من اللعاب، وهو عبارة عن بنج موضعي، بحيث لا تشعر تمامًا بعملية الشق، كما يساعد هذا السائل في منع الدم من التجلط داخل رأس البعوضة أثناء امتصاصه، وهذا السائل هو ما يسبب بعد ذلك الهيجان والحكة وربما التورم[(٢)].

والعلم الحديث لا يقول إن خرطوم البعوض به سم؛ بل إن أجزاء الخرطوم الحادة هي التي تخترق الجلد كما سبق، والسائل اللعابي الذي تفرزه ليس سامًا أيضًا، بل يحتوي على مواد (جزيئات بروتونية) تسبب هيجان الجلد. ولكن ينبغي التنبه إلى أن ضرر عض البعوض لا يقتصر على الآلام والحساسية فحسب؛ بل على ما ينقله من جراثيم ناقلة لأخطر الأمراض، إذ ينقل أكثر من مائة مرض فيروسي للبشر والحيوانات الأخرى[(٣)].

الصدر:

به ستة أرجل –في كل واحدة مخالب دقيقة جدًا تمكنّها من العلوق بالأسطح– وجناحان، وفي بعض أنواع البعوض أربعة أجنحة، هذه الأجنحة مغطاة بحراشيف وتمر خلالها أوردة. وتتمتع هذه الأجنحة بعضلات في غاية القوة والمرونة بحيث يمكنها أن تخفق بمعدل يصل أحيانًا إلى 500 مرة في الثانية[(٤)].

المؤخرة:

عبارة عن المعدة والرئة. تتكون من غشاء شفاف مرن، يمتد هذا الغشاء أثناء عملية الامتصاص، وبه جهاز إحساس يخبر البعوضة متى تبدأ عملية الامتصاص ومتى تتوقف؛ وبدون هذا الجهاز، تنفجر البعوضة من كثرة الامتصاص[(٥)].

---

(١) www.mos.org/sln/sem/mhead.html

(٢) The miracle in the mosquito، (ص: 61، 62، 63).

(٣) عبدالفتاح مصطفى غنيمة، *عالم الحيوان والبيطرة في التراث العربي*، (المنوفية، مطابع جامعة المنوفية، 2007)، ص: 356، 358.

(٤) The miracle in the mosquito، (ص: 77). و انظر: مقال بعنوان: Mosquito anatomy على موقع: mosquitoworld.net.

(٥) *السابق* (ص: 62، 64).

من عجائب هذا المخلوق:

- يعيش تحت أي ظروف بيئية، في أعالي جبال الهيملايا على ارتفاع 1300 قدم؛ وفي أعماق المناجم على عمق 600 قدم تحت سطح الأرض. ويعيش تحت أي ظروف مناخية، في المنطقة الاستوائية وفي القطب الشمالي[١].
- يتميز هذا المخلوق بخاصية الطنين: هذا الصوت الذي يصدر نتيجة خَفْق الأجنحة، حيث تضرب البعوضة بجناحيها بسرعة رهيبة، لتُحدث هذه الحركات السريعة موجات صوتية مترددة، هذا التردد يكون مرتفعًا بحيث يصبح مسموعًا كطنين، يستطيع أن يشق طريقه وسط أي نوع من أنواع الضجيج أو التشويش، لينقل الرسالة المطلوبة إلى بعوضة أخرى على مسافة 45 مترًا[٢]. كما أن حاسة السمع لديه متقدمة جدًا، فهو مزود بقرني استشعار قادرين على استقبال اهتزازات الموجات الصوتية والتمييز بينها. ويستطيع ذَكر البعوض تمييز صوت خفق أجنحة الأنثى والوصول إليها، ومن ثَم تتم عملية اللقاء بينهما[٣].
- تبدأ أنثى البعوض بامتصاص الدم عقب نجاح عملية اللقاء مباشرة، حيث يعد الدم مصدرًا أساسيًا للبروتين اللازم لوضع البيض. أما الذكر، فيتغذى على الرحيق والماء؛ وهذا لا ينفي أن الأنثى تتغذى أيضًا على الرحيق[٤]. وتمتص الأنثى حوالي 2.8 ملجم من الدم في المرة التي تستغرق حوالي دقيقتين ونصف، أي أنها تمتص أكبر من حجمها كله؛ إذ يبلغ وزنها 2.5 ملجم، وحين تنتهي من مص الدم، يتم نقل الدم إلى المعي الأوسط عن طريق مضخات داخل الجهاز الهضمي، لتأخذ عملية الهضم من 3-4 أيام قبل أن تتكرر عملية مص الدم[٥].
- تستطيع البعوضة التعرف على فريستها في وسط الظلام ولو كانت تحت الغطاء، من بُعْد 25-30 متر، وذلك من خلال:

1- جهاز الاستقبال الحراري المزودة به في أرجلها الأمامية، حيث يستشكف حرارة الأجسام، وبه أيضًا تستطيع الوصول إلى أكثر موضع تدفقًا بالدم والتمييز بين الأنسجة والأوردة.

2- غاز ثاني أكسيد الكربون المنبعث من النفَس.

3- الأحماض الأمينية والأمنيات والأمونيا والحامض اللبَني الموجود داخل الدم، والذي يساعد في جذب البعوض، حتى لو تم تخفيف تركيز هذه المواد 2000 مرة؛ فإن هذه السوائل تنجذب إليها البعوض 5 أضعاف انجذابها للماء العادي.

---

(١) *عالم الحيوان والبيطرة في التراث العربي*، (ص: 358).
(٢) *السابق* (ص: 362).
(٣) The miracle in the mosquito، (ص: 20، 21).
(٤) *السابق* (ص: 25، 64)، و*عالم الحيوان والبيطرة في التراث العربي*، (ص: 357).
(٥) The miracle in the mosquito، (ص: 64، 66، 71).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذبح في الإسلام

يتعرض الإمام لشبهة إيلام الذبيحة وما فيها من أقوال، غير أنه يتوقف عن تعليل المسألة، على غير عادته.

أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ المائدة: ١

قال رحمه الله:

"قالت الثنوية[1]: ذبح الحيوانات إيلام، والإيلام قبيح، والقبيح لا يرضى به الإله الرحيم الحكيم، فيمتنع أن يكون الذبح حلالًا مباحًا بحكم الله. قالوا: والذي يحقق ذلك أن هذه الحيوانات ليس لها قدرة عن الدفع عن أنفسها، ولا لها لسان تحتج على من قصد إيلامها، والإيلام قبيح إلا أن إيلام من بلغ في العجز والحيرة إلى هذا الحد أقبح. واعلم أن فرق المسلمين افترقوا فرقًا كثيرة بسبب هذه الشبهة:

فقالت المكرمية[2]: لا نسلم أن هذه الحيوانات تتألم عند الذبح، بل لعلّ الله تعالى يرفع ألم الذبح عنها؛ وهذا كالمكابرة في الضروريات.

وقالت المعتزلة: لا نسلم أن الإيلام قبيح مطلقًا، بل إنما يقبح إذا لم يكن مسبوقًا بجناية ولا ملحقًا بعوض. وههنا الله سبحانه يعوض هذه الحيوانات في الآخرة بأعواض شريفة، وحينئذ يخرج هذا الذبح عن أن يكون ظلمًا، قالوا: والذي يدل على صحة ما قلناه ما تقرر في العقول أنه يحسن تحمل ألم الفصد والحجامة للطلب الصحة، فإذا حسن تحمل الألم القليل لأجل المنفعة العظيمة، فكذلك القول في الذبح.

وقال أصحابنا[3]: إن الإذن في ذبح الحيوانات تصرف من الله تعالى في ملكه، والمالك لا اعتراض عليه إذا تصرف في ملك نفسه، والمسألة طويلة مذكورة في علم الأصول، والله أعلم[4].

في هذه الآية، يبيح الله تعالى لنا بهيمة الأنعام (الإبل والبقر والغنم)، واستثنى أصنافًا معينة، ذكرها بعد ذلك في الآية الثالثة من نفس السورة. وحتى تحل هذه الأنعام لابد أن تذكى ذكاة شرعية، أي: تذبح على الطريقة الإسلامية.

---

[1] الثنوية هم: أصحاب الاثنين الأزليين.. يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان؛ بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويها في القدم واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، *الملل والنحل*، تحقيق : محمد سيد كيلاني، (بيروت، دار المعرفة، 1404)، 1/ 243.

[2] المكرمية هم: طائفة من طوائف المعتزلة، أصحاب مكرم بن عبد الله العجلي. كان من جملة الثعالبة وتفرد عنهم بأن قال: تارك الصلاة كافر لا من أجل ترك الصلاة ولكن من أجل جهله بالله تعالى، وطرد هذا في كل كبيرة يرتكبها الإنسان. *الملل والنحل*، (1/ 130).

[3] يعني: الأشاعرة.

[4] 11/ 105، 106.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد ذكر الإمام الرازي رحمه الله قول من يورد شبهةً على حل الذبائح، بأن الذبح إيلام وهو مناف لرحمة الله بالمخلوقات. وهي شبهة قريبة مما كان اليهود والمشركون يوردونه على المسلمين في عصر النبي ﷺ؛ عن سعيد بن جُبَيْر رضي الله عنه قال: خاصمت اليهود النبي ﷺ، فقالوا: نأكل مما قتلنا –يعنون: الذبيحة– ، ولا نأكل مما قتل الله؟ –يعنون: الميتة– فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الأنعام: ١٢١[١].

وعن ابن عباس قال: جادل المشركون المسلمين فقالوا: ما بال ما قتلَ الله لا تأكلونه، وما قتلتم أنتم أكلتموه! وأنتم تتبعون أمر الله! فأنزل الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ إلى آخر الآية. الأنعام: ١٢١[٢].

وذكر الإمام رحمه الله ردود بعض المتكلمين على هذه الشبهة. فنقل عن المكرمية قولهم إن الذبيحة لا تتألم عند الذبح، ورده بقوله: " وهذا كالمكابرة في الضروريات".. ثم ذكر غير ذلك من الأقوال. وقد كثر كلام المتكلمين في الرد على هذه الشبهة بما لا يشفي الصدر أبدًا [٣]. والذي يعنينا هنا هو الرد العلمي على هذه الشبهة[٤].

فالأبحاث العلمية الحديثة تثبت صحة ما قاله المكرمية؛ وإن كانت هذه الطائفة لم تتصور قط الحقيقة العلمية التي ثبتت، ولكنهم افترضوا فقط أن الله يرفع عنها ألم الذبح.

والذبح في الإسلام: هو أن يقطع الحلقوم أو القصبة الهوائية (وهو مجرى النفس) والمريء (وهو مجرى الطعام)، والودجين (وهما العرقان المحيطان بالعنق). ويسمي ويكبر عليها.

ويندب للذابح أن يَسُن السكين قبل الذبح، بعيدًا عن نظر الذبيحة، ثم يمر الآلة على الذبيحة بقوة وبسرعة، بعيدًا عن نظر أخواتها، ولا يقطع الرأس كاملًا إلا بعد أن يفرغ الحيوان جميع دمه.

فعن شداد بن أوس، قال: "ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته**»"[٥]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مر رسول الله ﷺ على رجلٍ واضعٍ رجله على صفحة –

---

[١] ذكره ابن كثير في تفسيره للآية.
[٢] ذكره ابن جرير في تفسيره للآية.
[٣] انظر هذه الأقوال في روح المعاني، في تفسيره لآية المائدة التي معنا.
[٤] للوقوف على الرد العقدي على هذه الشبهة، انظر: ابن القيم، *طريق الهجرتين*، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (الدمام، دار ابن القيم، ط2، 1994)، ص: 200-229.
[٥] أخرجه مسلم (1955).

عُنُق– شاة وهو يحد شفرته، وهي تلحظ إليه ببصرها، قال: «**أفلا قبل هذا؟ أو تريد أن تميتها موتتين؟**»[1].

وقد أثبت الطب الحديث إعجازاتٍ متعلقةً بطريقة الذبح الإسلامية:

1- فقد ثبت أن تخويف الذبيحة قبل ذبحها يؤثر على الحالة الفسيولوجية للجسم، والتركيب النسيجي للكبد ويتلفها، نتيجة لزيادة إفراز هرمون الأدرينالين، مما يتسبب في فساد اللحم[2].

2- ما يحدث علميًا عند قطع العروق الدموية التي في مقدمة الرقبة عند الحيوان ، هو إصابة هذا الكائن الحي بالإغماء فورًا ، وهذا يعني أن الحيوان المذبوح لا يشعر بأي آلام بعد قطع الرقبة مباشرة، فهو فاقد للوعي تمامًا.

إن الجهاز العصبي لا يزال حيًا، وما تزال فيه حيوية، ولم يفقد منه غير وعيه فقط. وفي هذه الحالة ما دمنا لم نقطع العنق فإننا لم نعتدِ على الجهاز العصبي فتظل الحياة موجودة فيه. يبدأ الجهاز العصبي بإرسال إشارات من المخ إلى القلب طالبًا منه إمداده بالدماء لأنها لم تصل إليه .. عندها تقوم العضلات بالضغط فورًا، ويحدث تحرك شديد للأحشاء والعضلات الداخلية والخارجية، فتضغط بشدة وتقذف كل ما فيها من دماء وتضخها إلى القلب، ثم يقوم القلب بدوره بالإسراع في دقاته بعد أن يمتلئ بالدماء تمامًا، فيقوم بإرسالها مباشرة إلى المخ، ولكنها – بطبيعة الحال– تخرج للخارج ولا تصل إليه، فتجد الحيوان يتلوى، وإذا به يضخ الدماء باستمرار حتى يتخلص جسم هذا الحيوان تمامًا من الدماء، وبذلك يتخلص جسم هذا الحيوان من أكبر بيئة خصبة لنمو الجراثيم . فللحيوان المذبوح يفقد الحياة خلال ثلاث ثوانٍ فقط إذا ذبح بالطريقة الصحيحة، وإن ما نراه في الحيوان من رفس وتشنج وما شابه ذلك هي من مؤثرات بقاء الحياة في الجهاز العصبي، ولا يشعر الحيوان المذبوح بها على الإطلاق[3].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (11916). وقال البخاري رحمه الله: أخبرني نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما نهى عن النخع، يقول: ''يقطع ما دون العظم ثم يدع حتى تموت''. صحيح البخاري (كتاب الذبائح والصيد، أول باب النحر والذبح). قال ابن حجر في الفتح: ''قال الشافعي: النخع: أن تُذبح الشاة ثم يكسر قفاها من موضع المذبح، أو تضرب ليعجل قطع حركتها''.

(٢) انظر: لطيفة إسحاق خياط، دراسة نسيجية لتأثير الخوف على النسيج الكبدي، (المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.eajaz.org).

(٣) السابق. انظر: جواد الهدمي، الإعجاز العلمي بالذبح، منشور على موقع: www.iiquran.com.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تكوين لبن الأنعام

يتكلم الإمام عن الإعجاز في تكوين اللبن في الأنعام. والأنعام هنا: الإبل والبقر والغنم، مما ينتفع الإنسان بالتغذي على لبنها.

وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ

النحل: ٦٦

قال رحمه الله:

"الفرث: سِرْجِين[1] الكرش، روى الكلبي[2] عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: 'إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثًا وأعلاه دمًا وأوسطه لبنًا، فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو، فذاك هو قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه الدم ولا الفرث[3].

ولقائل أن يقول: الدم واللبن لا يتولدان ألبتة في الكرش، والدليل عليه الحس: فإن هذه الحيوانات تذبح ذبحًا متواليًا وما رأى أحد في كرشها لا دمًا ولا لبنًا، ولو كان تولد الدم واللبن في الكرش لوجب أن يشاهد ذلك في بعض الأحوال، والشيء الذي دلت المشاهدة على فساده لم يجز المصير إليه.

بل الحق أن: الحيوان إذا تناول الغذاء وصل ذلك العلف إلى معدته إن كان إنسانًا وإلى كرشه إن كان من الأنعام وغيرها، فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فيه فما كان منه صافيًا انجذب إلى الكبد وما كان كثيفًا نزل إلى الأمعاء، ثم ذلك الذي يحصل منه في الكبد ينطبخ فيها ويصير دمًا، وذلك هو الهضم الثاني ويكون ذلك الدم

---

(١) المقصود بالسرجين: ما تحويه المعدة من جذاذات الطعام الممضوغ، وهو في الكرش؛ أي في أول مراحل الهضم. عفيفي محمود عفيفي، *البعد الثالث للإعجاز في آية الفرث* ، (المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع: www.eajaz.org)، ص: 5.

(٢) ابن السائب الكلبي (ت 204هـ/ 819م) هو:

هشام بن محمد أبي النضر بن السائب بن بشر الكلبي، أبو المنذر: مؤرخ، عالم بالأنساب وأخبار العرب وأيامها، كثير التصانيف. من أهل الكوفة، ووفاته فيها. له نيف وم ائة وخمسون كتابًا، منها : (جمهرة الأنساب)، و(الأصنام)، و(المثالب)، و(ما كانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام). الزركلي، *الأعلام*، (8/ 87).

(٣) نقَل الإمام هذا الأثر عن ابن عباس، وأوضح بعده أنه يخالف الحس والمشاهدة. ولما كان هذا الأثر محيّرًا: كيف يقول ابن عباس مثل هذا الكلام؟!، قمت بالتحقق من إسناده؛ فاتضح أنه واهٍ جدًا. أما الكلبى، فقال زائدة وليث والسعدى: ''هو كذاب''. وقال النسائي والدارقطني: ''متروك الحديث''. وقال ابن حبان: ''وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الاغراق في وصفه''. وأما أبو صالح باذام، فقال ابن عدى: ''لا أعلم أحدًا من المتقدمين رضيه''. ابن الجوزي، *الموضوعات*، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط 1، 1966)، 1/ 214. وفي السنن الكبرى للنسائي: ''هو ضعيف الحديث''، وعن حبيب بن أبي ثابت: ''كنا نسمى أبا صالح مولى أم هانئ: «الدروغزن» –الكذاب بلغة فارس–''، قال النسائي: ''وقد روي أنه قال في مرضه: 'كل شئ حدثتكم به فهو كذب''. علاء الدين علي بن عثمان المارديني، *الجوهر النقي*، (بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ)، 4/ 278.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مخلوطًا بالصفراء والسوداء[١] وزيادة المائية، أما الصفراء فتذهب إلى المرارة والسوداء إلى الطحال والماء إلى الكلية ومنها إلى المثانة، وأما ذلك الدم فإنه يدخل في الأورطة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث، وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة، فينصب الدم في تلك العروق إلى الضرع، والضرع لحم غددي رخو أبيض، فيقلب الله تعالى الدم عند انصبابه إلى ذلك اللحم الغددي الرخو الأبيض من صورة الدم إلى صورة اللبن، فهذا هو القول الصحيح في كيفية تولد اللبن".

لقد تَصوَّر القدماءُ من اليونان والعرب، أنَّ أكبرَ عملية تحدث في الجسم هي تحويل المواد الموجودة في الأغذية التي يتناولها الإنسانُ إلى موادَّ حيويةٍ تصلح لتغذية أعضائه وأنسجته. تبدأ عمليةُ تحويل الغذاء بهضم الأغذية في المعدة والأمعاء، فتصعد الأبخرةُ إلى أعلى، ويهبط الثفل إلى أسفل، وما يصلح لتغذية الأعضاء يُدعى الكيموس (chyle)، حيث تنقله العروقُ إلى الكبد الذي يحوِّل جزءًا منه إلى **دم**، وجزءًا آخر إلى **صَفراء** (أو **المرَّة الصفراء**)، كما ينتقل جزءٌ آخر منه إلى الطِّحال الذي يحوِّله إلى **السَّوداء** (أو **المرَّة السوداء**)، وجزءٌ إلى المعدة والرئة فيتحوَّل إلى **بلغم**.

وهذه هي الأخلاطُ (humors) الأربعة: الدم، والمرَّة الصفراء، والمرَّة السوداء، والبلغم، التي توجد في جسم الإنسان. ولكل خِلط من هذه الأخلاط طبيعةٌ: فخلطُ الدم حارٌّ ورطب، وخلطُ البلغم باردٌ ورطب، وخلطُ المرَّة الصفراء حارٌّ وجاف، وخلطُ المرَّة السوداء باردٌ وجاف. والأخلاطُ إمَّا أن تكونَ جيِّدة، وإمَّا أن تكونَ رديئة: فالجيِّدةُ هي التي تكون ضروريةً للجسم، وتصبح جزءًا منه؛ والرديئةُ هي التي تبقى بلا فائدة، ويفرزها الجسمُ إلى الخارج، ويتخلَّص منها بواسطة الغائط والبول والمفرزات الأنفية والجلدية وغيرها ... إلخ[٢].

"المفسرون قالوا: المراد من قوله : ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾، هو أن هذه الثلاثة تتولد في موضع واحد؛ فالفرث يكون في أسفل الكرش والدم يكون في أعلاه واللبن يكون في الوسط، وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة، ولأن الدم لو كان يتولد في أعلى المعدة والكرش كان يجب إذا قاء أن يقيء الدم، وذلك باطل قطعًا. وأما نحن فنقول:

المراد من الآية هو أن اللبن إنما يتولد من بعض أجزاء الدم، والدم إنما يتولد من الأجزاء اللطيفة التي في الفرث، وهو الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش، وهذا اللبن متولد من الأجزاء التي كانت حاصلة فيما بين الفرث أولًا، ثم كانت حاصلة فيما بين الدم ثانيًا ، فصفاه الله تعالى عن تلك الأجزاء الكثيفة الغليظة وخلق فيها الصفات التي باعتبارها صارت لبنًا موافقًا لبدن الطفل، فهذا ما حصلناه في هذا المقام، والله أعلم[٣]".

---

[١] الصفراء والسوداء: من الأخلاط الأربعة التي زعم الأقدمون أن الجسم مهيأ عليها، بها قوامه، ومنها صلاحه وفساده؛ وهي: الصفراء والدم والبلغم والسوداء. *المعجم الوسيط*، (ص: 461)؛ وانظر: *المباحث المشرقية*، (2/ 270، 271).

[٢] وبالطبع هذه النظرية فقدت مصدقيتها في العصر الحديث . Bynum, edited by W.F.; Porter, Roy (1997). *Companion Encyclopedia of the History of Medicine* (1st pbk. ed.). London: Routledge. p. 281. ISBN 978-0415164184.

[٣] 20/ 53، 54.

بعض المفسرين ذكروا مثل التعليل الذي ذكره الإمام، يقول ابن الجوزي: "المعنى: أن اللبن كان طعامًا، فخلص من ذلك الطعام دم، وبقي منه فرث في الكرش، وخلص من ذلك الدم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين"[1].

وقد اهتم الإمام رحمه الله بذكر تفصيل العملية التي تتم بها طريقة تحويل الطعام إلى دم ثم لبن.. ويبدو أن هذه العملية تتم بطريقة مختلفة في الناقة عن البقرة وعن الشاة، حسب وظائف الأعضاء المختلفة في كلٍّ؛ ولكن العجيب أن جميعها يوافق ما ذكره القرآن من ترتيب وإجمال.
والسر الإعجازي في الآية أن الله تعالى يخبرنا عن أصل تكوين هذه المادة الغذائية المفيدة جدًا – وهي: اللبن–، وهو: الفرث والدم، مادتان تختلفان عن بعضهما وعن اللبن.

"والمقصود من الآية –في ضوء ما توصل إليه العلم لغاية الآن، والله أعلم بالصواب– أن العلف يهضم في المعدة، ثم يصير فرثًا، وبعدها ينزل إلى الأمعاء الدقيقة، وبعد ذلك تمتص الخملات المواد الغذائية من الفرث، وهذه هي الخطوة الأولى، ثم يسير الغذاء في الدم، ويمر على الغدد اللبنية، وهناك تمتص الغدد اللبنية المواد الغذائية من الدم، وبعدها يتكون اللبن، فيتكون من بين الفرث أولًا، ثم من الدم... وقد قدم ذكر الفرث على الدم؛ لأن الاستفادة أولًا من الفرث وبعدها من الدم، فهو ترتيب وفق الوجود الطبيعي"[2].

"اعلم أن حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها يكون موافقًا لتغذية الصبي مشتمل على حكم عجيبة وأسرار بديعة يشهد صريح العقل بأنها لا تحصل إلا بتدبير الفاعل الحكيم والمدبر الرحيم، وبيانه من وجوه:

الأول: أنه تعالى خلق في أسفل المعدة منفذًا يخرج منه ثقل الغذاء، فإذا تناول الإنسان غذاء أو شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقًا كليًا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب إلى أن يكمل انهضامه في المعدة وينجذب ما صفا منه إلى الكبد، ويبقى الثقل هناك فحينئذ ينفتح ذلك المنفذ ويترك منه ذلك الثقل

وهذا من العجائب التي لا يمكن حصولها إلا بتدبير الفاعل الحكيم؛ لأنه متى كانت الحاجة إلى بقاء الغذاء في المعدة حاصلة انطبق ذلك المنفذ، وإذا حصلت الحاجة إلى خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح، فحصول الانطباق تارة والانفتاح أخرى بحسب الحاجة وتقدير المنفعة مما لا يتأتى إلا بتقدير الفاعل الحكيم.

الثاني: أنه تعالى أودع في الكبد قوة تجذب الأجزاء اللطيفة الحاصلة في ذلك المأكول أو المشروب ولا تجذب الأجزاء الكثيفة، وخلق في الأمعاء قوة تجذب تلك الأجزاء الكثيفة التي هي الثقل ولا تجذب الأجزاء اللطيفة ألبتة، ولو كان الأمر بالعكس لاختلفت مصلحة البدن ولفسد نظام هذا التركيب.

---

[1] عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، *زاد المسير*، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط3، 1404)، 4/ 463.

[2] سامي وديع عبد الفتاح، *التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني* ، (الأردن، دار الوضاح، بدون تاريخ)، ص: 133. للمزيد انظر: محمد عفيفي، بحث: *البعد الثالث للإعجاز في آية الفرث* ، وحامد عطية محمد، بحث: *إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام* ، (المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع: www.eajaz.org).

الثالث: أنه تعالى أودع في الكبد قوة هاضمة طابخة، حتى أن تلك الأجزاء اللطيفة تنطبخ في الكبد وتنقلب دمًا. ثم إنه تعالى أودع في المرارة قوة جاذبة للصفراء ، وفي الطحال قوة جاذبة للسوداء ، وفي الكلية قوة جاذبة لزيادة المائية حتى يبقى الدم الصافي الموافق لتغذية البدن. وتخصيص كل واحد من هذه الأعضاء بتلك القوة والخاصية لا يمكن إلا بتقدير الحكيم العليم".

لا يقوم الكبد بوظيفة هضم السوائل، بل هو مصفاة، حيث تتعرض جميع الأطعمة القادمة من المعدة -ما عدا الدهون- لعملية كيماوية . فللكبد شبيه بإسفنج مليء بالدم، يقوم بمص الطعام المهضوم في المعدة. وما يحدث للطعام في الكبد قد يعاد تركيبه من جديد؛ حيث يعاد بناء البروتين الغريب ليشكل البروتين البشري. ويقوم الكبد كذلك بإزالة السموم من الطعام[1].

"الرابع: أن في الوقت الذي يكون الجنين في رحم الأم ينصب من ذلك الدم نصيب وافر إليه، حتى يصير مادة لنمو أعضاء ذلك الولد وازدياده، فإذا انفصل ذلك الجنين عن الرحم ينصب ذلك النصيب إلى جانب الثدي ليتولد منه اللبن الذي يكون غذاء له، فإذا كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا إلى الرحم ولا إلى الثدي، بل ينصب على مجموع بدن المغتذي. فانصباب ذلك الدم في كل وقت إلى عضو آخر انصبابًا موافقًا للمصلحة والحكمة لا يتأتى إلا بتدبير الفاعل المختار الحكيم.

والخامس: أن عند تولد اللبن في الضرع أحدث تعالى في حلمة الثدي ثقوبًا صغيرة ومسام ضيقة، وجعلها بحيث إذا اتصل المص أو الحلب بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها في تلك المسام الضيقة، ولما كانت تلك المسام ضيقة جدًا فحينئذ لا يخرج منها إلا ما كان في غاية الصفاء واللطافة، وأما الأجزاء الكثيفة فإنه لا يمكنها الخروج من تلك المنافذ الضيقة فتبقى في الداخل. والحكمة في إحداث تلك الثقوب الصغيرة والمنافذ الضيقة في رأس حلمة الثدي أن يكون ذلك كالمصفاة، فكل ما كان لطيفًا خرج وكل ما كان كثيفًا احتبس في الداخل ولم يخرج، فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصًا موافقًا لبدن الصبي سائغًا للشاربين.

السادس: أنه تعالى ألهم ذلك الصبي إلى المص، فإن الأم كلما ألقمت حلمة الثدي في فم الصبي فذلك الصبي في الحال يأخذ في المص، فلولا أن الفاعل المختار الرحيم ألهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص وإلا لم يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي.

السابع: أنا بينا أنه تعالى إنما خلق اللبن من فضلة الدم، وإنما خلق الدم من لطيف تلك الأجزاء. ثم خلق اللبن من بعض أجزاء ذلك الدم، ثم إن اللبن حصلت فيه أجزاء ثلاثة على طبائع متضادة؛ فما فيه من الدهن يكون حارًا رطبًا، وما فيه من المائية يكون باردًا رطبًا ، وما فيه من الجبنية يكون باردًا يابسًا، وهذه الطبائع ما كانت حاصلة في ذلك العشب الذي تناولته الشاة، فظهر بهذا أن هذه الأجسام لا تزال تنقلب من صفة إلى صفة ومن حالة إلى حالة مع أنه لا يناسب بعضها بعضًا ولا يشاكل بعضها بعضًا، وعند ذلك يظهر أن هذه الأحوال إنما تحدث بتدبير فاعل حكيم رحيم يدبر أحوال هذا العالم على وفق مصالح العباد. فسبحان من تشهد جميع ذرات العالم الأعلى والأسفل بكمال قدرته ونهاية حكمته ورحمته له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين"[2].

---

(1) http://www.palnurse.com/vb/showthread.php?t=824.

(2) 20/ 54، 55.

الإعجاز في النحل

اهتم كثير من باحثي الإعجاز العلمي في القرآن الكريم بآية النحل، لما فيها من صور إعجازية واضحة تمامًا، ولعلها من أكثر المسائل التي تم بحثها من جوانب عدة—كبيوت النحل وتكوينه، ومجتمع النحل ومملكته، وغذاء النحل، وعسله...إلخ. والملاحظ أن الإمام رحمه الله اهتم أيضًا بهذه المسألة وأطال الكلام فيها.

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ النحل: ٦٨، 69

يبدأ الإمام بالمقصود من قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾.

قال رحمه الله:

"يقال: وحى وأوحى: وهو الإلهام، والمراد من الإلهام: أنه تعالى قرر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي تعجز عنها العقلاء من البشر، وبيانه من وجوه:

الأول: أنها تبني البيوت المسدسة من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها؛ والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء مثل تلك البيوت إلا بآلات وأدوات مثل المسطر والفرجار.

والثاني: أنه ثبت في الهندسة أن تلك البيوت لو كانت مشكلة بأشكال سوى المسدسات فإنه يبقى بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة، أما إذا كانت تلك البيوت مسدسة فإنه لا يبقى فيما بينها فرج ضائعة. فإهداء ذلك الحيوان الضعيف إلى هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الأعاجيب"

تتكون الخلية الواحدة من عدة غرف (الغرف الملكية، وغرف الذكور، وغرف الطعام، وغرف العمال، وغرف الانتقال للوصول بين الغرف وبعضها، والمخازن –وتشكل أربعة أخماس الخلية—). وكل غرفة منها عبارة عن أنبوبة مسدسة الأضلاع، فلماذا بالذات الشكل السداسي؟

"جواب هذا السؤال يجيب عليه الرياضيون فى علم المساحة: إن الشكل السداسي يأخذ أقل مساحة من بقية الأشكال الهندسية الأخرى، فمثلًا لو استعمل بدل الشكل السداسي شكلٌ آخر لبدَت بعض المناطق (مساحات) غير مستعملة، وبهذا يقل عدد النحل الذي يعيش فيها، ويقل العسل المخزون. وأما إذا أخذنا كلًا من الأشكال المربعة والمثلثة، فإذا كانت بالعمق نفسه فإنه يمكن أن تخزن فيها نفس المقدار من العسل، ولكن بالنسبة إلى المحيط فإن محيط الشكل السداسي أصغر .. وعلى هذا النحو نصل إلى النتيجة الآتية: إن الحجرات ذات الشكل السداسي ذات خاصية عملية

أفضل، ومقدار خزن العسل فيها أكبر، وفى بنائها يستعمل مقدار أقل من شمع العسل"[1].

ويقول الإمام الغزالي:

"أوسع الأشكال وأحواها المستديرة وما يقرب منها، فإن المربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل، فترك المربع حتى لا تضيع الزوايا فتبقى فارغة، ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة، فإن الأشكال المستديرة إذا جُمعت لم تجتمع متراصة، ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتواء من المستدير، ثم تتراص الجملة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا المسدس"[2].

فيحمل قول الإمام الرازي: "لو كانت مشكلة بأشكال سوى المسدسات فإنه يبقى بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضائعة، أما إذا كانت تلك البيوت مسدسة فإنه لا يبقى فيما بينها فرج ضائعة" على الفرج الضائعة –غير المستغلة– من الداخل والخارج؛ إذ من المعلوم أن المثلثات والمربعات لا تحدث فراغات من خارجها.

يقول موريس مترلينك في كتابه عن حياة النحلة: "نحن إذ نتأمل أسرار الخلية، لا يسعنا إلا أن نظل على ذكر آية من آياتها، هي الحجرة المسدسة، التي تكاد تبلغ درجة الكمال المطلق؛ فلا يستطيع أن تزيد عليه كل عبقريات البشر مجتمعة أية تحسينات"[3].

"والثالث: أن النحل يحصل فيما بينها واحد يكون كالرئيس للبقية ، وذلك الواحد يكون أعظم جثة من الباقي ويكون نافذ الحكم على تلك البقية وهم يخدمونه ويحملونه عند الطيران، وذلك أيضًا من الأعاجيب".

يحتل النحل المرتبة الأولى في عالم الحشرات في مجال الحياة الاجتماعية — في تحديد الواجبات والمسؤليات، وفي تصميم البيوت، وفي تربية الملكات والخادمات، وفي الأخلاق والسلوك.. بل هو من أنفع الحشرات للإنسان؛ بينما نجد أن سائر الحشرات تعتبر عدوًّا للإنسان! وليس كل النحل يعيش في مجتمعات؛ بل حوالي 5% فقط (600 نوع من إجمالي 12,000 نوع) منه، وقد وضع الله تعالى هذه الغريزة «التجمع» في نحل العسل (api mellifera) بالذات. فتحيا في جماعات منظمة، كل منها يسكن بيتًا يسمى الخلية لا تخطئه، لأجل هذا جاء لفظ «النحل» في الآية بصيغة الجمع[4]. ويكون في كل خلية نحلة واحدة، أكبرهم حجمًا، تسمى الملكة، وأمرها نافذ

---

[1] هارون يحيى، «عسل النحل»، مقال منشور على موقعه.
[2] *إحياء علوم الدين*، (4/ 319).
[3] *الله والعلم الحديث*، (ص: 178).
[4] انظر: حاتم البشتاوي، بحث: *التكوين الاجتماعي لمجتمع النحل كما صوره القرآن الكريم* ، (المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع: www.eajaz.org) (ص: 5). وترجمة المصطلح العلمي لكلمة نحل العسل، من كتاب: إمز، *حياة الحشرات*، تعريب سميرة الزيادي، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2000)، ص: 437.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيهم، كل مهامها: وضع بيض الخلية، والذكور (من 400: 500) مهمتها الوحيدة: تلقيح الملكة. أما الشغالات (من 15000: 50,000 نحلة) فهي التي تقوم بخدمة الخلية والملكة والذكور وتجمع الطعام وتفرز العسل...إلخ.

ولم يتوقع الإمام أن يكون هذا "الرئيس" أنثى. وفي الحقيقة هم لا يحملونها عند الطيران؛ وإنما يلتف عليها بعض الذكور لكي تتم عملية التلقيح. وتقضي الملكة حياتها داخل الخلية ولا تخرج منها إلى في حالتي التلقيح أو التطريد[1].

"والرابع: أنها إذا نفرت من وكرها ذهبت مع الجمعية إلى موضع آخر، فإذا أرادوا عودها إلى وكرها ضربوا الطنبور والملاهي وآلات الموسيقى، وبواسطة تلك الألحان يقدرون على ردها إلى وكرها، وهذا أيضًا حالة عجيبة[2]".

قوله رحمه الله إن النحلة "إذا نفرت..." نستطيع أن نطلق عليه الآن "رحلات الذهاب والإياب التي تقوم بها الشغالات يوميًا لجمع الرحيق وحبوب اللقاح"، ولا شك أنه لاحظَ أن النحل يقوم بحركات تشبه الرقص، مما أوحى إليه أنه يعزف على أدوات موسيقة خاصة به. ومن المعروف والثابت الآن أن النحل يملك وسيلة للتخاطب، وذلك عن طريق الرقص.

وهذا هو السر في التعبير القرآني: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا﴾، حيث اكتشف كارل فون فريتش وتلامذته أن شغالات النحل الاستكشافية تستطيع أن تخبر زميلاتها في الخلية بالأخبار التالية: - وجود أزهار مرغوبة في حقل محدد. - الزمن المستغرق للوصول من الخلية إلى موضع الأزهار. - نوع الأزهار المقصودة. - اتجاه الطيران للوصول إلى ذلك الموضع. وهذا كله عن طريق أداء حركات من الرقص (الدائري أو الاهتزازي) الذي به تتعرف باقي أفراد الخلية على المقصود، ومن ثم تنفيذ المهام[3].

---

[1] التطريد هو: ظاهرة طبيعية لتكاثر نحل العسل وهو عبارة عن خروج الملكة من خليتها وبصحبتها بعض الشغالات لتسكن فى مكان جديد تاركةً فى الخلية القديمة عددً ا من الأفراد وبعض الملكات العذارى أو البيوت الملكية ، وتحدث هذه الظاهرة فى بداية الربيع لدفء الجو وبداية موسم الفيض وازدحام الخلية بالنحل ، لذلك تقوم الملكة بالتطريد تقليلًا للازدحام. منتدى الزراعة: forum.zira3a.net.

[2] 20/ 57.

[3] انظر: *الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق*، (ص: 323، 324 وما يليهما).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم انتقل إلى قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾:

"رأيت في (كتب الطب) أنه تعالى دبر هذا العالم على وجه، وهو أنه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع ذلك الطل على أوراق الأشجار[1]، فقد تكون تلك الأجزاء الطلية لطيفة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار، وقد تكون كثيرة بحيث يجتمع منها أجزاء محسوسة.

أما القسم الثاني: فهو مثل الترنجبين ، فإنه طل ينزل من الهواء ويجتمع على أطراف الطرفاء في بعض البلدان، وذلك محسوس.

وأما القسم الأول: فهو الذي ألهم الله تعالى هذا النحل، حتى أنها تلتقط تلك الذرات من الأزهار وأوراق الأشجار بأفواهها وتأكلها وتغتذي بها[2]، فإذا شبعت التقطت بأفواهها مرة أخرى شيئًا من تلك الأجزاء وذهبت بها إلى بيوتها ووضعتها هناك، لأنها تحاول أن تدخر لنفسها غذاءها، فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية شيء كثير فذاك هو العسل.

ومن الناس من يقول: إن النحل تأكل من الأزهار الطيبة والأوراق المعطرة أشياء، ثم إنه تعالى يقلب تلك الأجسام في داخل بدنها عسلًا، ثم إنها تقيء مرة أخرى فذاك هو العسل؛ والقول الأول أقرب إلى العقل وأشد مناسبة إلى الاستقراء، فإن طبيعة الترنجبين قريبة من العسل في الطعم والشكل، ولا شك أنه طل يحدث في الهواء ويقع على أطراف الأشجار والأزهار، فكذا ههنا. وأيضًا فنحن نشاهد أن هذا النحل إنما يتغذى بالعسل، ولذلك فإنا إذا استخرجنا العسل من بيوت النحل نترك لها بقية من ذلك لأجل أن تغتذي بها، فعلمنا أنها إنما تغتذي بالعسل، وأنها إنما تقع على الأشجار والأزهار لأنها تغتذي بتلك الأجزاء الطلية العسلية الواقعة من الهواء عليها"[3].

ثم انتقل إلى قوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا ﴾:

"قد ذكرنا أن من الناس من يقول: العسل عبارة عن أجزاء طلية تحدث في الهواء وتقع على أطراف الأشجار وعلى الأوراق والأزهار فيلقطها الزنبور بفمه، فإذا ذهبنا إلى هذا الوجه كان المراد من قوله: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا ﴾ أي: من أفواهها، وكل تجويف في داخل البدن فإنه يسمى بطنًا، ألا ترى أنهم يقولون: بطون الدماغ، وعنوا أنها تجاويف الدماغ؟ وكذا ههنا، ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا ﴾ أي: من أفواهها. وأما على قول أهل الظاهر –وهو أن النحلة تأكل الأوراق والثمرات ثم تقيء فذلك هو العسل– فالكلام ظاهر"[4].

---

[1] الطل هو: الندى.

[2] تبين الآية الكريمة أن النحل يتغذى على الثمرات.. " والمقصود بالثمرات هو زهورها؛ وإطلاق الثمر على الزهور باعتبار ما كان، واعتبر الزهر ثمرًا في حق النحل؛ لأنه يستخلص فوائد الثمرة عن طريق أكل ما في الزهرة، فكأن النحل جمع الثمرة". سامي وديع، *التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني*، (النحل: 69).

[3] 20/ 58.

[4] 20/ 58.

اختلف القدامى في كيفية تكوين العسل على عدة أقوال، منها ما ذكره الإمام الرازي، يقول صاحب التاج:

"اختلف في عسل الدنيا، فقيل: هو: لعاب النحل، تخرجه من أفواهها، وذلك أنها تأكل من الأزهار والأوراق ما يملأ بطونها، ثم إنه تعالى يقلب تلك الأجسام في داخل أبدانها عسلًا، ثم تلقيه من أفواهها... وقال آخرون : إنه يخرج من أدبارها... أو: طل خفي، يحدثه الله في الهواء، يقع على الزهر وغيره، كأوراق الشجر، فيلقطه النحل بإلهام من الله تعالى بأفواهها، فإذا شبعت التقطت مرة أخرى من تلك الأجزاء، وذهبت به إلى بيوتها، ووضعته هناك... ظاهر كلام الرازي أنه طل تحمله بأفواهها، وتضعه في بيوتها، فينعقد عسلًا، وظاهر القرآن يخالفه، فإنه نص على أنه يخرج من بطونها، والظاهر أنه: بعد استقراره في بطونها تقذفه عسلًا، بقدرة السميع العليم، كما يخرج اللبن من بين فرث ودم؛ إنه على كل شيء قدير"[1].

كما أن العلم الحديث يؤيد ما جاء به ظاهر القرآن، إذ تختزن الشغالاتُ الرحيقَ في معدة غير المعدة التي تختزن فيها الطعام. وقد زود الخالق العظيم شغالات النحل فقط بأربع مجموعات من الغدد التي تنقي من غذائها: العسل، والغذاء الملكي، والشمع، والخمائر، والسموم[2].

فتقوم شغالات النحل بتحويل الرحيق المتجمع –من خلال عمليات الهضم الجزئي وتقليل الرطوبة– إلى سائل سكري مركز يخزن بالعيون السداسية.. وينضج العسل ليس فقط في معدة العسل؛ ولكن أيضًا في العيون السداسية بأقراص الشمع، من خلال عمليات فسيوكيمائية معقدة (البخر)، وأيضًا من خلال عمليات ميكانيكية يطلق عليها «التقبيل» بين الشغالات، إذ تلعق الشغالة العسل وتوصله إلى لسان الشغالة الأخرى، فبذلك يتيح فرصة للتعرض للبخر من خلال التعرض الحراري بين الشغالتين، وذلك من خلال تمرير قطرة الرحيق إلى أن تصل إلى العين السداسية[3].

---

(١) مرتضى الزبيدي، *تاج العروس من جواهر القاموس*، (الإسكندرية، دار الهداية، بدون تاريخ)، 29/ 472، 473.

(٢) انظر: *التكوين الاجتماعي لمجتمع النحل كما صوره القرآن الكريم*، (ص: 6، 7).

(٣) انظر: أحمد جعفر حجازي، *الإعجاز في خلية النحل: كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات* ، (المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع: www.eajaz.org)، (ص: 2).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم انتقل إلى قوله تعالى: ﴿ شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾:

"اعلم أنه تعالى وصف العسل بهذه الصفات الثلاثة:

فالصفة الأولى: كونه شرابًا، والأمر كذلك لأنه تارة يشرب وحده وتارة يتخذ من الأشربة.

والصفة الثانية: قوله: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾، والمعنى: أن منه أحمر وأبيض وأصفر... والمقصود منه: إبطال القول بالطبع، لأن هذا الجسم مع كونه متساوي الطبيعة لما حدث على ألوان مختلفة، دل ذلك على أن حدوث تلك الألوان بتدبير الفاعل المختار؛ لا لأجل إيجاد الطبيعة.

والصفة الثالثة: قوله: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾، وفيه قولان:

القول الأول، وهو الصحيح: أنه صفة للعسل.

فإن قالوا: كيف يكون شفاء للناس وهو يضر بالصفراء ويهيج المرارة؟!

قلنا: إنه تعالى لم يقل إنه شفاء لكل الناس ولكل داء وفي كل حال؛ بل لما كان شفاء للبعض من بعض الأدواء صلح بأن يوصف بأنه فيه شفاء، والذي يدل على أنه شفاء في الجملة أنه قلَّ معجون من المعاجين إلا وتمامه وكماله إنما يحصل بالعجن بالعسل. وأيضًا فالأشربة المتخذة منه في الأمراض البلغمية عظيمة النفع[1].

والقول الثاني، وهو قول مجاهد: أن المراد أن القرآن شفاء للناس، وعلى هذا التقدير فقصة تولد العسل من النحل تمت عند قوله: ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾، ثم ابتدأ وقال: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ﴾، أي:

---

[1] يقول ابن القيم رحمه الله، عن العسل: "يسمى الحافظ الأمين"، ثم أخذ يعدد في منافعه الكثيرة، إلى أن قال: "وهو مع هذا كله مأمون الغائلة قليل المضار، مُضِرّ بالعرض للصفراويين، ودفعها بالخل ونحوه، فيعود حينئذ نافعًا له جدًا". تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، *زاد المعاد*، (الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط14)، 4/ 30.

بيد أني لم أجد في الأبحاث العلمية التي بين يدي ما يشير إلى مضار العسل؛ بل وجدت أن العسل ثبت استعماله بنجاح في علاج أمراض الكبد. *الإعجاز العلمي في الإسلام*، (ص: 243). وعامة، الاعتدال مطلوب في كل شيء، حتى في تناول العسل.

يقول ابن القيم: "وهو غذاء مع الأغذية ودواء مع الأدوية وشراب مع الأشربة وحلو مع الحلوى وطلاء مع الأطلية ومفرّح مع المفرحات، فما خلق لنا شئ فى معناه أفضل منه ولا مثله ولا قريبًا منه، ولم يكن معول القدماء إلا عليه، وأكثر كتب القدماء لا ذكر فيها للسكر ألبتة ولا يعرفونه، فإنه حديث العهد حدث قريبًا، وكان النبي ﷺ يشربه بالماء على الريق، وفي ذلك سر بديع في حفظ الصحة لا يدركه إلا الفطن الفاضل". *زاد المعاد*، (4/ 30).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في هذا القرآن حصل ما هو شفاء للناس من الكفر والبدعة مثل هذا الذي في قصة النحل، وعن ابن مسعود أن «العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور»[1].

واعلم أن هذا القول ضعيف، ويدل عليه وجهان:

الأول: أن الضمير في قوله: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ يجب عوده إلى أقرب المذكورات، وما ذاك إلا قوله: ﴿شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾، وأما الحكم بعود هذا الضمير إلى القرآن مع أنه غير مذكور فيما سبق فهو غير مناسب.

والثاني: ما روى أبو سعيد الخدري أنه جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «اسقه عسلًا» فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فلم يغن عنه شيئًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «اذهب واسقه عسلًا» فذهب فسقاه فكأنما نشط من عقال، فقال: «صدق الله وكذب بطن أخيك»[2] وحملوا قوله: «صدق الله وكذب بطن أخيك» على قوله:﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾، وذلك إنما يصح لو كان هذا صفة للعسل.

فإن قال قائل: ما المراد بقوله عليه السلام: «صدق الله وكذب بطن أخيك»؟

قلنا: لعله عليه السلام علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك، فلما لم يظهر نفعه في الحال مع أنه عليه السلام كان عالمًا بأنه سيظهر نفعه بعد ذلك، كان هذا جاريًا مجرى الكذب، فلهذا السبب أطلق عليه هذا اللفظ".

في الآية الكريمة التفاتٌ من الخطاب: ﴿كُلِي﴾، ﴿فَٱسْلُكِى﴾، إلى الغيبة: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ "لأن الأكل والسلوك وجمع الرحيق من عمل النحل وجهده، ولذا ألهم النحل فعله، بينما خروج العسل من بطون النحل إنما هو أمر آخر لا شأن للإيحاء به؛ لأنه أمر خلقي في جسم النحلة"[3].

ولم تأت الآية بلفظة العسل، وإنما جاءت بأوصافٍ ثلاثة له كما قال الإمام رحمه الله — شراب، مختلف ألوانه، فيه شفاء.. يقول ابن عاشور: "عبر عن العسل باسم الشراب دون العسل لما يومىء إليه اسم الجنس من معنى الانتفاع به وهو محل المنة... وسمي شرابًا لأنه مائع يشرب شربًا ولا يمضغ"[4].

أما عن ألوانه المختلفة، فقد كرّس الإمامُ الرازي الحكمةَ من اختلاف ألوان العسل في الرد على الطبيعين؛ بيد أن الأمر يعم أكثر من ذلك، إذ يرجع هذا الاختلاف في الألوان إلى التأثر

---

[1] صحيح موقوفًا: أخرجه البيهقي في السنن (20050) عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود ، ولفظه: «في القرآن شفاءان : القرآن والعسل، القرآن شفاء لما في الصدور، والعسل شفاء من كل داء».

[2] قال محققه: صحيح: أخرجه البخاري (5684/ الطب/ باب: الدواء بالعسل)، ومسلم (2217/ السلام/ باب: التداوي بسقي العسل)، والترمذي (2082/ الطب: باب: ما جاء في التداوي بالعسل) من حديث أبي سعيد الخدري.

[3] *التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني*، (النحل: 69).

[4] *التحرير والتنوير*، (14/ 209).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بالمرعى، والتأثر بتركيب تربة الأزهار الكيماوي، والتأثر بكمية الأملاح المعدنية، والتأثر بدرجة الحرارة. وهناك من الباحثين من ربط بين اختلاف ألوان العسل والشفاء[١].

وأما عن التداوي بالعسل ، فإنه يدخل في تكوين العسل ما يزيد على سبعين مادة مختلفة، منها: سكريات وفيتامينات وبروتينات وإنزيمات وأملاح معدنية وأحماض عضوية وأمينية ومواد دهنية.

والعسل شفاء لأمراض كثيرة، منها ما هو خاص بالجهاز التنفسي والجهاز الدوري والعصبي والهضمي وأمراض الجلد وأمراض العين وأمراض النساء، ويساعد على النمو بشكل ممتاز، كما أنه سهل الامتصاص.. فهو يعتبر صيدلية كاملة، وهو، قبل كل شيء، وسط غير صالح لنمو الجراثيم والبكتريا والفطريات[٢].

بل اتجهت الأبحاث العلمية إلى دراسة سم النحل، لاستعماله في معالجة بعض الأمراض المستعصية؛ وقد كنت، في فترةٍ ما، أعاني من آلام شديدة جدًا في أسفل الظهر، وتمت معالجتي بفضل الله عن طريق حقن هذا السم بطريقة معينة حول مناطق الألم.

وفي حديث استسقاء البطن فائدة جليلة:

فهذا الذي وصف له النبي ﷺ العسل كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته عن امتلاء، فأمره بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة والأمعاء، فإن العسل فيه جلاء ودفع للفضول. وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع، وهو: أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه لم يزله بالكلية؛ وإن جاوزه أوهى القوى فأحدث ضررًا آخر، فلما أمره أن يسقيه العسل سقاه مقدارًا لا يفي بمقاومة الداء ولا يبلغ الغرض، فلما أخبره علم أن الذي سقاه لا يبلغ مقدار الحاجة، فلما تكرر ترداده إلى النبي ﷺ أكد عليه المعاودة ليصل إلى المقدار المقاوم للداء، فلما تكررت الشربات بحسب مادة الداء برأ بإذن الله. واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب[٣].

ثم انتقل إلى الحكمة من ختم الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾:

"واعلم أن تقرير هذه الآية من وجوه: الأول: اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والمعارف الغامضة: مثل بناء البيوت المسدسة وسائر الأحوال التي ذكرناها. والثاني: اهتداؤها إلى جميع تلك الأجزاء العسلية من أطراف الأشجار والأوراق. والثالث: خلق الله تعالى الأجزاء النافعة في جو الهواء، ثم إلقاؤها على أطراف الأشجار والأوراق، ثم إلهام النحل إلى جمعها بعد تفريقها، وكل ذلك أمور عجيبة دالة على أن إله العالم بنى ترتيبه على رعاية الحكمة والمصلحة، والله أعلم"[٤].

---

[١] انظر: أحمد بن سطال، *الإعجاز العلمي في لون العسل وعلاقته بحصوات الكلى* ، (المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع: www.eajaz.org).

[٢] انظر: السابق (ص: 218، 219)، وانظر أيضًا: *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم* ، (ص: 270-274)، *الله والعلم الحديث* ، (ص: 173-176)، *الإعجاز العلمي في الإسلام*، (ص: 240-245).

[٣] *زاد المعاد*، (4/ 31، 32).

[٤] 20/ 59، 60.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قدرة الطير على الطيران

يتكلم الإمام هنا على قدرة الله سبحانه في جعل الطير قادرًا على الطيران وتهيئة أسباب ذلك.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ النحل: ٧٩

قال رحمه الله:

"هذا دليل آخر على كمال قدرة الله تعالى وحكمته، فإنه لولا أنه تعالى خلق الطير خلقةً معها يمكنه الطيران وخلق الجو خلقةً معها يمكن الطيران فيه؛ لما أمكن ذلك، فإنه تعالى أعطى الطير جناحًا يبسطه مرة ويكسره أخرى، مثل ما يعمله السابح في الماء، وخلق الهواء خلقة لطيفة رقيقة يسهل بسببها خرقه والنفاذ فيه. ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنًا.

وأما قوله تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾، فالمعنى: أن جسد الطير جسم ثقيل، والجسم الثقيل يمتنع بقاؤه في الجو معلقًا من غير دعامةٍ تحته ولا علَّاقةٍ فوقه، فوجب أن يكون الممسك له في ذلك الجوهر الله تعالى"[1].

هذا من أقوى الأدلة على قدرة الله تعالى ووحدانيته.. مشهد هذه الطيور على اختلاف أنواعها؛ أكثر من تسعة آلاف نوع، يمسكها الله في الجو ويمنعها من الوقوع على الأرض. هل المسألة مجرد مسألة أجنحة، أو بسط جناح مرة وكسره أخرى؟! ماذا نقول ونحن نرى الطائر يثبت أجنحته في الهواء (وتسمى: طريقة الصفّ)، ومع ذلك لا يقع؟! وفي الوقت ذاته هناك من الطيور ما له أجنحة طويلة، لكنه لا يطير مثل الأوز وغيره! إنها إرادة الله وقدرته، رغم الثقل الملحوظ الذي تمتاز به بعض الطيور كالصقور –وأي طائر عامة مهما خف وزنه فهو أثقل من الهواء–؛ ورغم قانون الجاذبية الذي يحول دون وقوع هذا الأمر.. نجد بديع صنع الله في خلق هذه الطيور:

1- الهياكل العظمية للطيور الطائرة خفيفة جدًا، لا تمثل أكثر من 5% من مجمل وزن أجسامها، وفي الوقت نفسه، متينة ومرنة، وقادرة على تحمل القوى المفاجئة أثناء الطيران.

2- ريش الطيور مكيف بدقة بالغة لترويح الهواء وتخفيف كثافة الجسم وعزله جيدًا عن الهواء، كما أن توزيعه يهذب زوايا الجسم البارزة. ومع عدم وجود صيوانين بارزين للأذن، ومع كمش الرجلين أثناء الطيران.. كل هذا يضفي على الطائر شكلًا انسيابيًا يساعده على مقاومة الهواء.

3- أما عن الوظائف الحيوية داخل الجسم، فهي من أقدر الكائنات على هضم الطعام، وقلبها أكبر وأسرع نبضًا، وضغط دمها أقل، ونسبة السكر فيه أكثر، وجهازها التنفسي أكفأ، ودرجة حرارتها

---

(١) 20/ 74.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أعلى؛ ولا تتغير درجة حرارتها بتغير درجات الحرارة الخارجية، ودفء الجسم هذا يجعلها ناشطة الفعل والطيران دومًا.

ولا ننسى أن سرعة بعض الطيور تبلغ حدًّا كبيرًا جدًا، فصقور الشاهين تنقض على فريستها بسرعة 300كم/ ساعة. وأخرى تطير مسافات هائلة، ولعل أشهرها خطاف البحر القطبي، حيث يهاجر في رحلة طولها 17500كم.

ثم يأتي عامل الهواء الذي سخره الله في هذا الكون.. فالهواء هو العامل الأساس في ثبات الأشياء في الكون، لأن ضغطه يحيط بها من كل جانب؛ فبالهواء يتوازن الطير في السماء ويسير كما يشاء.

وليتذكر الإنسان محاولاته المضنية في محاكاة الطيور، عندما صنع لنفسه أجنحة أوردته موارد الهلاك، ثم أنعم الله عليه فاستطاع أخيرًا أن يصنع لنفسه آلات تجوب به الآفاق[1].

---

[1] انظر: *الموسوعة الكونية الكبرى* ، (12/ 90-96)؛ *الموسوعة العلمية الشاملة* ، (ص: 332، 333)؛ مجدي فتحي، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم* ، (ص: 278-280)؛ هارون يحيى، *التصميم في الطبيعة* ، ترجمة: أورخان محمد علي، Ara¢tirma Yayincilik، (إستانبول، 2003م، منشور على موقع: www.harunyahya.com)، ص: 40-69.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ملحق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اعتمدت استدلالات الإمام على ثلاثة أدلة كانت عنده من المسلَّمات، وهي: عناصرُ المادة الأربعة وطبائعُها، وتشابهُ الأجسام وتماثلُها، وأن الأرضَ ثابتةٌ لا تتحرك، وهي مركزُ الكون. بينما اتضح خلاف ذلك في العصر الحديث؛ الأمرُ الذي دفع الباحث إلى أن يفرد ملحقًا في نهاية البحث لمناقشةِ هذه القضايا الثلاث.

هل الأجسام متساوية أو متماثلة؟

هذه مسألة مهمة، إذ كثيرًا ما يبني الرازي حجته على القول بأن الأجسام متساوية، وهو عنده من المسلمات.

المقصود بالجسم: الجوهر الممتد القابل للأبعاد الثلاثة 'الطول والعرض والعمق'، وهو ذو شكل ووضع، وله مكان— إذا شغله منع غيره من الدخول فيه معه. والمعاني المقوِّمة للجسم هي: الامتداد وعدم التداخل والكتلة. والجسم يقابل الروح[١].

وقد ذهب المتكلمون من المعتزلة وبعض الأشاعرة إلى هذا القول. فقد قرروا أن ''الأجسام كلها متماثلة، فلا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب ولا بين المسك والرجيع، وإنما تفترق بصفاتها وأعراضها مع تماثلها في الحد والحقيقة''[٢].

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى» الخلاف في هذه المسألة [٣]. وصرح في «درء التعارض» أن أكثر العقلاء يخالفون في ذلك وفضلاءهم معترفون بفساد ذلك. ثم قال: ''فإذا كانت هذه الطرق فاسدة عند جمهور العقلاء ، بل فاسدة في نفس الأمر ، امتنع أن يكون العلم بالصانع موقوفًا علي طريق فاسدة . ولو قدر صحتها علم أن أكثر العقلاء عرفوا الله وصدقوا رسوله بغير هذه الطريق، فلم يبق العلم بالسمع موقوفًا علي صحتها ، فلا يكون القدح فيها قدحًا في أصل السمع''[٤].

قال: ''وهذا القول فيه من مخالفة الحس والعقل ما يستغنى به عن بسط الرد على صاحبه، بل أصل دعوى تماثل الأجسام من أفسد الأقوال؛ بل القول في تماثلها واختلافها كالقول في تماثل الأعراض واختلافها، فإنها تتماثل تارة وتختلف أخرى''[٥].

---

[١] جلال الدين سعد، معجم *المصطلحات والشواهد الفلسفية* ، (تونس، دار الجنوب للنشر، 2004)، ص: 135، ومجمع اللغة العربية، *المعجم الفلسفي*، (القاهرة، الأميرية، 1983)، ص: 61.

[٢] ابن القيم، *شفاء العليل*، تحقيق: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، (بيروت، دار الفكر، 1978)، 1/ 50.

[٣] جزء التفسير/ تفسير سورة الإخلاص/ هل الأجسام متماثلة أم لا؟

[٤] درء التعارض، تحقيق: محمد رشاد سالم، (الرياض، دار الكنوز الأدبية، 1391)، 1/ 56.

[٥] السابق (2/ 422).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العناصر الأربعة

وهي أيضًا من القضايا الغير قابلة للنقاش عند الرازي. وقد ساد لدي فلاسفة الإغريق الاعتقاد بأن جميع العناصر الطبيعة تتكون من أربعة عناصر أساسية هي : التراب والماء والهواء والنار، ولاحقاً أضيف إليها الأثير. وساد هذا الاعتقاد حتى العصورالوسطى إلى أن تم اكتشاف العناصر الكيميائية وتكونها من تجمع الذرات بروابط كميائية.

ومنذ القرن التاسع عشر ، بدأ العلماء يقيسون التفاعلات الكيميائي ة. وقد مكنت القياسات عالم الكيمياء الإنجليزي جون دالتون من طرح نظرية للمادة تستند إلى دليل تجريبي، وتقول نظرية دالتون الذرية إن كل عنصر كيماوي يتألف من ذرات متماثلة، وإن العناصر تختلف لأن ذراتها مختلفة؛ وقد عرفت هذه النظرية منذئذ بالنظرية الذرية لدالتون.. ويمكن تلخيص ما توصل إليه العلماء فيما يلي:

كل ما يخطر ببالك يتألف من المادة، وتتألف المادة بمختلف أنواعها وأشكالها من جسيمات دقيقة تدعى ذرات، تتألف بدورها من جسيمات دون الذرية أصغر بكثير من الذرات. ففي مركز كل ذرة توجد نواة تتضمن بروتونات ونيوترونات، وتدور حول النواة في أغلفة (طبقاتية) مختلفةٍ جسيماتٌ تدعى إلكترونات. والبروتونات والنيوترونات أثقل من الإلكترونات بكثير، بحيث إن معظم كتلة الذرة يتركز في النواة.

واكتشف بعد ذلك أن تلك الجسيمات (باستثناء الإلكترون لأنه يصنف حاليًا ضمن الجسيمات ا لأولية) تتكوّن بدورها من كواركات، وأن الكواركات واللبتونات هي الجسيمات الأساسية المكوّنة للمادة (لكن كون الكواركات واللبتونات أجسامًا لا تتجزأ ولا تتكون من شيء – بل هي وحدة البناء الأصغر للمادة– يظل نظرية غير مثبتة).

وقد عرف العلماء أن هناك أكثر من مجرد أربعة عناصر. كما أن بعض المواد مركبات كالماء أو السكر، تتألف من جزئيات؛ والجزئيات بدورها تتركب من عدة أنواع من الذرات تترابط معًا في مجموعات. وبعض المواد عناصر، كالحديد والكربون، تتألف من نوع واحد من الذرات فقط[1].

[1] *الموسوعة العلمية الشاملة*، (ص: 17، 24).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مفهوم مركزية الأرض

مركزية الأرض في علم الفلك هي عبارة عن وصف للكون حيث تكون الأرض عند المركز المداري لجميع الأجرام السماوية. وقد كان هذا النموذج هو النظام الكوني السائد والمسيطر في العديد من الحضارات القديمة، مثل اليونان القديمة . و بالتالي، فقد افترضت تلك الحضارات أن الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة التي تُرى بالعين المجردة تدور حول الأرض، بما في ذلك الأنظمة الهامة التي وضعها أرسطو وبطليموس.

وبسبب السيطرة العلمية لنظام بطليموس في علم الفلك الإسلامي، فقد قبل علماء الفلك الإسلاميون نموذج مركزية الأرض بالإجماع.

وقد ساد نموذج مركزية الأرض في أوائل العصر الحديث؛ إلا أنه منذ أواخر القرن السادس عشر وما بعد ذلك، حل محله نموذج مركز الشمس الذي وضعه كوبرنيكوس وجاليليو وكبلر.

وفي عام 1687، وضع إسحاق نيوتن قانون الجذب العام، الذي نص على أن الجاذبية هي القوة التي تجعل الأرض والكواكب تستمر في الدوران عبر الفضاء وكذلك الإبقاء على الهواء وعدم طيرانه، مما يسمح للعلماء بوضع نموذج معقول لمركزية الشمس للنظام الشمسي.

وفي كتابه Principia ، شرح نيوتن نظامه فيما يتعلق بكيفية خلق الجاذبية لحركة الأجرام السماوية، وإبقائها النظام الشمسي الخاص بنا قيد العمل. وقد كانت أوصافه المتعلقة بقوة الجاذبية طفرة في التفكير العلمي استخدم من خلالها التفاضل الذي تم تطويره حديثًا.

وفي النهاية حل تدريجيًا محل المدارس السابقة للتفكير العلمي[1].

---

[1] Lawson, Russell M. (2004). *Science in the Ancient World: An Encyclopedia*. ABC-CLIO. pp. 29–30. ISBN 1851095349. Hoskin, Michael (1999-03-18). *The Cambridge Concise History of Astronomy*. Cambridge University Press. p. 60. ISBN 9780521576000. Densmore, Dana, ed. (2004). *Selections from Newton's Principia*. Green Lion Press. p. 12.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خاتمة

بعد أن وفَّقني الله في إتمام هذا البحث والتغلب على الصعوبات التي واجهتني خلاله، أود أن أذكر أهم النتائج والاقتراحات التي يتضمنها هذا البحث:

أولًا أهم النتائج

- التفسير العلمي للقرآن الكريم أصبح مجالًا لا غنى عنه في بيان القرآن والدعوة به وإليه.
- يعد الإمام الرازي واحدًا من أبرز علماء المسلمين الذين طبقوا هذا النوع من التفسير في مؤلفاتهم.
- أطول السور التي سُجِل فيها تفسير علمي للإمام: البقرة، النحل، الأنعام، الرعد؛ على هذا الترتيب.
- ارتبطت تفسيرات الإمام العلمية ارتباطًا كاملًا بالفلسفة، حيث كانت أم العلوم آنذاك.
- أكثر علم تكلم فيه الإمام هو علم الفلك، وهو أكثر ما اشتمل على أخطاء علمية أيضًا.
- اعتمد الإمام في إقامة معظم حججه وبراهينه العلمية على ثلاثة أدلة هي عنده من اليقينيات والمسلّمات، بينما اتضح خلاف ذلك في العصر الحديث؛ وهي:

  عناصر المادة الأربعة وطبائعها.

  تشابه الأجسام وتماثلها.

  الأرض ثابتة لا تتحرك، وهي مركز الكون.

  وقد فندت جميعها في ثنايا هذه الدراسة.

- قضايا وافقت العلم الحديث:
  - حاسة السمع أفضل من حاسة البصر.
  - المطر ينزل من السحاب. الأرض كروية.
  - الإعجاز في خلق البعوضة.
  - كيفية تحديد القبلة. مضار الخمر العقلية.
  - الإعجاز في النحل.
- قضايا خالفت العلم الحديث:
  - الدم يتشكل في الكبد.
  - سبب تكون الرعد والبرق.

- الأرض ساكنة لا تتحرك.
- الشمس تدور حول الأرض.
- منافع الخمر البدنية.
- عناصر المادة.
- تكون عسل النحل.
- كون الولد ذكرًا أو أنثى.
- تحديد ماهية الروح.

ثانيًا الاقتراحات

- لا يزال « *مفاتيح الغيب* » منهلًا عذبًا للدراسات والأبحاث، سواء أكانت من الجانب القرآني أم العقدي أم اللغوي أم العلمي أم الفلسفي.
- استكمال مناقشة قضايا التفسير العلمي في بقية «*مفاتيح الغيب*»، إذ اقتصرت هذه الرسالة على النصف الأول من القرآن فقط.
- الاهتمام بتنقيح كتب التراث (سواء أكانت في علم التفسير أم الفقه) مما يعتري بعضها من أمور علمية ثبت عدم صحتها أو دقتها في العصر الحديث.
- التوسع في الدراسات النقدية لأعمال التفسير والإعجاز العلمي المعاصرة، طبقًا للضوابط والمعايير المنهجية التي تحفظ هذا النوع من التفسير من الغلو والانحراف.

هذا، واللهَ أسأل أن يتقبل هذا العمل، وأن يغفر ما فيه من الزلل، وأن يجعله صالحًا، ولوجهه وحده خالصًا، وأن يثقّل به موازين كاتبه ومُراجعه ومشرفه وقارئه وكل منتفع به.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مصادر البحث

أولاً المصادر

ابن العربي (محمد بن عبدالله)، *أحكام القرآن*، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية- بيروت، ط3، 2003.

ابن القيم (محمد بن أبي بكر)،

تحفة المودود، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان- دمشق، ط1، 1971.

إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث- القاهرة، ط 2006.

مفتاح دار السعادة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ابن تيمية (أحمد بن عبدالسلام)،

الرد على المنطقيين، دار المعرفة- بيروت، بدون تاريخ.

درء تعارض العقل والنقل، تحقيق : محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية- الرياض، ط 1391هـ.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)، *المقدمة*، دار ابن خلدون- الإسكندرية، بدون تاريخ.

ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر)، *وفيات الأعيان*، تحقيق إحسان عباس، دار صادر- بيروت، بدون تاريخ.

ابن كثير (إسماعيل بن عمر)،

تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999.

البداية والنهاية، مكتبة المعارف- بيروت، بدون تاريخ.

أبو حيان (محمد بن يوسف)، *تفسير البحر المحيط*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1993.

الأدنوي (أحمد بن محمد)، *طبقات المفسرين*، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط1، 1997.

أرسطوطاليس (أرسطاطاليس ابن بيقوماخوس)، *الكون والفساد*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2008.

الآلوسي (محمود بن عبدالله)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون تاريخ.

البتاني (محمد بن جابر)، *الزيج*، كارلو نالّينو- روما، ط 1899.

البطليوسي (عبدالله بن محمد بن السيد)، *الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة*، دار الفكر- دمشق، ط1، 1988.

البغوي (الحسين بن مسعود)، *معالم التنزيل في تفسير القرآن*، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1420هـ.

التيفاشي (أحمد بن يوسف)، *سرور النفس بمدارك الحواس الخمس* ، تهذيب: ابن منظور، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980.

الجرجاني (علي بن محمد)، *شرح المواقف*، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1998.

الحميري (نشوان بن سعيد)، *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم* ، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999.

الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان)،

سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط3، 1985.

تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003.

الرازي (محمد بن عمر)،

مفاتيح الغيب، تقديم: خليل الميس، دار الفكر- بيروت، ط1، 1981.

تقديم: هاني الحاج، تحقيق: عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية- القاهرة، ط1، 2003.

أساس التقديس، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 1986.

الأربعين في أصول الدين، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 1986.

لباب الإشارات والتنبيهات، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 1986.

المطالب العالية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1987.

الشفاعة العظمى يوم القيامة، تحقيق: أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط 1989.

المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات ، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1990.

الإشارة في أصول الكلام ، تحقيق: محمد صبحي العايدي وربيع صبحي العايدي، مركز نور العلوم للبحوث والدراسات، ط1، 2007.

محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، تقديم: طه عبدالرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، بدون تاريخ.

الزركشي (محمد بن بهادر بن عبدالله)، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957.

الزمخشري (محمود بن عمر)، *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل*، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، بدون تاريخ.

السبكي (عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي)، *طبقات الشافعية الكبرى*، المطبعة الحسينية، ط 1324ه..

السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن)،

طبقات المفسرين، الأسدي، بدون تاريخ.

الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب- بيروت، بدون تاريخ.

الشاطبي (أبو إسحاق)، *الموافقات*، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997.

الشهرزوري (شمس الدين محمد بن محمود)، *نزهة الأرواح وروضة الأفراح* ، تحقيق: عبدالكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط1، 1988.

الشهرستاني (محمد بن عبدالكريم)، *الملل والنحل*، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة – بيروت، ط 1404هـ.

الشيرازي، (صدر الدين محمد بن إبراهيم)، *ضوابط المعرفة المسماة شرح الهداية الأثيرية* ، ضبط وتحقيق: أحمد عبدالرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة، ط1، 2008.

الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000.

الطبري (محمد بن جرير)، *جامع البيان في تأويل القرآن*، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000.

الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد)،

جواهر القرآن، تحقيق : محمد رشيد رضا القباني، دار إحياء العلوم- بيروت، ط1، 1985.

إحياء علوم الدين، دار المعرفة- بيروت، بدون تاريخ.

كيمياء السعادة، نسخة إليكترونية، المكتبة الشاملة، بدون تاريخ.

القرطبي (محمد بن أحمد)، *الجامع لأحكام القرآن* ، خرج أحاديثه: محمود حامد عثمان، ضبطه وعلق عليه: محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، ط 2007.

القلقشندي (أحمد بن علي)، *صبح الأعشى*، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الفكر- دمشق، ط1، 1987.

الماوردي (علي بن محمد)، *النكت والعيون*، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

ثانيًا مصادر أخرى عربية وأجنبية

ـ، *دراسات في مناهج المفسرين*، قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا، جامعة الأزهر.

ابن باديس (عبدالحميد محمد)، *مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995.

ابن عاشور (محمد الطاهر)، *التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر- تونس، ط1984.

ابن عاشور (محمد الفاضل)، *التفسير ورجاله*، مجمع البحوث الإسلامية- القاهرة، ط 1970.

أبو حجر (أحمد عمر)، *التفسير العلمي للقرآن في الميزان*، رسالة دكتوراة، دار قتيبة- دمشق، ط1، 1991.

أبو سعيفة (أشرف)، *حديث القرآن الكريم عن البحار والأنهار، دراسة موضوعية* ، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بطنطا، جامعة الأزهر.

أبو ليلة (محمد محمد)، *القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي*، النشر للجامعات- القاهرة، ط1، 2002.

إمز، *حياة الحشرات*، ترجمة: سميرة الزيادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2000.

أيوريش (ناعوم بيتروفيتش)، *النحل والطب*، ترجمة: إبراهيم منصور الشامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1999.

البار (محمد علي)،

خلق الإنسان بين الطب والقرآن، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة، ط4، 1983.

الخمر بين الطب والفقه، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة، ط6، 1984.

الختان، دار المنارة للنشر والتوزيع- جدة، ط1، 1994.

باشا (أحمد فؤاد)، *الإعجاز العلمي للقرآن الكريم*، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، بدون تاريخ.

بوكاي (موريس)،

دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف- لبنان، ط4، 1977.

ما أصل الإنسان؟ إجابات العلم والكتب المقدسة، مكتب التربية العربي لدول الخليج- الرياض، ط12، 1985.

الجديع (عبدالله بن يوسف)، *المقدمات الأساسية في علوم القرآن*، مركز البحوث الإسلامية ليدز- بريطانيا، ط1، 2001.

جمعة (محمد لطفي)، *تاريخ فلاسفة الإسلام*، عالم الكتب- مصر، ط 1999.

الجميلي (السيد)، *الإعجاز الطبي في القرآن*، دار الهلال- بيروت، ط 1990.

جواد (أحمد)، *الخنزير بين ميزان الشرع ومنظار العلم*، دار السلام- القاهرة، ط1، 1987.

جولدتسيهر (إجناتس)، *مذاهب التفسير الإسلامي*، ترجمة: عبدالحليم النجار، الخانجي- القاهرة، ط 1955.

جوهري (الطنطاوي)، *الجواهر في تفسير القرآن الكريم*، الحلبي، ط2، 1350هـ.

حذيفة (محمد عبدالحميد)، *تفسير سورة الرعد*- دراسة تحليلية موضوعية ، الخولي للطباعة- طنطا، ط1، 2004.

خليف (فتح الله)،

فلاسفة الإسلام، دار الجامعات المصرية- الإسكندرية، بدون تاريخ.

مناظرات فخر الدين الرازي في بلاد ما وراء النهر، دار المشرق- بيروت، بدون تاريخ.

فخر الدين الرازي، دار المعارف- مصر، ط 1969.

دوهيم (بيار)، *مصادر الفلسفة العربية*، ترجمة: أبو يعرب المرزوقي، دار الفكر- دمشق، ط 2005.

الذهبي (محمد حسين)، *التفسير والمفسرون*، مكتبة وهبة، ط 1989.

رضا (محمد رشيد)، *تفسير المنار*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1990.

الزرقاني (محمد عبدالعظيم)، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، دار الفكر- بيروت، ط1، 1996.

الزركان (محمد صالح)، *الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية*، دار الفكر، بدون تاريخ.

الزنداني (عبدالمجيد)، *علم الإيمان*، منشور على موقع: جامعة الإيمان، www.jameataleman.org، بدون تاريخ.

سابق، سيد، *فقه السنة*، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

السعدي (عبدالرحمن)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000. ترجمة: محمد أبو ليلة إلى الإنجليزية، وهو في طريقه إلى النشر.

السيد (مجدي فتحي)، *الإعجاز العلمي في القرآن الكريم*، مراجعة: زغلول راغب محمد النجار، دار الصحابة للتراث- طنطا، بدون تاريخ.

شاكر (أحمد)، *عمدة التفسير*، دار الوفاء- مصر، ط9، 2008.

شريف (محمد إبراهيم)، *اتجاهات التجديد في تفسير القرآن الكريم في مصر*، دار التراث- القاهرة، ط1، 1982.

شعبان (سعد)، *الفضاء عصرنا*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2000.

الشعراوي (محمد متولي)، *خواطر حول القرآن الكريم*، دار أخبار اليوم المصرية، ط 1997.

شلبي (هند)، *التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظريات والتطبيق*، تونس، ط 1985.

الشيخ (فتح الله)، *قضايا علمية معاصرة*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2007.

عبدالصمد (محمد كامل)، الإعجاز العلمي في الإسلام، الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، ط4، 1997.

عبدالفتاح (الحسين عبدالفتاح جادو)، *الفكر الأخلاقي عند فخر الدين الرازي*، رسالة ماجستير منشورة، قسم الفلسفة- كلية دار العلوم، 2001.

عبدالفتاح (جلال)، *الكون ذلك المجهول*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1998.

عبدالله (محمد محمود)، *الإعجاز البياني والتشريعي والسبق العلمي للقرآن*، المجد للثقافة والعلوم- طنطا، ط1، 2008.

العراقي (محمد عاطف)، *الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا*، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1983.

العريبي (محمد)، *المنطلقات الفكرية عند الإمام الفخر الرازي*، دار الفكر اللبناني، ط1، 1992.

العقاد (محمود عباس)، *الفلسفة القرآنية*، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، بدون تاريخ.

علال (خالد كبير)، مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم، دار المحتسب- الجزائر، ط1، 2011.

غاصب (علي حسين فهد)، *المفاهيم التربوية عند الإمام فخر الدين الرازي من خلال التفسير الكبير*، رسالة ماجستير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى- السعودية، 1411هـ.

الغمراوي (محمد أحمد)، *الإسلام في عصر العلم*، إعداد: أحمد عبدالسلام الكرداني، مطبعة السعادة- القاهرة، ط 1، 1973.

غنيم (كارم السيد)، *الإشارات العلمية في القرآن الكريم بين الدراسة والتطبيق*، دار الفكر العربي- القاهرة، ط1، 1995.

غنيمة (عبدالفتاح مصطفى)،

دراسات حول تلوث البيئة في الوطن العربي، مطابع جامعة المنوفية، ط 2006.

عالم الحيوان والبيطرة في التراث العربي، مطابع جامعة المنوفية، ط 2007.

قطاية (سلمان)، *في التراث الطبي العربي* ، منشور على موقع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة: www.isesco.org، بدون تاريخ.

قطب (سيد)، *في ظلال القرآن*، دار الشروق، ط15، 1988.

قنصوة (صلاح)، *فلسفة العلم*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2002.

قوقام (الرشيد)، *التفكير الفلسفي لدى فخر الدين الرازي* ، رسالة دكتوراة منشورة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005.

المجذوب (عبدالعزيز)، *الرازي من خلال تفسيره*، الدار العربية للكتاب، ط 1980.

محمود (عبدالحليم)، *موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 2003.

المسعودي (منال مبطي حامد)، *التناسب في تفسير الإمام الرازي*، رسالة دكتوراة، مكتبة وهبة- القاهرة، ط1، 2010.

مطاوع (مصباح منصور موسى)، *دلائل الإعجاز العلمي في الكونيات من خلال سورة الرعد وأثرها في الدعوة الإسلامية*»، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدعوة والثقافة، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر.

نوفل (عبدالرازق)، *الله والعلم الحديث*، دار الشروق، ضمن مشروع مكتبة الأسرة، ط 1998.

نيللينو (كارلو)، *علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى*، مكتبة المُثنى- بغداد، بدون تاريخ.

يحيى (هارون)، *التصميم في الطبيعة*، ترجمة: أورخان محمد علي و Araştirma Yayincilik، إستانبول، منشور على موقع: www.harunyahya.com، ط 2003.

موسوعات

ـ، *موسوعة الفلسفة*، تقديم: محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، بدون تاريخ.

جلال (عبد الفتاح عبد العال)، موسوعة علوم الفلك والفضاء ، www.smsec.com/ar/encyc/astronomy، بدون تاريخ.

الخطيب (أحمد شفيق) و**خيرالله** (ويوسف سليمان)، *الموسوعة العلمية الشاملة*، مكتبة لبنان ناشرون، بدون تاريخ.

دغيم (سميح)، *موسوعة مصطلحات الإمام فخر الدين الرازي*، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2001.

الصَّوفي (ماهر أحمد)، *الموسوعة الكونية الكبرى*، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط1، 2008.

معاجم وكشافات

ـ، *أطلس دول العالم الكبير*، مكتبة الصغار، بيروت، بدون تاريخ.

ابن منظور (محمد بن مكرم)، *لسان العرب*، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ.

أبو زيد (بكر بن عبدالله)، *معجم المناهي اللفظية*، دار العاصمة- الرياض، ط3، 1996.

التهانوي (محمد بن علي)، *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط1، 1996.

الحموي (ياقوت)، *معجم البلدان*، دار الفكر- بيروت، بدون تاريخ؛ ودار صادر- بيروت، ط 1977.

الزركلي (خيرالدين)، *الأعلام*، دار العلم للملايين، ط15، 2002.

سعد (جلال الدين)، *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية*، دار الجنوب للنشر- تونس، ط 2004.

صليبا (جميل)، *المعجم الفلسفي*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1982.

مجمع اللغة العربية،

المعجم الفلسفي، الأميرية- القاهرة، ط 1983.

المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، بدون تاريخ.

بحوث ومؤتمرات:

أبو المجد (مجاهد) و**عبدالفتاح** (سامي)، *إعجاز القرآن في إنجاب الذرية* ، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.eajaz.org.

البشعان (منير مصطفى خلوف)، *أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات* ، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

حجازي (أحمد جعفر)، *الإعجاز في خلية النحل: كفاءة الأعسال المضادة للميكروبات* ، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

حسن (مصطفى إبراهيم)، *الإعجاز العلمي في قوله تعالى: إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلًا ما بعوضة فما فوقها* ، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الحسيني (محمد محمد)، *بحث في معجزات الماء* ، مجمع البحوث الإسلامية، السنة الثامنة والثلاثون، الكتاب الثامن، ط 2007.

خياط (لطيفة إسحاق)، *دراسة نسيجية لتأثير الخوف على النسيج الكبدي* ، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الرزو (حسن مظفر)، *إشكالية النوم الحالم بمنظور الإعجاز العلمي القرآني*، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، العلوم الطبية، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

سطال (أحمد)، *الإعجاز العلمي في لون العسل وعلاقته بحصوات الكلى* ، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

الشورى (محمود محمد)، *حاسة السمع بين القرآن الكريم والعلم الحديث* ، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

عبداللطيف (عبدالشكور)، *العلمية في الصلاة* ، المؤتمر العالمي السابع للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

عثمان (عنايات عزت)، *المساواة بين الرجل والمرأة أكذوبة بيولوجية* ، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

محمد (حامد عطية)، *إشارات إعجازية في تكوين لبن الأنعام* ، المؤتمر العالمي العاشر للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

المصلح (عبدالله بن عبدالعزيز)، *ضوابط البحث في الإعجاز العلمي في القرآن والسنة* ، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

المعلمي (عبدالرحمن بن يحيى بن علي)، *حول تفسير الفخر الرازي* ، المكتبة المكية، منشور على ملتقى أهل الحديث: www.ahlalhdeeth.com، 1417هـ.

نجا (محمود عبدالله إبراهيم)، *الأسس العلمية لاختبار البصمة الوراثية في القرآن والسنة* ، المؤتمر العالمي العاشر

للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشور على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

النعيمي (قسطاس إبراهيم)، *الإعجاز في التذكية*، منشور على موقع جامعة الإيمان: www.jameataleman.org.

الهدمي (جواد)، *الإعجاز العلمي بالذبح* ، منشور على موقع المعهد العالمي للإعجاز القرآني: www.iiquran.com.

وزيري (يحيى حسن)، *الكعبة المشرفة دراسة تحليلية للخصائص التصميمية* ، منشور على موقع المهندس: www.almohandes.org.

مقالات:

ـ، *الأرض فراشًا والسماء بناءً*، اللجنة العلمية بهيئة الإعجاز العلمي، www.eajaz.org.

ـ، *القلب، أهم عنصر من عناصر جهاز الدورة الدموية*، www.harunyahya.com.

ـ، *انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه: نظرة إيمانية*، www.nazme.net.

الأحمدي (فهد عامر)، *بحار العالم السبعة*، جريدة الرياض، جريدة يومية تصدر عن مؤسسة اليمامة الصحفية، عدد (15815) بتاريخ: الأربعاء 14 ذي القعدة 1432هـ/ 12 أكتوبر 2011م.

حموتي (بلخير)، *يكاد البرق يخطف أبصارهم*»، www.eajaz.org.

حنش (محمد عمراني) وآخرون، *إعجاز القرآن الكريم في وصف السحاب الطبقي*، www.eajaz.org.

الدالي (محمد بن موسى)، *الطب الحديث ينفي أن يعيش الجنين في بطن أمه أكثر من سنة* ، www.islamfeqh.com.

الدوابي (إيمان)، *إعجاز قرآني في السحب*، www.maghress.com.

دودح (محمد)، *البرق بشير ونذير*، www.eajaz.org.

السائح (محمد)، *الفخر الرازي في عالم الفلسفة*، www.habous.net.

شحادة (عبدالكريم)، *ابن النفيس المكتشف الأول للدورة الدموية الرئوية*، www.landcivi.com.

الصاوي (عبدالجواد)، *الإعجاز العلمي للقرآن والسنة في دلالة غيض الأرحام*»، www.eajaz.org.

الصعيدي (عادل)، *الإعجاز العلمي في تقدم السمع على البصر*، www.jameataleman.org.

صندقجي (حسن محمد)، *نظام كهرباء القلب.. أحد أسرار سلامته* ، موقع جريدة الشرق الأوسط الإلكتروني ، الأحد 5 شوال 1429هـ/ 5 أكتوبر 2008م، العدد: 10904.

العبادي (منصور أبو شريعة)، *وينشيء السحاب الثقال- معجزة علمية*، www.eajaz.org.

العمره (فالح)، *نمو الشخصية*، www.alajman.ws.

عيد (محمد السقا)، *معجزة السمع*، www.eajaz.org.

غنيم (كارم السيد)، *إعجاز الكتاب في وصف السحاب*، www.quran-m.com.

المحيسن (إبراهيم بن عبدالله)، *خصائص النمو.. مفهومها، أهميتها.. لجميع المراحل*، www.mohyssin.com.

مرسي (أحمد جلال)، *آيات البحار ومعانيها العلمية*، www.eajaz.org.

ناصف (علي النجدي)، *بين السمع والبصر في القرآن الكريم*»، www.aluka.net.

النعيمي (قسطاس إبراهيم)، *الإعجاز في الخوف والمطر*، www.jameataleman.org.

وزيري (يحيى)، *إعجاز وصف الظل والظلال في القرآن الكريم*، quran-m.com.

يحيى (هارون)، *The formation of rain*، www.evidencesofcreation.com.

مواقع إلكترونية:

موقع الإسلام سؤال وجواب: www.islamqa.com.

موقع المكتبة الشاملة: shamela.ws.

موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة: www.eajaz.org.

موقع عبدالدائم كحيل: www.kaheel7.com.

Abu Laylah (Muhammad Muhammad),

The Qur'an and the Gospels - a Comparative Study, al-Falah Foundation, Cairo, 3rd ed., 2005.

In Pursuit of Virtue, London, 1990.

Faith, Reason and Spirit, al-Falah Foundation, 1998.

Abu Sway (Mustafa), *Modern Science and the Hermeneutics of the "Scientific Interpretation" of the Qur'an*, science-islam.net.

Alcamo (I. Edward), *Anatomy Coloring Workbook*, Princeton review publishing, New York, 2nd ed., 2003.

Al-Mehri (A. B.), *The Qur'an with Surah Introductions and Appendices, Saheeh International Translation*, Maktabah Booksellers and Publishers, Birmingham, United Kingdom, 2010.

Bucaille (M.), *The Qur'an and Modern Science*, ed. A. A. B. Philips, www.tempemasjid.com

Chiras (Danial D.) *Human Biology*, Johnes and Bartlett learning, LLC, London, 7th ed., 2012.

Edwards (Paul), *Encyclopedia of Philosophy*, Macmillan, 1967.

El-Fandy (M. G.) *Islam and Science*, the Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1993.

Elsaie (Adel), *History of Truth, The Truth about God and Religions,* www.usislam.org.

Golshani (Mahdi), *The Scientific Dimension of the Qur'an*, www.al-islam.org.

Hoyle, *The Nature of the Universe*, Oxford, 1960.

Kafrawi (Salahudin), *Fakhr ad-Dīn al-Razi's Methodology in Interpreting the Qur'an*, National library of Canada, 1998.

Laizzo (Paul A.), *Handbook of Cardiac Anatomy, Physiology, and Devices*, Springer sciences+Business Media, LLC, 2nd ed., 2009.

Ma'sumi (M. Saghir), *Translation of Kitāb an-Nafs war-Rūḥ wa Sharḥ Quāhuma*, Kitab Bhavan, New Delhi, 1992.

Mozip (Adel A.) *The Scientific Interpretation of the Generous Qur'an*, www.miracleofquran.net

Nallino (Carlo), *Arabian Astronomy, its History During the Medieval Times*, al-Muthanna, Baghdad, N.D.

Sharif (M. M.), *A History of Muslim Philosophy*, Otto Harrassoitz, Wiesbaden, 1963.

Shihadeh (A.), *The Teleological Ethics of Fakhr ad-Dīn ar-Rāzī*, Brill, Leiden, Boston, 2006.

Wagdi (M. N.), *Exploring the Scientific Miracle of the Holy Qur'an*, www.scienceinquran.com.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس

محتويات الدراسة

شكر وتقدير ..... أ
مقدمة ..... ت
أهمية البحث وأسباب اختياره ..... ح
مشكلة البحث ..... خ
الدراسات السابقة ..... د
أهداف البحث ..... ر
حدود الدراسة ..... ر
منهج البحث وخطواته ..... ز
صعوبات الدراسة ..... س
محتويات الدراسة ..... ش
البابُ الأول: الجـــــانب النظـــــري 1
الفصل الأول: التفسير العلمي للقرآن الكريم 2
تمهيد 3
التفسير العلمي، مفهومه، والفرق بينه وبين الإعجاز العلمي للقرآن 4
تاريخ التفسير العلمي 6
أهمية التفسير العلمي والحاجة إليـــه 9
اختـــلاف الناس في التفسير العلمي 11
الضوابط المنهجية للتفسير العلمي 17
الفصل الثاني: الإمام الرازي وتفسيره 19
تمهيد 20
حياة الإمام فخر الدين الرازي 21
منزلته بين العلماء 30
تفسيره «مفاتيح الغيب» 33
منهجه في التفسير العلمي 37
الإمام الرازي وعلم الفلك 39
البابُ الثاني: مناقشة آيات التفسير العلمي 42
الفصل الأول: آيات حول الظواهر السماوية 43
تمهيد 44
المطر، تكوُّنه ونزوله 45
الرعد والبرق والصاعقة 50
فضائل السماء وما فيها 54

الشمس 56
القمر 59
النجوم 61
السموات السبع 64
أحوال السموات 67
تصريف الرياح 71
تسخير السحاب 72
الشمس ومواقيت الصلاة 73
تعاقب الليل والنهار 75
حركة الرياح 77
السموات بلا عمد مرئية 78
نوعا ماء المطر 79
الفصل الثاني: آيات حول الظواهر الأرضية 81
كون الأرض فراشًا 82
منافع الأرض 85
تكوين الأنهار والعيون 88
أحوال الأرض 90
البحر والفُلك 95
إحياء الأرض بعد موتها 101
فلق الحب والنوى 103
مد الأرض 107
الجبال الرواسي 109
اختلاف النباتات والماء واحد 112
انتقال الظلال عن الأيمان والشمائل 113
الفصل الثالث: آيات حول الظواهر بين السماء والأرض 115
إمكانية وجود عوالم أخرى 116
حكمة تعيين القبلة 118
كيفية تحديد القبلة 120
اختلاف الليل والنهار 125
السنة والشهر واليوم، التكوين والفوائد 127
الحكمة من التفكر في الخلق 129
الفصل الرابع: آيات حول الإنسان 131
الإعجاز في خلق القلب والجهاز التنفسي 132

المفاضلة بين السمع والبصر 135
الإعجاز في خلق الإنسان 139
مضارّ الخمر ومنافعها 141
الإعجاز في اختلاف الأشكال والطبائع 146
نشأة الإنسان من طين 148
أضرار الشذوذ الجنسي 150
مراحل الإنسان العمرية 152
وما تغيض الأرحام وما تزداد 154
كون الولد ذكرًا أو أنثى 157
ويسألونك عن الروح 158
الفصل الخامس: آيات حول الحيوان والطير 164
الإعجاز في خلق البعوضة 165
الذبح في الإسلام 168
تكوين لبن الأنعام 171
الإعجاز في النحل 175
قدرة الطير على الطيران 183
ملحق 185
هل الأجسام متساوية أو متماثلة؟ 186
العناصر الأربعة 187
مفهوم مركزية الأرض 188
خاتمة 189
مصادر البحث 192
فهرس 202